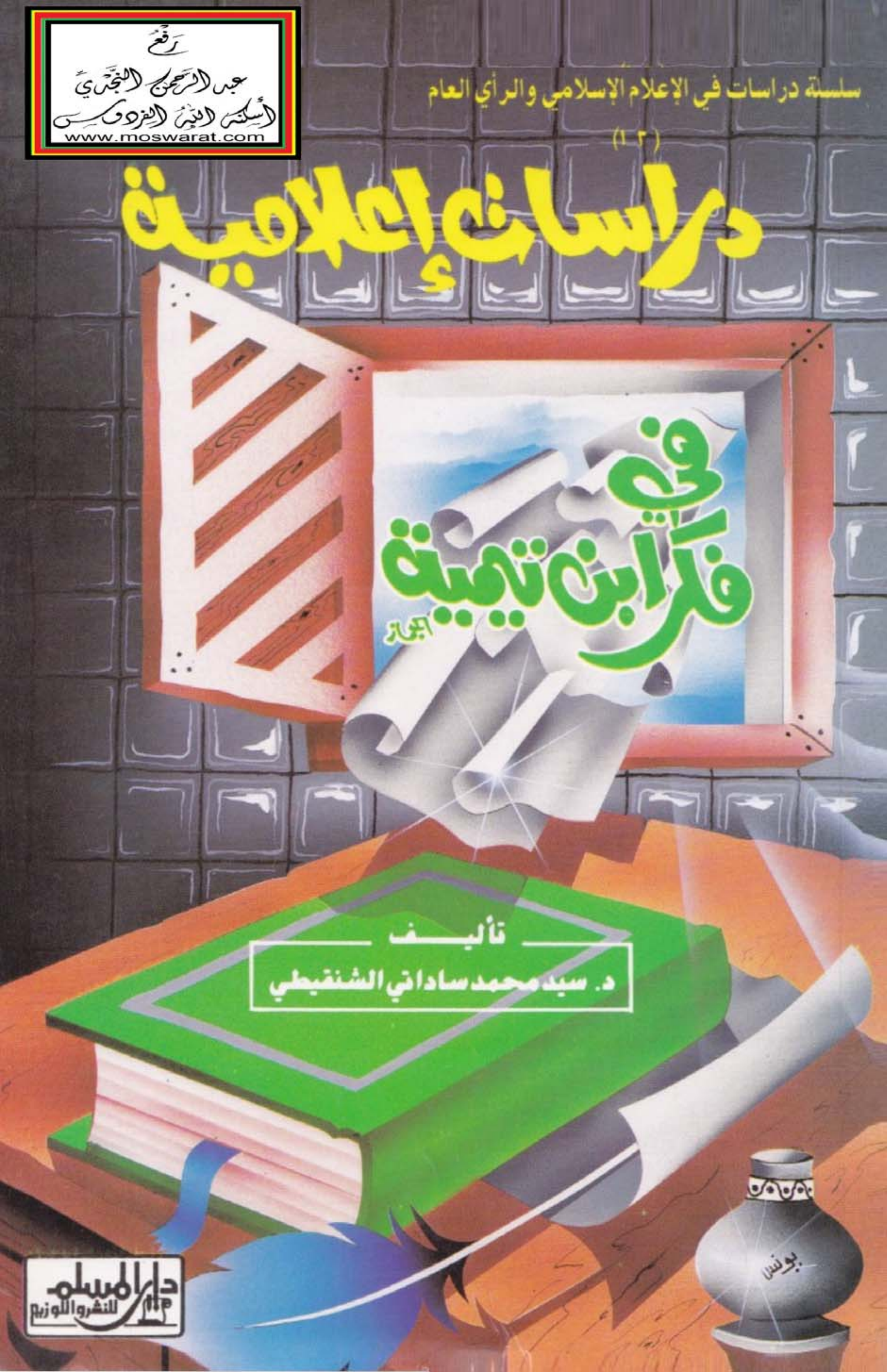

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
سلسلة دراسات في الإعلام الإسلامي والرأي العام
(١٢)
دراسات إعلامية
في فكر ابن تيمية
الجزء
تأليف
د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي
دار المسلم للنشر والتوزيع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة دراسات في الإعلام الإسلامي والرأي العام

(١٣)

دراسات إعلامية
في
فكر ابن تيمية

تأليف

الدكتور/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي

أستاذ الإعلام الإسلامي المشارك

بكلية الدعوة والإعلام بالرياض

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشنقيطي ، سيد محمد ساداتي

دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية.

.....ص ؛ .....سم

ردمك : ٢-٨١-٧٤٨-٩٩٦٠

١ - ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ٢ - الإعلام الإسلامي أ - العنوان

ديوي ٠٩٢ - ٢١٠ ١٦/٠٩٤٦

رقم الإيداع : ١٦/٠٩٤٦

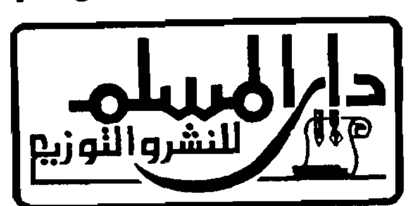
ردمك : ٢-٨١-٧٤٨-٩٩٦٠

□ الطبعة الأولى □

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

الصف والإخراج

مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف وفاكس : ٤٩٣١١٤٩



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة المنهجية :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أعلم بدين الله خيرإعلام ، وبلغ عن ربه أحسن بلاغ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ (١) ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً** ﴾ (٢) ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ (٣)

أما بعد (٤) فإنه بالنظر إلى أهمية الإعلام في الحياة ، وضرورة بناء نظامه في حياة المسلمين اليوم على قواعد ثابتة ، وأسس صحيحة ، تستمد ثباتها وصحتها من قيامها على الحق ، والحق وحده ، وباعتبار أن وسيلة الإعلام الأساسية هي الكلمة ، ومادة الكلمة هي الحقيقة ، والنظرية الأساسية في الإعلام ، أن يقال الحق دائما في تنوع وتدرج ، وبما يساعد على التمكين له في نفوس الناس (٥) .

ولما كان الإعلام فرعاً من فروع المعرفة التي تدخل في نطاق اهتمام المسلمين ، وتمثل أحد فروض الكفاية ، والتي ينبغي أن تكون متصلة بغاية

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢ (٢) سورة النساء الآية ١ (٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠ ، ٧١

(٤) معظم ماسبق مما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته أيا كان موضوعها ، وسماها العلماء خطبة الحاجة ؛

(٥) انظر الإعلام والدعاية (نظريات وتجارب) د . محمد عبدالقادر حاتم ، ص ٨، ٩، ١١ .

العلم عند المسلمين وهي (معرفة الحق وهداية الخلق وسعادة البشر) (١)، عكس الماديين الذين أصبح العلم على أيديهم إنكار الحق، وإضلال الخلق وإشقاء البشر» (٢)، ولما كانت تلك المعاني مستمدة في الأصل من مصدر معرفة المسلمين الأساسي وهو الوحي ، وما قام على أساس من فهم صحيح له، وفكر نير لنور مصدره النور. فإن العودة إلى ما أنتجته قرائح ورثة الأنبياء العلماء مما يدخل في خير التأصيل لتلك المعرفة ، غير أننا في هذه العودة بحاجة إلى إعادة تفحص لبنات فكرنا وفق ضوابط ومقاييس، فيها صفة الدقة، وميزة التحقيق، وسمة الوضوح في المبدأ والمنهج ، والهدف(٣) سيرا علي نهج السلف من علمائنا ، الذين أسسوا عطاءهم العلمي الثر على قواعد من التثبت والتمحيص بمنهج سديد وهدف واضح محدد ، فنبذوا بذلك الدخيل الغريب عن هذا الدين ، وجعلوا من صحة الرواية أساس القبول (٤) .

وفي هذا النطاق تأتي دراستنا لفكر علم من أعلام المسلمين نذر نفسه لإظهار حقيقة الإسلام ناصعة جلية ، صافية خالية من الشوائب ، من خلال بثها في النفوس ونشرها بين الناس ، ومن خلال تصديه لأعداء الحق على تعددهم وكثرتهم وكشفه زيف أقوالهم ، وتفنيده حججهم ، مما فجر ينابيع الحكمة على لسانه لصدقه ، وقوة حجته وروعة بيانه ، وجهاده بقلمه وسنانه، دراسة إعلامية متأنية ، يغاص فيها وراء المعنى الإعلامي ، والمبدأ الإعلامي ، والقاعدة الإعلامية ، والرأي الإعلامي ، وغير ذلك من مسائل علم الإعلام وعويصاته تنظيراً وتطبيقاً.

وهذا البحث (دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية) يسعى من ورائه في

---

(١) انظر الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، الشيخ محمد الراوي، ط٣ ، مكتبة الرشد بالرياض ، ص ٢١١

(٢) المرجع نفسه ، المدرك نفسه .

(٣) انظر تصويب المفاهيم ، مصطفى عيد الصياصنة ، دار المعراج للنشر والتوزيع بالرياض ، ص٦،٧ .

(٤) المرجع نفسه ، المدرك نفسه ، وانظر ص ١٢ من المرجع نفسه .

الحقيقة إلي جملة أهداف :

١) الكشف عن ذخائر الإعلام ونفائسه في فكر هذه الشخصية الإسلامية الفذة رغبة في دفع الشبيبة الإسلامية إلىٰ منابع الفكر الإسلامي للنهول منها ، تحقيقا للعزة والمنعة للأمة .

٢) إظهار الريادة العلمية لعلمائنا في حقول المعرفة المختلفة بواسطة بيان كثرة قضايا الإعلام وموضوعاته التي جاءت عرضا في الإنتاج الفكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن خلال عرض الآراء الإعلامية التي طرحها في أدق معاني الإعلام ومن خلال ما كشف عنه من إدراك لمكانة الإعلام في حياة الأمة .

٣) وهدف ثالث لايقل أهمية عن الهدفين السابقين هو السعي لإقامة الدراسات الإعلامية ، وممارسات الإعلام في العالم الإسلامي علي الجادة بحيث ترتبط في مصادرها ، ومادتها ، وغايتها ، وطبيعتها بالإسلام نصاً وروحاً ، وقصدا وحكماً ، وضابطا وأداء ، حيث تميز فكر ابن تيمية لقيامه علىٰ مصادر النور (الوحي) بوجود معان إعلامية عديدة في الوقت الذي لم يكن فيه علم الإعلام قد عرف بصورة واضحة لدىٰ الأمم الأخرىٰ إلىٰ جانب كثرة الآراء الإعلامية الدقيقة والعميقة عنده مما يستدعي البحث عما إذا كان هذا خاصا بابن تيمية أم هو صفة غالبة علىٰ علماء المسلمين الأوائل بسبب إخلاصهم لله وغزارة علمهم ـ فقد خاض ابن تيمية في كثير من موضوعات الإعلام ، ومسائل علمه الدقيقة ، وهو يدرك أنه علم خاص ، له غاياته ، وقواعده وأصوله ، ووسائله ، وأساليبه (١) ، وانتهىٰ إلىٰ آراء إعلامية بالغة درجة من الدقة والعمق والسداد يعز مثله في الدراسات الإعلامية المختصة

(١) غني عن البيان أن لكل علم مبادئ ومسائل وموضوعات (انظر بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب / محمود عبدالرحمن بن أطهر الاصفهاني) ، تحقيق الدكتور محمد مظهر بقاص ، حـ١ ، ص٩ ، جامعة أم القرىٰ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي .

سيجري بيانها في موضعها المناسب من هذا البحث بإذن الله ، وفي الاعتقاد أنه ليس بدعا في هذا المعنى بين علماء المسلمين الأوائل ، لكنه دون ريب من أبرزهم فيما اطلعت عليه .

وربما كان للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحربية في عصره أثر في اهتمامه بقضايا الإعلام باعتبار الإعلام أحد الأسلحة التي يمكن أن تحقق للمسلمين أسباب النصر في جهادهم ضد أعداء الله .

وقد بدأت فكرة هذا البحث أول مابدأت أثناء إعدادي لرسالة الدكتوراه ، حيث لفت نظري غزارة علمه الإعلامي وتشعب الموضوعات الإعلامية التي يمكن استخلاصها من فكره ، في الوقت الذي ينظر فيه إلى أن المسلمين متأخرون في هذا العلم ، وقلة بضاعتهم فيه .

وتعمق الإحساس بأهمية القيام بهذا البحث بازدياد صلتي بفكر هذا الإمام الفذ ، ومن ثم فإن البحث في نظري جديد . الجدة كلها في مبناه ، ومعناه ، ومغزاه ، وهو في نظري كذلك من الأبحاث التأصيلية التي يسعى فيها إلى استخلاص معاني الإعلام ، وقضاياه ومسائله من الفكر الإسلامي .

وبالنظر إلى أن طبيعة الحقائق المراد الوصول إليها هي التي تحدد طبيعة المناهج المستخدمة في الوصول إليها ، حيث يؤدي اختلاف الحقائق ضرورة إلى اختلاف المناهج (١) فإن أنسب المناهج لطبيعة هذا البحث هو المنهج الاستقرائي حيث يتطلب الأمر استقراء الإنتاج الفكري لشيخ الإسلام ابن

(١) « المنهج اصطلاحا هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد العامة ، تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة » مناهج البحث العلمي د . عبدالرحمن بدوي ، ص ٥ ، وكالة المطبوعات الكويت .

تيمية ، وهو في هذه الحالة استقراء ناقص لاستحالة الجزم بالإحاطة بإنتاج الشيخ كله ، ثم المنهج التحليلي حيث يتطلب الأمر كذلك تحليل نصوص كتابات الشيخ ذات العلاقة بالإعلام، وذلك بالإضافة إلىٰ المنهج الاستنباطي التأملي الذي يمثل جانب النظر العقلي في دراسة نصوص إنتاج الشيخ الفكري .

أما مادة البحث العلمية فتستخلص من الإنتاج الفكري المنشور للشيخ ، والدراسات التي قامت حوله في كثير من فروع المعرفة ، إضافة إلي المراجع الإعلامية المكتوبة باللغة العربية أو المترجمة إليها .

وتدور مشكلة هذا البحث العلمية أو جانب الغموض العلمي المراد الكشف عنه حول الإجابة عن سؤالين هما :

(ماذا في فكر ابن تيمية من مسائل علم الإعلام في جانبيه النظري والتطبيقي ؟ ومامكانته في ميزان الفكر الإعلامي السديد ؟) .

وقد بنيت خطة هذا البحث علي النحو التالي : المقدمة وتشمل :

* خطبة الحاجة .

* أهمية البحث .

* الإحساس بالمشكلة البحثية * سبب اختياره .

* مكانه من الدراسات السابقة .

* المناهج المستخدمة في الوصول إلىٰ حقائقه .

* أدوات جمع مادته العلمية .

ثانياً : تمهيد : ابن تيمية في سطور .

ويتركز الحديث فيه عن حياة ابن تيمية وبيئته وتكوينه العلمي وأثر ذلك علي فكره .

ثالثاً : الفصل الأول وهو بعنوان (قضايا الإعلام في فكره) .

١ ـ الإعلام وأهميته . ٢ ـ ماهية الإعلام .

٣ ـ مصادر الإعلام . ٤ ـ غايات الإعلام الإسلامي .

٥ ـ وظائف الإعلام ٦ ـ الأدلة الإعلامية .

٧ ـ مقومات الثقة في الإخبار . ٨ ـ نقائص الإعلام .

٩ ـ الاتصال الإعلامي الإسلامي .

١٠ ـ شروط القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي .

١١ ـ خصائص الرسالة في الإعلام الإسلامي .

١٢ ـ خصائص المستقبلين .

رابعاً : الفصل الثاني وهو بعنوان (آراؤه الإعلامية) .

* رأيه في علم الإعلام

* رأيه في قوة الإعلام بالقول

* مكانة لغة الإعلام في إحداث التأثير .

* الفرق بين الخبر والنبأ .

* رأيه في الحرية الإعلامية .

* رأيه في قضية المنهج في الإعلام .

* رأيه في آثار الإعلام بالحق .

* رأيه في تأثير الإعلام .

* رأيه في فهم قادة الرأي .

خامساً : الخاتمة وتشمل

* خلاصة البحث .

* أهم النتائج التي توصل إليها .

* التوصيات .

* ثبت المراجع .

وبالله سبحانه التوفيق

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيـد : ابن تيمية في سطور

علم مثل ابن تيمية لايحتاج إلى ترجمة ، ولكن من باب زيادة الخير بركة ، فإننا نقول كلمات قليلة كمدخل لدراستنا الإعلامية لفكره .

هو تقي الدين أحمد بن شهاب الدين بن مجد الدين ابن تيمية الحراني ، كان مولده بمدينة حران سنة ٦٦١هـ حفظ القرآن في صغره ، وانكب على دراسة الحديث والتفسير وعلوم اللغة ، وتولى تعليم الحديث مكان أبيه سنة ٦٨٢هـ ، ودرس الرياضيات والفلسفة ، وبرع في علم المنطق ، وكان واسع الاطلاع على العلوم والفنون التي دونت قبيل عصره ، وتلقى العلم على نحو مائتي شيخ ، فكان بذلك غزير العلم أصولا وفروعا ، ولغة وجدلا وقد استفاد الشيخ استفادة كبيرة من العلوم الكثيرة التي حوتها المدونات والمكتبات التي انتشرت في عصره مع أنه كان عصرا ضطرابات سياسية واجتماعية وتحولات فكرية .

وقد كان الشيخ سلفي المنهج ، وإماما مجاهدا ، وليس عالما زاهدا فقط بل كان رجل علم وسيف ، احتل مكانة عظيمة في نفوس الخاصة والعامة وجاهد بقلمه النصارى والنصيريين والصوفيين المنحرفين والروافض ، وأهل الضلالة والخرافة والمذاهب والفرق المنحرفة في عصره كالمرجئة والمعتزلة والخوارج والصوفية المبتدعة، والأشاعرة (١) وجاهد هذا الإمام التتار الذين عم فسادهم العباد والبلاد، جاهدهم بسيفه حيث كان في مقدمة صفوف المجاهدين، بل قاد بنفسه فرقاً جهادية .

---

(١) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ، هـ ، و انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، د. عبدالله الحوشاني ، رسالة دكتوراه، غير منشورة مقدمة إلى كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كذلك ، ص ٣٣-٧٩.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية شجاعاً فصيح اللسان ، ثابت الجنان قوي الشخصية ، يعفو عمن ظلمه ، لكنه شديد المجادلة في الحق . آزر العامة فآزروه، وأحبهم فأحبوه، وأدىٰ نشاطه الدعوي والجهادي ومشاركته في الحياة العامة إلىٰ تعذيبه وسجنه في كل من مصر ودمشق ، فكان مثالاً لتحمل الأذىٰ في سبيل الله (١).

توفي رحمه الله يوم الاثنين عشرين ذي القعدة عام ٧٢٨ هـ . (٢)

---

(١) هذه سطور من الترجمات التي ضمتها الكتب المحققة من تراثه ، والدراسات التي أجريت حول فكره لا نعتقد أننا في حاجة إلىٰ المزيد عليها في دراستنا هذه وانظر علىٰ سبيل المثال ماكتب حول سيرته في أثر القرآن علىٰ منهج التفكير عند ابن تيمية، ص ٣١-٣٩ ، وانظر الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤١ ـ ٥٨ ، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ١٥٦ ـ ٢٠٨ ، مرجع سابق .

(٢) انظر منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلىٰ الله، ص ٧٥، مرجع سابق .

الفصل الأول : قضايا الإعلام في فكر ابن تيمية

وفيـــه :

* الإعلام وأهميته .
* ما هية الإعلام
* مصادر الإعلام .
* غاية الإعلام .
* وظائف الإعلام
* الأدلة الإعلامية .
* مقومات الثقة في الخبر
* نقائص الإعلام
* الاتصال الإعلامي الإسلامي .
* شروط القائم بالاتصال .
* خصائص الرسالة في الإعلام الإسلامي، خصائص المستقبلين .

أولاً : الإعلام وأهميته

بالرغم من أن دارسي الإعلام على مختلف مستوياتهم واتجاهاتهم لم يجمعوا على تعريف محدد للإعلام (١) ، وذلك أمر طبيعي في علوم تقوم في مجملها على الاجتهاد ، فما يصل إليه مجتهد ويعتبره حداً مانعاً جامعاً (٢) ، في تلك العلوم « العلوم الإنسانية والاجتماعية» قد لا يراه مجتهد آخر في فرع المعرفة نفسه كذلك .

ومبلغ ما يساق من تعريفات في هذه العلوم لا يعدو أن يكون من قبيل الرسم الذي هو « مثل السمة يخبر به حيث يعسر التحديد، ولابد للحد من الإشعار بالأصل إذا أمكن ذلك فيه ، والرسم غير محتاج إلى ذلك . وأصل الرسم في اللغة العلامة، وفيه رسوم الديار، وفرق المنطقيون بين الرسم والحد ، فقالوا الحد مأخوذ من طبيعة الشيء ، والرسم من المرافعة » (٣) .

ومع ذلك فإن ماورد في فكر ابن تيمية بشأن تعريف الإعلام أو ما يمكن أن يوصف بأنه تعريف للإعلام يجعل من الإعلام علماً بالغ الأهمية في الحياة ، لذلك فهو ينظر إلى الإعلام أو مايمثل حقيقته نظرة تقدير واحترام

---

(١) انظر مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، دار عالم الكتب بالرياض ، ط ،(٧) ١٤٠٦ ، ص ١٣ ـ ١٨ .

(٢) « الحد أتم ما يكون من البيان عن المحدود » (أبو هلال العسكري ، الفروق في اللغة ص ٢٤ ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي » .

(٣) المرجع السابق ، المدرك نفسه .

ويصفه بأنه علم (١) الحجج والدلالات، أو علم الأقوال ، أو علم الحجة والمناظرة ، ويصف المقصرين فيه بالمتهورين وذلك حيث يقول « فقصة إبراهيم في العلم بالحجة والمناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين وقصة يوسف في العلم بالسياسة والتدبير لتحصل منفعة الطلاب. فالأول علم بما يدفع المضار في الدين والثاني علم بما يجلب المنافع أو يقال الأول هو العلم الذي يدفع المضرة عن الدين، ويجلب منفعته، والثاني علم بما يدفع المضرة عن الدنيا ويجلب منفعتها. أو يقال: قصة إبراهيم في علم الأقوال عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها ، فالحاجة إلى طلب المنفعة ودفع المضرة قد تكون إلى القول، وقد تكون إلى الفعل .

ولهذا كان المقصرون عن علم الحجج والدلالات وعلم السياسة والإمارات مقهورين مع هذين الصنفين، تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل أو الدنيا بالظلم، وتارة بالاحتياج إليهم إذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك ، وتارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض في الدين والدنيا ، وتارة يعيشون في ظلهم في مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم ولا وال يظلمهم، وما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدافعة لأهل البدع، والسياسة الدافعة للظلم » (٢) .

---

(١) في كلام ابن تيمية الذي يساق فيما بعد بشأن تعريف الإعلام ما يؤكد إدراكه أن النشاط الاتصالي الإعلامي الذي يقوم على إيصال الحق للناس وإقناعهم به والسعي لقبولهم له هو في حقيقة الأمر علم له قواعده وأصوله ومسائله، وهذا ما جعل الباحث يجعله بمثابة التعريف للإعلام، لأن العبرة بالحقائق لا بالمسميات ، فالإعلام الإسلامي في نظرنا هو « فن إيصال الحق للناس قصد اعتناقه ، والتزامه » (البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ٢٦) .

(٢) دقائق التفسير ، جـ ٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، جمع وتحقيق د. محمد السيد الجليند نشر دار الأنصار بالقاهرة ،ط ١ ، مطبعة الحلبي .

وهذا نص في غاية البيان والوضوح فيما يتعلق بالمراد بعلم الإعلام ، بل وفي مكانته في الحياة وأهميته للمسلمين، وبيان وظائفه الأساسية من حيث هو تدعيم للدين وتعميم له (١).

وذلك من قوله « هو العلم الذي يدفع المضرة عن الدين ويجلب منفعته» (٢)، بالإضافة إلى الحث على إجادته وإتقانه ، وبيان الآثار المترتبة على امتلاك ناصيته في الحياة الإسلامية والآثار المترتبة على التقصير في طلبه وتحصيله على الحياة الإسلامية كذلك .

بل لا يقتصر الأمر على هذا فإنك تجد في ثنايا إنتاجه الفكري اهتماماً بالإعلام جعله يسوق أدلة عديدة لتأكيد هذا المعنى، كأنه يتصور أن هناك من يعارض فيما يذهب إليه ، وذلك حيث يقول « ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه، وتبليغه لغير العرب بالترجمة»[١]، وقوله «فذكرنا في غير موضع أن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ قد بينها الله في القرآن أحسن بيان وبين دلائل الربوبية والوحدانية ودلائل أسماء الرب وصفاته وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين الميعاد ، بين إمكانه وقدرته عليه في غير موضع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية ، فكان في بيان الله أصول الدين الحق ، وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة ،

---

(١) انظر النظرة الإسلامية للإعلام ، د. محمد كمال الدين إمام ، ص ١٤٨ .

(٢) من النص السابق .

(٣) المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق أبي الفداء السيد / حسن عبدالمقصود الأثري ، بإشراف مركز السنة للبحث العلمي ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض ط ١ عام ١٤٠٨هـ، ص ١٩٦ .

فتضمن بيان العلم النافع والعمل الصالح، الهدى ودين الحق » (١)، وقوله: « والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية ، وبلغه الأمة تبليغاً عاماً لم يخص به أحداً دون أحد » (٢) ، ولا كتمه عن أحد، وكان الصحابة والتابعون تذكره، وتؤثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة » (٣) وقوله: « فهذا محتاج أولاً إلى أن يعلم أن محمداً ﷺ رسول الله الصادق المصدوق الذي لا يقول على الله إلا الحق، وأنه بلغ البلاغ المبين، وأنه معصوم عن أن يقره الله على خطأ فيما بلغه وأخبر به عنه » (٤) ، وقوله « وأما مالا يتعلق بالتبليغ عن الله من أفعاله ﷺ فللناس في العصمة منه نزاع وتفصيل ليس هذا موضعه، ومتنازعون في أمر العصمة من ذلك، هل تعلم بالعقل أو بالسمع بخلاف العصمة في التبليغ فإنه متفق عليه ، معلوم بالسمع والعقل ، ومقصود التبليغ تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر » (٥).

وقوله: « وأما الخلفاء الأربعة فلهم في تبليغ الدين ونشر أصله وأخذ الناس ذلك عنهم ماليس لغيرهم .. فالخلفاء لهم عموم التبليغ وقوته التي لم يشركهم فيها غيرهم، ثم لما قاموا بتبليغ ذلك شاركهم فيه غيرهم فصار متواتراً .. فكان الاهتمام بجمع القرآن وتبليغه أهم مما سواه، وكذلك تبليغ شرائع الإسلام إلى أهل الأمصار ومقاتلتهم على ذلك ، واستنابتهم في ذلك الأمراء والعلماء ، وتصديقهم لهم فيما بلغوه عن الرسول ﷺ ، فبلغ من أقاموه من أهل العلم حتى صار الدين منقولاً نقلاً عاماً متواتراً ، ظاهراً

---

(١) النبوات ، ص ١٤٥ .

(٢) يلاحظ في هذا النص معنى الإعلام ـ الجماهيري أو العام كمايسميه شيخ الإسلام ابن تيمية «وبلغه الأمة تبليغاً عاماً» ، وصلة ذلك الوصف بطبيعة الاتصال الجماهيري اليوم .

(٣) شرح حديث النزول، نشر المكتب الإسلامي ، ص ٧٥ ، ١٣٩٧هـ ، ص ٥

(٤) درء تعارض العقل والنقل ، جـ ٥ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٥) درء تعارض العقل والنقل جـ ٥ ، ص ٢٨٥ ، ويلاحظ هنا أن شيخ الإسلام يرى أن هناك إعلاماً بالقول وإعلاماً بالفعل ، وسيجري بيان رأيه في الفرق بينهما فيما بعد إن شاء الله .

معلوماً حتىٰ قامت به الحجة ، ووضحت به المحجة » (١) .

وقوله « فالآيات التي أعلم الله بها رسالة رسله وصدقهم لابد أن تكون مختصة بهم مستلزمة لصدقهم ، فإن الإعلام والإخبار بأن هذا رسول وتصديقه في قوله إن الله أرسلني لايتصور أن يكون لغير رسول ، والآيات التي جعلها الله علامات هي إعلام بالفعل الذي قد يكون أقوىٰ من القول .

وكون الرب أراد بها إعلام عباده بصدقهم ، وصدقهم بها في إخبارهم أنه أرسلهم ، وكونه آية وعلامة علىٰ صدقهم أمر يعلم كما تعلم دلالة سائر الأدلة » (٢) .

وقوله : « وعلم الحجج والمناظرات والمجادلات القائمون به هم أهل الرياسة العلمية ، وعلم السياسة والتدبير القائمون به هم أهل الرئاسة القدرية : علمان يتعاضدان في جلب المنافع ودفع المضار عن الدين والدنيا .. والفاقدون لهذين العلمين أو المقصرون فيهما بحاجة إلىٰ أهلها ، فهم بحاجة إلىٰ أهل الرياسة العلمية إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل .. أو إذا علىٰ أنفسهم من أنفسهم ذلك » (٣) .

وهذه النصوص في مجملها تلتقي مع نظرة الدارسين الإعلاميين الإسلاميين فيما يتعلق بتعريف الإعلام الإسلامي ، وحقيقته وأنه نقل نصوص ومضامين الوحي الإلهي ووقائع الحياة البشرية المحكومة بشرع الله إلىٰ الناس عامة (٤) ، وهذا يعني قيامه علىٰ الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ،

---

(١) الطرق التي يعلم بها صدق الخبر من كذبه ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) النبوات ، ص ١٩١ .

(٣) التفسير الكبير (٤ / ٢٠٣) نقلاً عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلىٰ الله ص ٦٥٧ ، مرجع سابق .

(٤) انظر مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ، ص ١٨ ، مرجع سابق .

وتلبيته لحاجة الناس الفطرية في معرفة ربهم وخالقهم والمنهج الذي يحكم حياتهم، بل والغاية من الحياة ، والحياة التي تليق بكرامة الإنسان .

وهي تلتقي مع دعوة أولئك الدارسين بضرورة التأسي بالرسول ﷺ والسلف الصالح في النهج العملي في إبلاغ مضمون رسالة الله إلى الناس عامة، وتلتقي مع تلك الدراسات في النظرة إلى الثمار المرجوة من إقامة الإعلام على المبادئ والأسس التي قام عليها بلاغ الرسول ﷺ أول مرة إلى جانب العبارات الناطقة بالمعاني الإعلامية كالإعلام والإخبار والظهور والعموم والشيوع والانتشار ، وكلها في حقيقة الأمر تدخل في نطاق مفهوم الإعلام ومحدداته ، بل ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب ، فإن المتتبع لفكر شيخ الإسلام ابن تيمية بحس إعلامي يستطيع أن يلمس بوضوح عمق نظرته لهذا العلم وأبعاده المختلفة ومدى ارتباطه بالملابسات البشرية والزمانية والمكانية « ففي النظرة الإسلامية كما نجدها لدى ابن تيمية لابد من اعتبار ملاءمة الزمان والمكان والفاعل والغاية والنتيجة والتجرد من الأهواء وغير ذلك من الاعتبارات» (١) .

ولعل ما استخلص من فكر شيخ الإسلام ابن تيمية فيما مضى فيما تعلق بمفهوم الإعلام . وعلم الإعلام وأهميته مما يؤكد صدق ما ذهب إليه الدكتور عمارة نجيب بشأن إدراك المسلمين لحقيقة الإعلام وذلك حيث يقول (٢) ، فالحقيقة تؤكد أن الإسلام تناول فن الإعلام باعتباره أسلوباً من أساليب الدعوة، تناوله بالتنظيم والتقنين على أسس علمية استناداً إلى المنهج العلمي بكل ما تعني كلمة علم من معنى وبهذا يعد الإسلام أول من قنن عملية

---

(١) النظرية الخلقية ، ص ٥٤٣ .

(٢) انظر الإعلام في ضوء الإسلام ، د. عمارة نجيب ، مكتبة دار المعارف بالرياض ط ١ ، عام ١٤٠٠هـ ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٣ .

الإعلام في العالم ووضع لها من الأسس والقواعد العلمية التنظيمة ما يشمل سلامة هذه العملية وصحة هدفها وغايتها .. ويمضي قائلاً : ولقد كان صرح العمل الإعلامي الإسلامي الصدق ، قاعدة الإعلام الصالح ، تلتها القواعد والأسس الأخرىٰ من خلال عمل إعلامي منظم ودقيق لتوصيل المضمون الإسلامي الخير ، وتأكدت كافة القواعد بالقرآن والسنة القولية والعملية .

وإذا كان ابن تيمية قد حدد مكانة الإعلام وأهميته في حياة المسلمين ، فإنه لم يكتف بذلك بل حدد حكمه من شرع الله ، فقد جاء في إنتاجه الفكري ما يؤكد أنه يرىٰ أن الإعلام بدين الله واجب ، وذلك حيث يقول « الجهاد شرع ضرورة ، ولو آمنوا بالبرهان لم يكن قتال ، فبيان براهين الإسلام واجب مطلقاً وجوباً أصلياً ، وإن قيل الإسلام ظهرت آياته وبراهينه ولم يبق حاجة إلا إلىٰ السيف ، يقال وعد الله بإظهار دينه علىٰ الدين كله ظهور السيف والسنان والعلم والبيان وبهذا فسره العلماء ، وظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره بالقتال ، وبالأول أسلم الذين قاموا بالجهاد لما رأوا الآيات والبراهين .

وإذا كان جهاد الكفار بالسيف واجبا ابتداء ودفعا فوجوب بيان الإسلام وإعلانه ابتداء ودفعا لمن يطعن فيه بطريق الأولىٰ والأحرىٰ .

والحكم بوجوب الإعلام بدين الله ذهب إليه كثير من العلماء .

فقد نقل القرافي الإجماع علىٰ ذلك حيث قال «فإن التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب إجماعا » .(٢)

---

(١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلىٰ الله ، ص ٦٤٣ . , ٦٤٤ مرجع سابق .

(٢) إعداد المنهج للاستفادة من المنهج في قواعد الفقه المالكي - الشيخ أحمد بن أحمد المختار الشنقيطي ط١ ٧١ ، ١٤٠٣ منشورات إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، ص ٢٨٣ .

وليس بخاف على أحد كثرة النصوص القرآنية والنبوية الدالة على مبلغ العناية بالإنذار والتبشير مما يعني أهمية التخصص في فن الإعلام استناداً إلى أن الرسول ﷺ قد حدد مسئولية كل مسلم تجاه التبليغ والإعلام بدين الله (١)

وظروف العصر وأحواله تؤذن بخطورة الإعلام ، وضرورته وأهميته للحياة البشرية ، مما يؤكد صحة فهم شيخ الإسلام ودقة ملاحظته وصدق حدسه ، ولاغرابة حقيقة في ذلك فمن كان في مثل حاله وشدة صلته بالوحي لايستبعد امتلاء قلبه بالنور ﴿ **ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور** ﴾ (٢) .

ولعله من المناسب إيراد نص من مقدمة محقق كتاب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ختام الحديث عن مفهوم الإعلام أو تعريفه وأهميته عند ابن تيمية باعتباره زبدة ماخرج به المحقق من كلام الشيخ في ذلك الكتاب يقول المحقق فيه : « إن مما اختص الله به الأمة الإسلامية أن جعلها شاهدة يوم القيامة على جميع الأمم قبلها ، لما تحملته من عبء الدعوة التي تتضمن الأمر بكل معروف ، والنهي عن كل منكر ، وتلك لعمري مسئولية مهمة ، ومن ميراث النبوة ذلك أن دعوة جميع الأنبياء في جوهرها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ومن هنا كان علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل إذا هم قاموا بما يجب عليهم تجاه جمهور (٣) الأمة من الأمر والنهي والنصح والإرشاد ، وكان كلمتهم تصدر عنهم من واقع إحساسهم بالمسئولية الملقاة على عاتقهم نحو مجتمعهم حاكمه ومحكومه ، وأوكد على قضية الكلمة والإحساس بأهميتها كأمانة ومسئولية نحو المجتمع كله حاكمه ومحكومه (٤)

(١) انظر الإعلام في ضوء الإسلام ، د. عمارة نجيب ، ص ٢٢٩ - ٢٣٣ مرجع سابق .
(٢) سورة النور آية ٤٠ .
(٣) جمهور كل شيء ، معظمه ، وجمهور الناس جلهم (لسان العرب مادة جمهر) .
(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٥ .

ثانياً : ماهية الإعلام

المقصود بالماهية في سياق دراستنا هذه هو ما يمثل حقيقة الإعلام أو جوهره ، وهو في الحقيقة ماينقل عبر وسائل الإعلام من مضامين مختلفة تشد الناس إليها وتربطهم بها على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم .

وباستقراء مايبث من وسائل الإعلام في الوقت الحاضر على تعددها وتنوعها فإنه يمكن حصره في محاور رئيسة ثلاثة ، كل محور منها له قيمته الإعلامية وخصائصه التأثيرية الذاتية .

وهذه المحاور هي الأفكار والمعاني والآراء وماشاكلهامن المشاعر والعواطف والأحاسيس ، أو ما يشكل مادة الحديث اليومي بين الناس ، ومحور الأحداث من حيث روايتها وتحليلها وتفسيرها والتعليق عليها ومايتبع ذلك من عمليات إخبارية متصلة بالأحداث سواء ماوقع منها في الماضي أو ما يقع في الحاضر ، أو ما يتوقع وقوعه في المستقبل ، وكذلك وقائع الحياة اليومية ، ومحور الأشخاص من حيث أوصافهم ومكاناتهم الاجتماعية وأنشطتهم اليومية ، وغير ذلك من المسائل التي تدخل في نطاق الاهتمام بهم (١) .

مادة الإعلام في الحقيقة هي الحياة بكل أبعادها المختلفة ، ففي الحياة أفكار ومعان وآراء ومعلومات يجري تداولها بين الناس في صور شتى ، وفي الحياة أشخاص يتحركون أنواعا من الحركة قد ينحصر تأثيرها على أصحابها ، وقد يتجاوزهم إلى غيرهم ومنهم القائد ومنهم المقود ، ومنهم الخامل والكسول ، ومنهم السيد والمسود ، وفي الحياة أحداث بعضها جسيم ،

---

(١) انظر الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ٩ ـ ١٠١ مرجع سابق .

وبعضها حقير لكنه منغص ، ومنها مايكون بإرادة الإنسان ومنها ماهو خارج عن إرادته ومنها المفتعل ومنها غير المفتعل .

وهذه الأمور جملة هي ماتمثل لب الحياة . فكل مايجري في حياة الناس اليومية بوقائعها المختلفة هو ماتمثل مادة الإعلام، وهو مايطلق عليه اصطلاح ماهية الإعلام أو حقيقته . أو نقول : إن هذا التصور أو الوجود الذهني هو مايطلق عليه ماهية الإعلام بغض النظر عن التصور عن الوجود الفعلي الخارجي من حيث المطابقة لهذا المعنىٰ أو عدم المطابقة له (١) .

وهذا المعنىٰ الذي نرىٰ أهمية الوقوف عنده باعتباره قضية القضايا في الإعلام كما يرىٰ الدارسون له (٢) لو وقفنا نستجلي معالمه في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية لوجدنا إشارات مضيئة ، بل لوجدنا دلالات واضحة المعنىٰ في هذا الخصوص نبدأها بتعريفه هو للماهية حيث يقول « وهم لو فسروا الماهية بما يكون في الأذهان والوجود بما يكون في الأعيان ، لكان هذا صحيحا لاينازع فيه عاقل ، وهذا هو الذي تخيلوه في الأصل ، لكن توهموا أن تلك الماهية التي في الذهن هي عينها الموجود في الخارج» (٣) فمن خلال عرض هذا التعريف للماهية على ماسبق بيانه بشأن ماهية الإعلام أو حقيقته أو جوهره من حيث الوجود الذهني لهذا العلم ، وما يقابله من وجود خارجي له ندرك درجة المطابقة لما ذهب إليه الشيخ مع أنه لم يكن يتحدث عن ماهية الإعلام، ولكنه كان يتحدث عن الماهية عموما لبيان الفرق بين الوجود الذهني والوجود الخارجي الفعلي .

---

(١) انظر مفاهيم إعلامية من القرآن ص ١٩ - ٣٩ ، مرجع سابق (٢) انظر المرجع السابق المدرك نفسه

(٣) موافقة صريح المعقول حـ١ / ١٧٤ نقلاً عن أثر القرآن على المنهج التفكيري النقدي عند ابن تيمية د . محمود السعيد الكردي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط ١ ١٣٩٥ص ١٢

فالإعلام في الصورة الخارجية مع اشتماله على مكونات الوجود الذهني له طابع آخر يضيف إلى تلك المكونات مكونات أخرى تناسب الوجود الخارجي تقتضيها طبيعة الوجود العملي أداء للصورة الفعلية للموجودات الذهنية ومن هنا رأينا تركيز الدراسات الإعلامية على الجانبين النظري والتطبيقي في الإعلام (١).

ومن تلك الإشارات والدلالات مايلحظه المتتبع لفكر ابن تيمية من تركيز على ضرورة إشاعة معاني الإيمان وحقائق الدين وأحكامه وأخلاقه بين الناس « بل ومن المعلوم أن رغبة رسول الله ﷺ في تعريفهم معاني القرآن العظيم أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه ، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لاتحصل المقصود إذ اللفظ إنما يراد للمعنى » (٢) وكذلك تعليقه على قول الله جل جلاله ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه** ﴾ حيث يقول : « إن المراد بالقول في هذا الموضع القرآن كما جاء ذلك في قوله جل جلاله ﴿ **ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون** ﴾ فإن القول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا باستماعه والتدبر بالنظر والاستدلال والاعتبار

---

(١) انظر مسميات مؤلفات الإعلام التي تعني بهذا المعنى (الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية) للدكتور محيي الدين عبدالحليم ، والإعلام الاسلامي والعلاقات الإنسانية بين النظرية والتطبيق من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ونظريات الإعلام الإسلامي المبادئ والتطبيق للدكتور منير حجاب ، والأصول التطبيقة للإعلام الإسلامي للمؤلف ، وعلم التحرير الصحفي وتطبيقاته العملية في وسائل الاتصال بالجماهير للدكتورة إجلال خليفة ، والإعلام والدعاية نظريات وتجارب للدكتور عبدالقادر حاتم ، والإعلام الإسلامي الدولي بين النظرية والتطبيق ، للدكتور محمد علي العويني ، والأسس العلمية والعملية للإعلام الإسلامي للدكتور عبدالوهاب كحيل .

(٢) هذا نص كلام الشيخ نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٧٣٤ .

والاستماع فمن أمرنا باستماع كل قول أو استماع القول الذي لم يشرع استماعه مثل هذه الأقوال من أصول الكلام المبتدع » (١) « فهذا كله إذا تدبره المؤمن علم علما يقينيا أن الكتاب والقول والحديث وآيات الله كل ذلك واحد » (٢) .

ومن ذلك بيانه لطبيعة الصراط المستقيم « ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال . قد تكون عبادات . وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق ، والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك . وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ولابد ارتباط ومناسبة ، فإنما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة ، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالا » (٣) « فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق » (٤) وفي ذلك أيضا يقول « مع أن المتواتر من أحواله ﷺ وسيرته أنه كان يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وهذا منهج رسل الله جميعاً حيث إنهم يأمرون بالغايات المطلوبة من الإيمان بالله ورسوله وتقواه ، ويذكرون من طرق ذلك وأسبابه ما هو أقوى وأنفع » (٥) « وشيخ الإسلام كثيراً مايركز على أن الرسول بلغ البلاغ المبين وبين مراده ، وأن كل مافي القرآن الكريم والحديث من لفظ يقال فيه إنه يحتاج إلى التأويل الاصطلاحي الخاص ، الذي هو

(١) الاستقامة ، (ص ٢٢٢) .

(٢) المرجع السابق ، (ص ٢٢٤) .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١١

(٤) هذا الكلام منسوب إلى الشيخ نقلاً من الأهداف التربوية والسلوكية ، ص ٨٩ ، مرجع سابق .

(٥) الدرء (٨/ ٦ـ٧ / ٢١) نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة .

صرف اللفظ عن ظاهره، فلابد أن يكون الرسول قد بين مراده بذلك اللفظ بخطاب آخر لايجوز عليه أن يتكلم بالكلام الذي مفهومه ومدلوله باطل، ويسكت عن بيان المراد بالحق، ولايجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه مالم يبينه لهم ويدلهم عليه لإمكان معرفة ذلك بعقولهم، وأن هذا قدح في الرسول الذي بلغ البلاغ المبين الذي هدىٰ الله به العباد، وأخرجهم به من الظلمات إلىٰ النور، وفرق الله به بين الحق والباطل وبين أولياء الله وأعدائه، وبين مايستحقه الرب من الأسماء والصفات وماينزه عنه من ذلك.. (١) وهكذا فإن الأنبياء « دعوا الناس إلىٰ عبادة الله أولا بالقلب واللسان وعبادته متضمنة لمعرفته وذكره، فأصل علمهم وعملهم هو العلم بالله والعمل لله» (٢) « ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم، ومن عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة » (٣) « فكان في بيان الله أصول الدين الحق - وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة فتضمن بيان العلم النافع والعمل الصالح - الهدىٰ ودين الحق » (٤) فمن هذا الذي عرض من نصوص حول عناية شيخ الإسلام ابن تيمية بالمحور الأول من محاور ماهية الإعلام، وهو محور الأفكار والآراء والمعاني عموما، وما يتداوله الناس في هذا الخصوص يظهر إلىٰ أي مدىٰ كان الشيخ سابقاً لزمانه ومدركا لطبيعة ماينبغي التركيز عليه في العطاء الإعلامي الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض، فالفكر الإيماني الذي يوجه شيخ الإسلام ابن تيمية إلىٰ العناية به

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ١٢١١، استناداً إلىٰ الدرء (١/ ٢٢ - ٢٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ٣٣ نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٧٢.

(٣) مجموع الفتاوىٰ ٢/ ١٦ نقلا عن المرجع السابق، ص ٧٣.

(٤) النبوات، ص ١٤٥.

والاهتمام بإشاعته بين الناس هو الذي يعطي الحياة طعمها وخصوصيتها بل إنه هو الذي يمكن الناس من أن يروا الحياة رؤية صحيحة ، بها يتحركون (١) ﴿ **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون** ﴾ (٢) بل إن الحكم على الأعيان والأقوال والأعمال يقوم أساسا على الأرضية الفكرية للحاكم ، وهو في حالنا رجل الإعلام (٣) . بل إن الصراع الفكري أو تناطح الأفكار ـ هو المادة الأساسية في إعلام اليوم . والإعلام هو السلاح الماضي في المعركة بين الحق والباطل (٤) .

ولذلك لاغرابة إذا رأينا شيخ الإسلام ابن تيمية يركز على إشاعة معاني الإيمان وتفاصيل المعتقد الحق بين الناس .

وإذا ما انتقلنا إلى المحور الثاني من محاور ماهية الإعلام وهو محور الأشخاص ، وجدنا شيخ الإسلام ابن تيمية يحرص غاية الحرص على ضرورة الكشف عن حقيقة الأشخاص ، وإظهار الفوارق الواضحة بين النماذج البشرية المختلفة تحقيقاً لمصلحة البشر فهو يقول « ومعنى هذا أيضا أن السنن الكونية التي أقام الله عليها نظام الكون تقتضي التفرقة بين أهل الحق والباطل ، وأهل الطاعة والمعصية ، وأهل البر والفجور ، وأهل الهدى والضلال ، وأهل الصدق والكذب » (٥) .

---

(١) انظر الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ٤٥ ، دار عالم الكتب بالرياض ط١ عام ١٤٠٦

(٢) سورة الأنعام الآية (١٢٢) .

(٣) انظر المرجع السابق ، المدرك نفسه .

(٤) انظر ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، ص ٦٠ ، دار عالم الكتب بالرياض ، ـ ط ١ عام ١٤١٥هـ .

(٥) نقلا عن النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، ص ٢٤٥ .

ومستند شيخ الإسلام في هذا إنما هو كتاب الله جل جلاله حيث يقول المولى سبحانه وتعالى ﴿ **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون** ﴾ [السجدة : ١٨] ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، مالكم كيف تحكمون** ﴾[القلم : ٣٥ ، ٣٦] ﴿ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** ﴾ [ص : ٢٨] (**وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين**)[الأنعام : ٥٥] ولترسيخ المعنى السابق في الأذهان ترى شيخ الإسلام ابن تيمية يمدح من يستحق المدح من الأشخاص ، ويذم من يستحق الذم منهم ، لما في هذا المسلك الإعلامي من أهمية بالغة لتمكين الناس من الاقتداء بالصالحين والنفور من الطالحين .

فهو يقول في حق السلف الصالح : « هؤلاء هم السلف من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، وهذه حالهم علما وفهما وحرصا على تبليغ هذا الدين لمن بعدهم ، فكيف لا يكونون هم الأعلم والأحكم ، وكيف لايكون طريقهم هو الطريق الأسلم» (١) ويقول في حق أهل السنة والجماعة : « فتبين بذلك أن أهل السنة في كل مقام أصح نقلا وعقلا من غيرهم لأن ذلك من تمام ظهور ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله : ظهوره بالحجة ، وظهوره بالقدوة » (٢) ولعلنا نلاحظ في النصين السابقين ربط الثناء على من أثنى عليهم فيهما بقضية البلاغ ، ونشر الدين فهو في النص الأول ينوه بحرص الصحابة والتابعين على تبليغ الدين لمن بعد هم ، ويجعل سبب تميز أهل السنة أنه من تمام ظهور الدين بالحجة والقدوة ، وهو يقول في حق من اتصفوا بالمتابعة

(١) مقدمة في التفسير ص ٣٨ ــ ٥٤ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٨١١ مرجع سابق .
(٢) الاستقامة ص ٢٠٥

لرسول الله ﷺ من الصوفية الأوائل الذين خلا طريقهم من الابتداع : « لهذا قصد أبو القاسم في الرسالة الرد على هؤلاء ، ولما ذكر المشايخ الذين ذكرهم قال (وهذا ذكر جماعة من شيوخ هذه الطائفة كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم كانوا مجمعين على تعظيم الشريعة متصفين بسلوك طريق الرياضة متفقين على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقين على أن من خلا عن المعاملات والمجاهدات ولم يبن أمره على أساس الورع والتقوىٰ كان مفتريا على الله سبحانه وتعالىٰ فيما يدعيه مفتونا هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلىٰ أباطيله » (١) وهو نص غاية في الإنصاف والاعتراف بما لدىٰ الآخرين من فضل ، وهو دون ريب من ثمرات قوة صلة شيخ الإسلام بالقرآن الكريم الذي يقول الله فيه ﴿ **ولايجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ [المائدة : ٨] ويقول ﴿ **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي** ﴾ [الأنعام : ١٥٢] وذلك مايجعل من الإعلام الإسلامي الذي ينطلق من هذا الميزان في الحكم علىٰ الأشخاص إعلاماً شديد التأثير في النفوس .

ولعلنا أيضا نلاحظ في هذا النص المغزىٰ الإعلامي في قوله : (كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضع التنبيه على أنهم كانوا مجمعين على تعظيم الشريعة الخ .....) حيث يتمثل التركيز في النص على المعنىٰ الإعلامي الأساس منه ، أما الشق الأخر من تناول شيخ الإسلام لقضية الأشخاص فنكتفي فيه بالأمر الجامع الذي أورده الدكتور عبدالرحمن المحمود في رسالته للدكتوراه حول موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة (٢) .

---

(١) الاستقامة ، ص ١٠٠ . (٢) سورة المائدة الآية ٨ (٣) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .

(٢) انظر المرجع المذكور ص ٣٠٦ ـ ٣٣٤ ، مرجع سابق .

وذلك حيث يقول « واجه شيخ الإسلام خصوماً كثيرين، ويجمعهم أنهم المخالفون لمذهب السلف، ولذلك تنوعوا حسب الفرق والطوائف المشهورة ...ولذلك رد شيخ الإسلام على جميع الطوائف تقريباً ، ابتداء بملا حدة الفلاسفة والتصوف والباطنيين والرافضة إلى أصحاب المقالات المنحرفة .. وكان منهجه في الرد عليهم يقوم على أساسين بارزيين ، بيان حال الخصوم من أهل البدع والانحراف ، وشرح مناهجهم وخلفياتهم ، لأن الحكم عليهم ونقض أقوالهم لابد أن يكون مبنياً على المعرفة بأحوالهم .. والثاني رده عليهم وهو يقوم على الإنصاف والعدل والثقة بما عنده والانطلاق من الكتاب والسنة، يقول في حق فئة منهم : « نعم لهم في الطبيعيات كلام غالبه جيد ، وهو كلام كثير واسع ، ولهم عقول عرفوا بها ذلك وهم يعصون الحق لايظهر عليهم العناد ، لكن جهال بالعلم الإلهي إلى الغاية ، ليس عندهم منه إلا قليل كثير الخطأ » (١) ولا يعزب عن البال المعنى الإعلامي في هذا النص فيما يتعلق بالقضية المثارة ، منهج شيخ الإسلام في الرد على الخصوم، كما قرر هنا يقوم على دعامتين هامتين إعلاميا، هما بيان حال الخصوم وشرح مناهجهم في الانحراف ثم العدل في الحكم عليهم ، مما يمكن الناس من التعامل معهم تعاملا صحيحا ، وينطلقون في أحكامهم عليهم من معرفة تامة بهم وإدراك لطبيعة انحرافهم ، ولو أن الإعلام في الدول الإسلامية سلك هذا المسلك في الإخبار عن الأشخاص لكان للناس شأن آخر فيما يجري في الحياة من أمور . والمنهج الذي تبناه شيخ الإسلام ابن تيمية في الإخبار عن الأشخاص والذي ندعو إلى تبنيه في الطرح الإعلامي الإسلامي مستمد من كتاب الله جل جلاله على سبيل المثال لا الحصر ، اقرأ قوله جل جلاله : ﴿**واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيًّا** ... ﴾ [مريم : ٤١] .

---

(١) الفتاوى ١٧ / ٣٦٣ نقلا عن المرجع السابق - المدرك نفسه .

﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا* وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ [مريم : ٥١ ، ٥٢] ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا* وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ [مريم : ٥٤ ، ٥٥] ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا* ورفعناه مكانا عليا ﴾ [مريم : ٥٦ ، ٥٧] ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ [الفتح : ٢٩] ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾ [التحريم : ١٠-١٢] .

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها * ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون * ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٧] ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين ﴾ [الجمعة : ٥] ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإن لك لأجراً غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٢ ـ ٤] .

﴿ ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين ، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾

[القلم : ١٠ ــ ١٥] وغيرها من نصوص القرآن الكثيرة الدالة بلفظها ومعناها ومغزاها على أهمية هذا المنهج الإعلامي في الإخبار عن الأشخاص في استقامة تعامل الناس مع الأشخاص الذين تقتضي ظروفهم المعيشية والحياتية المختلفة التعامل معهم في صور شتى. مبنى السداد في هذا التعامل على المعرفة التامة بهم. ولعلنا نختم هذا المقطع بكلام للشيخ يكشف عن أسباب مدح الله لقوم وثنائه عليهم وأسباب ذم الله لآخرين وتنفير الناس منهم، وذلك هو قوله « والمحمودون الذين أثنى الله عليهم هم المتبعون لذلك (١) استماعا وتدبرا وإيمانا وعملا، أما مدح الاستماع لكل قول فهذا لايقصده عاقل فضلا عن أن يفسربه كلام الله، وهذا يتوكد بالوجه الثالث وهو أن الله (سبحانه) في كتابه إنما حمد استماع القرآن وذم المعرضين عن استماعه» (٢) وهذا الذي قرره الشيخ هنا يؤكده قوله جل جلاله ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم، ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم، كذلك يضرب الله للناس أمثالهم** ﴾ [محمد : ١ ـ ٣] وقوله جل جلاله ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه** ﴾ [البينة : ٦ ـ ٨] فما أجمل ماذهب إليه الشيخ!!

وما أجمل ماكتب !!

---

(١) الإشارة إلى القرآن في نص سابق لهذا الكلام.

(٢) الاستقامة، ص ٢٢٧.

« والجمال الذي يلحق من العلم والإيمان والتقوىٰ أعظم من الجمال الذي للخلق ، وهو الصورة الظاهرة ، وكذلك من اللباس الظاهر فلباس التقوىٰ أعظم وأكمل وهو يحب الجمال الذي للباس التقوىٰ أعظم من الجمال الذي للباس الرياش ، ويحب الجمال الذي للحق أعظم مما يحب الجمال الذي للخلق » (١) وصدق الله ﴿**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذَّكَّرُون**﴾ سورة الأعراف : ٢٦] . وكما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية اتجاه ورأي في محوري ماهية الإعلام السابقين نجده لايغفل المحور الثالث وهو محور الأحداث فهو كثيرا مايقرن « بين الأحداث التاريخية والبدع التي صاحبتها ، والشواهد علىٰ ذلك من كتابات شيخ الإسلام كثيرة ، ففي إحدىٰ رسائله يتحدث بشكل موسع عن ظهور البدع وتاريخها فيذكر أنه في آخر خلافة علي رضي الله عنه ظهرت بدعة الخوارج والرافضة لأنها متعلقة بالإمامة والخلافة ، ثم حدثت فتنة أهل الحرة ، وقصة ابن الزبير بمكة ، وظهور المختار بن أبي عبيد بالعراق، وذلك في آخر عهد الصحابة ، فحدثت بدعة القدرية والمرجئة » (٢) وهذا الاتجاه عند شيخ الإسلام ابن تيمية في سرد الأحداث الجسام التي وقعت في تاريخ الأمة وربط آثارها بمسبباتها يكشف عن مبلغ الحس الإعلامي عند الشيخ فهو مع تبنيه للأحداث وما قد يحدث عنها في الحياة ، يوجه بأسلوب معالجته إلىٰ ضرورة الوقوف في تحليلها وتفسيرها بعمق عند أسبابها ومراميها ، وأهمية الغوص وراء ما قد يكون خلفها من انحراف في الفكر والسلوك ، ومن ثم يمكن استخلاص العبر والعظات منها

---

(١) الاستقامة ص ٤٤٢

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٣١٢، مرجع سابق .

سعيًا وراء الاستفادة المثلىٰ من تناولها إعلامياً (١) .

ثالثًا : مصادر الإعلام الإسلامي

الإعلام الإسلامي كعلم وتطبيق لايختلف عن غيره من أنواع الإعلام الأخرىٰ من حيث قيامه علىٰ الفكر ومن حيث انتمائه ولكنه يختلف مع ذلك عن أنواع الإعلام الأخرىٰ ويتميز عنها تميزا كاملا من حيث طبيعة المصادر التي يقوم عليها ، ومن حيث الخصائص التي اكتسبها من مصادره ، ومن حيث الآثار التي نشأت عن طبيعته المتميزة ، بل ومن حيث صلاحيته للتطبيق في الواقع البشري فهو إعلام واقعي مرن ، قادر علىٰ مواجهة المستجدات أي أنه يتصف بالأصالة والمعاصرة ، وهو إعلام ملائم للفطرة البشرية ، ومستجيب لحاجات الناس في الحق والخير والجمال ، وهو إعلام يقوم علىٰ مبادئ الحق والخير والعدل ، وهو إعلام منصف متجرد عن الأهواء والأغراض الشخصية ، وهو إعلام شامل لهموم البشر في جوانب حياتهم المختلفة ، وهو إعلام يقدم حلولا حقيقية وناجحة للمشكلات التي يتعرض لها البشر لقيامه علىٰ النور الذي جاء به الرسول ﷺ ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾ المائدة : ١٥ ، ١٦] ، وارتباطه بالاستطاعة والإمكان ولوضوحه وسلامة منهجه ، وسمو هدفه ونبل غايته وعلو همة أصحابه وضخامة قضيته (٢) .

---

(١) انظر في مكانة الأحداث في بناء الرأي العام - الرأي العام في ضوء الإسلام ، للمؤلف ، ص ٩٦ - ١٠٧ ، ط ٣ عام ١٤١٤هـ دار المسلم للنشر والتوزيع .

(٢) انظر أصول محاضرات للمؤلف في مادة مدخل إلىٰ الإعلام الإسلامي لطلاب المستوىٰ الجامعي بقسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بالرياض .

وارتباط الإعلام بالعقائد والمبادئ والقيم والأخلاق أمر ليس فيه خلاف بين الدارسين للإعلام واختلاف العقائد والمبادئ بين بني البشر أيضا أمر لاخلاف فيه ، ولاخلاف أيضا بين الدارسين على العلاقة العضوية بين الإعلام والأصول العقدية والفكرية للمجتمعات التي يمارس فيها الإعلام لكن الخلاف إنما هو في النظرة إلى تلك الأسس (١) وما يميز أصول الإعلام الإسلامي هو أنها من عند الله وأنها تقيم الحياة كلها على التوحيد الخالص الذي هو أس الفضائل وتقيم شواهد الدلالة على بطلان الشرك الذي هو أس الرذائل واستحالته ، فتؤسس النظرة إلى الحياة كلها على هذا الأصل الأصيل يقول ابن قيم الجوزية في معرض بيان هذه الحقيقة الكبرى « والفكرة فكرتان فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة التمييز بين الحق والباطل والثابت والمنفي ، والتي تتعلق بالطلب والإرادة فهي الفكرة التي تميز بين النافع والضار ثم يترتب فكرة أخري في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها ، والطريق إلى مايضر فيتركها ، فهذه ستة أقسام لاسابع لها هي مجال أفكار العقلاء ، وأصلها الفكرة في التوحيد وهي استحضار أدلته وشواهد الدلالة على بطلان الشرك واستحالته » (٢) . وقريب من هذا المعنى ماذهب إليه الشيخ زين العابدين الركابي حيث يقول « بعد هذه المقدمة نستخلص الأسس الهادية لنظرية الإعلام الإسلامي » .

---

(١) انظر الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ٥ مرجع سابق ، وانظر الإعلام ومناهج التفكير للشيخ زين العابدين الركابي . ص ٤ ، مذكرة . غير مطبوعة .

(٢) تهذيب مدارج السالكين ص ١٠٥ نشر وزارة العدل والشئون الإسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة .

الإيمان بالله تعالىٰ وهذا أصل وأساس لايعتمد عليه الإعلام وحده ، بل كل علم أخر كالاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع ، فالأساس الأول لكل هذا الإيمان بالله ونحن إذا دققنا النظر في النظريات الأخرىٰ نجد لها أصلا عقائديا ، فالنظرية الماركسية مثلا تعتمد في أصل أصولها الإلحاد ، والنظرية الليبرالية أصل أصولها العقدية المسيحية ، والإعلام الصهيوني يقوم علىٰ أصل الاعتماد علىٰ نصوص التوراة (١) وكذلك كل أسس النظرية الإسلامية تقوم علىٰ أساس الأسس وهو الإيمان بالله الواحد الأحد لأن الذي لايؤمن بالله لايصلح له عمل.» (٢) وهذا نفسه ما يقوله شيخ الإسلام ابن تيمية «فأصل الصلاح التوحيد وأصل الفساد الشرك والكفر » (٣) وعلىٰ هذا يمكن أن نؤسس قاعدة أساسية فيما يتعلق بعلاقة الإعلام بالفكر ، وهي أن الإعلام انبثاق من عقيدة (٤) وهذا في الحقيقة ما استخلص من دراسة سورة من سور القرآن الكريم هي سورة الأنعام دراسة إعلامية. وصولا إلىٰ فلسفة إعلامية نابعة من مصادر الإسلام الأصيلة حيث كشفت تلك الدراسة عن تلازم بين طبيعة الاعتقاد وبين طبيعة الحياة البشرية ، فسورة الأنعام « قد تضمنت إجابة شافية لكافة التساؤلات التي تثار عادة حول أسس فلسفة الإعلام سواء من حيث طبيعة التصور الاعتقادي أم من حيث طبيعة المعرفة ، أم من حيث طبيعة الإنسان وارتباطاته المختلفة أم من حيث طبيعة الوجود حوله أم من حيث مركزه فيه ، وعلىٰ ذلك يمكن التقرير في هدوء أن السورة قد تضمنت

---

(١) لابد من وصفها بالتحريف ، لان التوراة غير المحرفة مما نؤمن به كذلك ولايمكن أن تختلف مع القرآن في مسألة الاعتماد .

(٢) اصول محاضرات للشيخ في مادة منهج الإعلام الإسلامي بالمستوىٰ الجامعي بقسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بالرياض ، ص (٣٤ ، ٣٥).

(٣) الفتاوىٰ جـ(١٨ / ١٦٣).

(٤) الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ٧ ، مرجع سابق .

تحديدا بينا للأسس الفكرية والأصول الاعتقادية التي يقوم عليها نظام الإعلام في الإسلام. ففي السورة الكريمة بيان للحقائق الكبرىٰ التي يتعامل معها الإنسان «حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية» وهما موضوع العقيدة، موضوع السورة الأساسي وأس الإعلام» (١) «وسورة الأنعام بيان لحكم الله في الوقائع والأقوال ووصف لمن تصدر عنهم » (٢) وبدء السورة ﴿ **الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون** ﴾ [الأنعام: ١] ، ترسيخ لهذا المفهوم ، مفهوم قيام الحياة علىٰ التوحيد، وكذلك ختامها ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين * قل أغير الله أبغي رباً وهو ربّ كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ..** ﴾ إلىٰ قوله جل جلاله: ﴿**إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم**﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٥] . فهو بيان « إعلامي يوحي بالشكر ويفيض بالثقة واليقين في بناء العبادة اللفظي ودلالاتها المعنوية ، وهو خاتم يناسب سورة البلاغ والإعلام والمبادئ العليا لدعوة الإيمان المتضمنة الحق والمسايرة للفطرة وهو تأكيد علىٰ أهمية توحيد الألوهية» (٣) أساس الحق ومصدره وأصل أصول الإعلام الإسلامي . وإذا كان ذلك كذلك في حق الإعلام الإسلامي ، فإن الإعلامات الأخرىٰ مرتبطة كذلك بطبيعة الأفكار السائدة في مجتمعاتها ذلك أن الأفكار أحيانا ترقىٰ «إلىٰ مرتبة المبادئ والعقائد وذلك مايعني أنها تشمل المفاهيم السائدة والمبادئ الراسخة والتصور الذهني الصادر عن أصل فكري ، وتفسير الإنسان للأشياء والحوادث والظواهر، ونواميس الكون والحياة النابع من

---

(١) الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ٥ ، ٦ مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨

(٣) الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ٦٩ ، ٧٠ مرجع سابق .

أصل فكري ، وفهم للحياة والأشياء والعوالم فهما تحكم به الحياة ، وتنطلق منه المعايير والموازين والقيم ويصدر عنه في السلوك، ففهم المسلمين القائم على العلم أورثهم البصيرة وخلصهم من الحيرة والاضطراب ، وفهم المشركين القائم على الوهم والخرص أوقعهم في الظلمات فهم في أمر مريج ، والموازنة بين آثار أفكار الفريقين على الحياة تكشف عن مفارقات عجيبة في حكم كل من الفريقين على الأعيان والأقوال والأعمال وتحدد بالتالي مذهب كل منهما في الإعلام والتوجيه» (١) . ومعلوم أن الإعلام في حقيقة الأمر إنما هو أحكام يصدرها المعلم على الأعيان والأقوال والأفعال ، سواء كان موضوع الإعلام أفكارا ومعاني أو كان موضوع الإعلام أحداثا توصف وتحلل وتفسر ، أو كان موضوع الإعلام شخصيات تبرز أو أخرى تهمل (٢) . وهكذا وجدنا شيخ الإسلام ابن تيمية يقيم دعائم الفكر على أساس من العقل والفطرة والدين ، وهي الدعائم التي بنى عليها أساس نظرته للبواعث والغايات ، والفضائل والرذائل وذلك انطلاقا من القرآن والسنة وأقوال السلف المشهود لهم بالفضل والعلم (٣) ويقيم على الدعائم نفسها نظرته لحركة الحياة البشرية السوية ، حيث يربط بين الدين والحياة والاهتمام بالإصلاح والعلاج التدريجي ، ، والدعوة إلى تبني الوسائل التي تحبب فيها إقناعا أو مكافأة أو بهما معاً (٤) مع الربط بين الأسسس الدينية والشرعية للأخلاق والتركيز على الجوانب النفسية والوجدانية والنظرة الجمالية الشمولية التي تأخذ في حسبانها الجوانب المادية والروحية

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ص٢٥ مرجع سابق .

(٣) انظر النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص٥٥٧ ، ٥٦٤ مرجع سابق

(٤) المرجع السابق المدرك نفسه .

والمعنوية (١) ولهذا فإن الأنبياء « دعوا الناس إلى عبادة الله أولا بالقلب واللسان، وعبادته متضمنة لمعرفته وذكره فأصل علمهم وعملهم هو العلم بالله والعمل لله (٢) «ثم من العلم به تتشعب أنواع العلوم، ومن عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة» (٣) فشيخ الإسلام بما سبق إنما يقيم نظرته في دعوة الناس وإعلامهم بالحق على أساس الإيمان والعمل الصالح أو العقيدة والعبادة معا (٤) ومن ثم فإن الإيمان هو حجر الزاوية في فكر ابن تيمية، والوحي هو مصدر هذا الفكر وبالتالي فإن الإيمان هو حجر الزاوية في الإعلام الإسلامي والوحي مصدره الأساس، وكذلك العقل المستنير به، والفطرة المستضيئة به ﴿**نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ (٥) والحس المنضبط بالوحي أيضا (٦) يقول ابن تيمية « وطرق العلم ثلاثة الحس والعقل والمركب منهما بالخبر، وقد قامت الأدلة اليقينية على نبوءات الأنبياء وأنهم قد يعلمون بالخبر مالايعلم إلا بالخبر، وكذلك يعلمون غيرهم، ونفس النبوة تتضمن الخبر، فإن النبوة مشتقة من الإنباء وهو الإخبار بالغيب (٧) وهذاالتطابق بين مايمكن استخلاصه من فكر ابن تيمية حول أصول الإعلام ومصادره وبين رؤية الباحثين الإعلاميين الإسلاميين حول تلك الأصول إنما كان بسبب صدور الجميع عن مصدر واحد هو الوحي بشقيه القرآن والسنة .

---

(١) المرجع السابق المدرك نفسه .

(٢) الفتاوى ٢ / ٣٣ نقلا عن منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ، ص ٢٧٢ مرجع سابق .

(٣) الفتاوى ٢ / ١٦ نقلا عن منهج شيخ الإسلام ، ص ٧٣ ، مرجع سابق .

(٤) انظر منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ، ص ٤٨٩ ، مرجع سابق .

(٥) سورة النور الآية ٣٥ .

(٦) انظر أصول محاضرات للمؤلف في مادة الأسس الفكرية لنظريات الإعلام في المستوى الجامعي بقسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام . (٧) الدرء ١ / ١٧٨ ـ ١٧٩ ، نقلا عن منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ، ص ١٥٨ مرجع سابق .

وأفكار المسلمين وتصوراتهم القائمة على أساس من الحق الذي حمله ذلك المصدر (الوحي) هي في حقيقة الأمر أفكار وتصورات تغير المفاهيم والقيم والموازين التي لاتقوم على سند من حق، وتحدد بالتالي منبع القيم ومصدرها فالمسلمون ربانيو الفكر، ربانيو التصور، ربانيو السلوك مجتمعهم مؤسس على الإيمان والتقوى (١) وتأسيسا على ذلك يمكن القول « إن الممارسات والوقائع الاجتماعية إنما هي تفسير للأفكار أو أن مظاهر الحياة في ممارستها اليومية المختلفة إنما هي ترجمة طبيعية للأفكار حيث تنتقل الأفكار إلى عالم الأفعال مؤكدة شدة الارتباط بين الأفكار والأفعال (٢) وما من شك في أنه لا وجه للمقارنة بين الأفكار التي تصدر عن حقائق الوحي أساس الإعلام الإسلامي وأصله الأصيل ، وبين الأفكار التي تصدر عن أوهام وضلالات وأهواء بشرية كما هو واقع الإعلام في المجتمعات الكافرة اليوم . كما أنه لا وجه للمقارنة بين وقائع حياة يصدر فيها عن الحق وحياة يصدر فيها عن الضلال ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّلَ على محمّد وهو الحقّ من ربهم كفّر عنهم سيّئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأنّ الذين كفروا اتّبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتّبعوا الحق من ربّهم كذلك يضرب الله للنّاس أمثالهم** ﴾[سورة محمد: ١-٣]، ولا مجال كذلك للموازنة بين نظام إعلام يصدر عن حقائق الوحي الناصعة من حيث الوضوح والقوة والصدق والموضوعية وبين إعلام يصدر عن فكر مريض سقيم (٣) ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنّماهم في شقاق** ﴾ (٤) وسداد حركة الحياة وانتظامها مرهون بسلامة الفكر واستقامته واضطرابها وضلالها باعوجاج الفكر وسقمه ، وهذا هو خلاصة ما يمكن الخروج به من تتبع فكر

(١) الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامى ص ٦٥ مرجع سابق .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٦ .

(٣) انظر الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ص ٧٠-٧١ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٧ .

شيخ الإسلام ابن تيمية. والإعلام إنما هو جانب من جوانب الحياة مع أن الحياة بكافة أبعادها هي مادة الإعلام الإسلامي وموضع اهتمامه (١) «وقد بعث الله محمداً ﷺ لتحقيق التوحيد وتجريده ونفي الشرك بكل وجه حتى في الألفاظ» (٢) وهكذا يجب أن يكون الإعلام الإسلامي في أصله الفكري وفي طبيعته، وخصائصه وآثاره.

رابعاً: غاية الإعلام الإسلامي أو « الهدف من الإعلام »:

احتل هدف الإعلام أوغايته في الدراسات الإعلامية الإسلامية مكانا عاليا، وأولته تلك الدراسات عناية فائقة (٣) وربطت تلك الدراسات بين غاية الإعلام والغاية من خلق الإنسان، واهتمت بالعلاقة بين أهدافه وغاياته، وأهداف الأنظمة الأخرى في المجتمع وغاياتها وأكدت العلاقة بين دقة الهدف وسلامة الأداء الإعلامي وأوضحت العلاقة بين غايات الإعلام وأهدافه وبين الاحتياج الحقيقي للإنسان انطلاقا من القول بأن هدف الإعلام إنما هو مساعدة الإنسان على التكيف والانسجام مع نفسه ومع مايحيط به من عوالم وظروف وأحوال، بل إن الدراسات الإعلامية الإسلامية تجاوزت ذلك إلى الربط بين غايات الإعلام وغايات العلم عند المسلمين (٤) ومعنى ذلك بوضوح أن هناك مبادئ أساسية تقوم عليها نظرة الدراسات الإعلامية الإسلامية فيما يتعلق بتحديد غايات العمل الإعلامي الإسلامي تتمثل في قيام تلك النظرة على التوحيد الخالص، وأهمية الاستجابة لمتطلبات الإنسان باعتباره مخلوقا كرمه الله، ومن ثم وجب قيام الإعلام على تطبيق تلك

---

(١) انظر نحو تأصيل للدراسات الاتصالية، للمؤلف، ص ٥٣، دار عالم الكتب بالرياض، ط ١ عام ١٤١٥هـ.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٤٩، من مؤلفات الشيخ المشهورة.

(٣) انظر ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، ص ٩٦-٩٨، مرجع سابق وانظر البرامج الإعلاميه بين الواقع والأمل، ص ١٩-٢٤ مرجع سابق.

(٤) انظر ركائز الإعلام، ص ٩١-٩٨ مرجع سابق.

الشريعة وتحقيق الإشباع الإعلامي للإنسان في ظلها ، فجاء الإعلام وفق هذه النظرية وسيلة لبلوغ غاية هي تحقيق مرضاة الله سبحانه وتعالىٰ ، وكل ما جاوز هذه النظرة من الوسائل والغايات لايدخل في نطاق اهتماماتنا البحثية والدراسية « بل ولا العملية (١) . هذا علىٰ سبيل الإجمال زبدة مايمكن الخروج به من الدراسات الإعلامية الإسلامية فيما يتعلق بغاية الإعلام وهدفه ، ولاتختلف الدراسات الإعلامية العامة عنه فيما يتعلق بأهمية الهدف الإعلامي ، وشدة العلاقة بينه وبين احتياجات الإنسان وسلامة الأداء الإعلامي (٢) **فما الذي يمكن الخروج به من فكر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا السبيل (غاية الإعلام)** ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال نريد أن نؤكد أن الأجابة إنما هي استنباط من استنطاق أقوال شيخ الإسلام المبثوثة في إنتاجه أو في الدراسات التي قامت علىٰ فكره ، ولايظنن ظان أن شيخ الإسلام قد كتب كتابة مستقلة تحت عنوان غاية الإعلام . ومن خلال ماسبق يمكن القول في اطمئنان كبير أن هناك تطابقاً تاما بين مايمكن استنباطه من فكر ابن تيمية حول غاية الإعلام وما انتهت إليه الدراسات الإعلامية الإسلامية ، فهو يرىٰ أن الغاية من أي نشاط في الحياه البشرية السوية ينبغي أن يكون عبادة لله ، فأصل علم الأنبياء وعملهم هو العلم بالله والعمل لله (٣) وتحقيق العبودية الكاملة لله عن طريق تنمية الاتجاهات السلوكية البناءة في نفس المؤمن والعمل بمقتضاها (٤) وإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور باعتبار ذلك هو وظيفة الرسول ﷺ ، الذي هدىٰ الله به العباد وأخرجهم من الظلمات إلىٰ النور (٥) .

---

(١) انظر هوامش المرجعين السابقين في المدارك المحددة ، وانظر خطوط رئيسة في الاقتصاد الإسلامي ، محمود أبو السعود ، ص ١١-١٤ مكتبة المنار الإسلامية بالكويت ، ط ٢ ، عام ١٣٨٨هـ .

(٢) انظر مدارك مبحث غايات الإعلام في ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ص ٨٥-٩١ مرجع سابق .

(٣) انظر الفتاوىٰ حـ ٢/ ١٥ نقلاً من موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص٢٧٢ ، مرجع سابق .

(٤) انظر الفتاوىٰ حـ ١٠ نقلا عن الأهداف التربوية والسلوكية ، ص ١٤٩ .

(٥) انظر الدرء حـ/ ١ (٢٢ - ٢٣) نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ١٢١١ مرجع سابق .

ومعنىٰ ذلك في وضوح أن الغاية الأساسية من نشاط الإعلام باعتباره أحد أنظمة المجتمع المسلم ، إنما هي هداية الخلق إلىٰ الحق فالله سبحانه وتعالىٰ (بين أنه أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله) ، والهدىٰ هو هدي الخلق إلىٰ الحق ، وتعريفهم ذلك وإرشادهم إليه) (١) ومن أبرز جوانب الهداية تعريف العباد. برب العباد و « العباد إنما عرفوا ربهم بما لطف به من تعرفه إليهم ، وهدايته إياهم بما أعطاهم » (٢) كما أن من أبرزها تعليم الناس وهدايتهم ، والرسول ﷺ « هو أحرص الخلق علىٰ تعليم الناس وهدايتهم » (٣) ومن جوانب الهداية التي يسعىٰ الإعلام الإسلامي لتحقيقها إصلاح دين الخلق وأن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا (٤) ومن سبل الهداية البيان والتعريف والبلاغ ، ومن أوضح الدلائل علىٰ أهمية ذلك حرص الرسول ﷺ علىٰ الوفاء بمتطلبات البلاغ المبين ، « ولهذا كان ﷺ من شدة حرصه علىٰ هداهم يحصل له ألم عظيم إذا لم يهتدوا حتىٰ يسليه ربه ويعزيه كقوله تعالىٰ ﴿ **إن تحرص على هداهم فإن الله لايهدي من يضل** ﴾ وقال تعالي ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ **وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ ثم إنه سبحانه وتعالىٰ أمره بالبلاغ المبين فقال تعالىٰ ﴿ **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنّما عليه ماحمّل وعليكم ماحمّلتم وإن تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ وقال تعالىٰ ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا**

---

(١) النبوات ، ص ٢٢٧ ، مرجع سابق.

(٢) الاستقامة ، ص ١٨٤ ، مرجع سابق .

(٣) الدرء ٥/ ٣٧١ ، مرجع سابق.

(٤) السياسة الشرعية ، مرجع سابق.

أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ ، وقال تعالىٰ ﴿ **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولاحرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾** (١) ومعلوم أنه ﷺ كان من أفصح الناس وأحسنهم بيانا واللغة التي خاطب بها أتم اللغات وأكملها بيانا ، وقد امتن الله عليهم بذلك (٢) « فإذا كان المخاطب أعلم الخلق بما يخبر به عنه ، ويصفه ويخبر به ، وأحرص الخلق علىٰ تفهيم المخاطبين ، وتعريفهم وتعليمهم وهداهم ، وأقدر الخلق علىٰ البيان والتعريف لمايقصده ويريده كان من الممتنع بالضرورة أن لايكون كلامه مبينا للعلم والهدىٰ والحق ، فيما خاطب به ، وأخبر عنه ، وبينه ، ووصفه ، بل وجب أن يكون كلامه أحق الكلام بأن يكون دالا علىٰ العلم والحق والهدىٰ وأن يكون ما ناقض كلامه من الكلام أحق الكلام بأن يكون جهلا وكذبا وباطلا ، وهذا قول جميع من آمن بالله (عز وجل) ورسوله ﷺ) (٣) ومن سبيل الهداية تركيز الانتباه نحو تحقيق الاعتبار والاتعاظ ، « ومما يبين ذلك أن الله تعالىٰ لم يقص علينا في القرآن قصة أحد إلا ليعتبربها لما في الاعتبار بها من حاجتنا إليه ومصلحتنا وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول ، وكانا مشتركين في المقتضىٰ للحكم ، فلولا أن في نفوس الناس من جنس ماكان في نفوس المكذ بين للرسل (فرعون ومن قبله) لم يكن بنا حاجة إلىٰ الاعتبار بمن لا نشبه قط » (٤) ومن سبل الهداية قيام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالىٰ

---

(١) ورد هذا النص الكريم في كتاب الشيخ بغير الصورة الصحيحة حيث خلط بينه وبين نص في سورة الأنعام .

(٢) درء تعارض العقل والنقل . ٥ / ٣٧١-٣٧٣ ، مرجع سابق

(٣) المرجع نفسه والمدرك نفسه .

(٤) الفتاوي حـ ١٠ / ٣٠١ ، مرجع سابق

﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وقال عمر رضي الله عنه « إنما تنقض عرىٰ الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية .. وهو كما قال عمر ، فإن كمال الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله ، ومن نشأ في المعروف لم يعرف غيره ، فقد لايكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ماعند من علمه ، ولايكون عنده من الجهاد لأهله ماعند الخبير بهم ، ولهذا يوجد (عند) الخبير بالشر وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه ومنع أهله ، والجهاد لهم ماليس عند غيره . ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم ، لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير ، وبغضهم للشر ، لما علموا من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح ، وقبح حال الكفر والمعاصي ، ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص علىٰ الغنىٰ والصحة والأمن ممن لم يذق ذلك ، ولهذا يقال والضد يظهر حسنه الضد» (١) ومن جوانب الهداية وموجباتها تحقيق القدرة علىٰ التمييز بين الحق والباطل ، فالله الذي خلق الخلق لعبادته ﴿**وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ : [الذاريات : ٥٦] لم يكن ليترك عباده هملا ، بل أرسل الرسول تلو الرسول داعين لعبادته مبشرين ومنذرين وهو سبحانه « خلقهم وأحسن إليهم ، وأرسل لهم الرسل حتىٰ يفصلوا بين الحق والباطل ، فمن أحسن كافأه بالجنة ، ومن عصىٰ كافأه بالنار » (٢) .

---

(١) الفتاوىٰ حـ ١٠ / ٣٠١ ، مرجع سابق .

(٢) شرح حديث النزول ، ص ١٥٩ ، من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية .

﴿ **ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون** ﴾ [القصص : ٥١] و « كان الرسول ﷺ يعلم يقينا أن أداء مهمته كرسول يقتضي تبليغ دعوة الله إلى الناس كافة » وتوصيل منهجه وشرح ما ماأتى به الإسلام من شرائع وأحكام، ومعاملات وعبادات وحث الناس على اعتناق الإسلام دينا وتطبيق ما أمر به والابتعاد عما نهي عنه، وكان النبي ﷺ يدرك أنه يواجه تحويل مجتمع الجاهلية هذا إلى مجتمع جديد يقوم على التوحيد ومبادئ الإسلام ويقنعهم بها ، ويضع الأسس التي تكفل رسوخها في نفوسهم » (١) وفكر ابن تيمية لايقف عند هذا الحد مما يمكن استنباطه حول غايات أنشطة الحياة البشرية السوية وخاصة النشاط الإعلامي، وإنما يتجاوز ذلك إلى بيان آثار الغايات على النشاط والعلاقة بين المثال والواقع كما ألمح إلى ذلك دارسو فكره ، يقول الدكتور محمد عبدالله عفيفي تعليقا على مجموعة من النصوص لابن تيمية « ومن هذه النصوص تبين أن المثل الأعلى ، ليس فكرة صورية تجريدية مرتبطة بالواجب أو الخير ، كما يقول المثاليون ، وإنما هي في الإسلام مرتبطة بباعث أو غاية .. تقوم أساسا على مدى مالدى الإنسان من قدرات متاحة معتمدة على المعرفة والحرية ونبل الباعث والغاية، ومن ثم فالمثل الأعلى هو الغاية التي يتجه إليها فعل الفاعل يتخلص بها من كل ما يتعارض مع جوهر الخلقية، وهو جوهر الدين كذلك» (٢) . وذلك مايعني إدراك غاية الأفعال الخلقية والنتائج التي تترتب على السلوك ، ومن ثم فدراسة فكره تكشف عن شدة عنايته بالحق والواجب والخير والفضيلة (٣) لذلك رأينا تقسيمه البواعث والغايات إلى بواعث وغايات دينية وبواعث وغايات نفسية،

---

(١) العلاقات العامة في الإسلام ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، د.محمود يوسف مصطفى ، مكتبة مصباح ، ص ٧١ ، ١٤٠٩ هـ .

(٢) النظرية الخلقية ، ص ٤٣٨ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣ ، المرجع نفسه ص ١٧

وبواعث وغايات عقلية . (١)

« ومن ناحية أخري فهو يحذر من تلك الخوارق التي تحدث بالأسباب الشيطانية والأهواء النفسية ، وغير ذلك من الظواهر التي لاتجري وفق الأسباب الشرعية ، وينبه إلىٰ ضرورة أن تكون بواعث وغايات ووسائل هذه الأسباب كلها خلقية متفقة مع الحقيقة الشرعية الدينية والكونية» (٢) ولهذا فالبواعث عنده ذات أثر بالغ في تقرير خلقية السلوك (٣) والنية عند ابن تيمية تقوم مقام الباعث والدافع والغاية ، وهي تتبع العلم والمعرفة به (٤) والمواخذة الشرعية عنده لاتكون « إلاعلىٰ ما يكسبه القلب من الأقوال والأفعال الظاهرة» (٥) ومن ثم فهو يوجه نقده اللاذع إلىٰ كثير من المظاهر السلوكية التي لاتتحقق لها خيرية البواعث أو الغايات » (٦) «ويلح ابن تيمية علىٰ أن يكون كل من الفعل والترك معتمداً علىٰ عناصر للمعرفة بخيرية الفعل وشريته ، وضرورة توفر الإرادة والقصد ، وأن يكون السلوك قد تم بناء علىٰ رغبة حرة لا أثر فيها للجبر أو الاضطرار سواء كان السلوك فعلا أو تركا ثم يشير أيضاً إلىٰ ضرورة خيرية البواعث والغايات (٧) « ونرىٰ كذلك أن فكرة الحرية بمعناها الخلقي لدىٰ ابن تيمية لاتهدف إلىٰ قمع الميول الفطرية .. ولكن عليها أن تمارس دورها مستعينة بالهدي الإلهي ، وفي ظل تلك الرقابة الإلهية الواعية اليقظة العادلة الحانية الرحيمة التي توجه نحو ما هو في مقدور الإنسان دائما ، وبذلك تؤدي الإرادة الحرة دورها الاجتماعي البناء علىٰ أروع مايكون وبصورة خلقية عميقة الجذور شريفة القصد والغاية » (٨) مما

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٧ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٤٧
(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٢٩.
(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٣٤
(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٣٥
(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٣٧
(٧) المرجع نفسه ، ص ٣١٠
(٨) انظر الخلقية عند ابن تيمية ، ص ٣٢٩ ، مرجع سابق

سبق ندرك إلىٰ أي مدىٰ تشمل نظرة ابن تيمية إلىٰ غايات أنشطة الحياة البشرية السوية الأبعاد النفسية والاجتماعية والخلقية، وقبل ذلك الدينية لتحقق لنفسها غاية العمق وصواب الرأي وسداده، فتلامس بذلك شغاف القلوب، ليس هذا فحسب، بل إن الدارس لفكره فيما يتعلق بغاية الإعلام يستطيع أن يضيف إلىٰ ماسبق بعداً آخر لايقل أهمية عن تحديد غايات الإعلام في النظرة الإسلامية، وهو شدة الحاجة إلىٰ الإعلام الإسلامي قديماً وحديثاً، بل ومستقبلا، ذلك أنه يقرر أن الناس ماداموا مفطورين علىٰ الإقرار بربهم وخالقهم، فالأجدىٰ والأنفع لهم أن يدعوا إلىٰ إفراد هذا الرب بالعبادة والطاعة (١) ويضيف إلىٰ ذلك فيقول « وإنما الغرض أن نتبين ضرورة العبد وفاقته إلىٰ هداية الصراط المستقيم، وأن ينفتح لك باب إلىٰ معرفة الانحراف لتحذره» (٢) «والهدىٰ هو بيان ماينتفع به الناس، ويحتاجون إليه، وهو ضد الضلالة، فالضال يضل عن مقصوده وطريق مقصوده، وهو سبحانه بين في كتبه ما يهدي الناس فعرفهم ما يقصدون وما يسلكون من الطرق، عرف أن الله هو المقصود المعبود وحده، وأنه لاتجوز عبادة غيره وعرفهم الطريق، وهو مايعبدونه به، ففي الهدىٰ بيان المعبود ومايعبد به، والبينات فيها الأدلة والبراهين علىٰ ذلك» (٣) وتتجلىٰ حاجة البشرية إلىٰ الإعلام الإسلامي الذي يحمل مضامين الوحي الإلهي فيما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوىٰ « الرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلىٰ كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ماطلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو

(١) الدرء ٨ (٦، ٧ ، ٢١) نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٩٨٨ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١١، مرجع سابق من مؤلفات الشيخ .

(٣) النبوات، ص ٢٢٣، ٢٢٤، مرجع سابق من مؤلفات الشيخ .

من الأموات قال الله تعالي ﴿ **أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها**﴾ ، فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل ، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نورا يمشي به في الناس . وأما الكافر فميت القلب في الظلمات . وأما الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حي ، وإن كانت حياته حياة بهيمية ، فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التي سببها الإيمان ، وبها يحصل العبد السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة فإن الله سبحانه وتعالىٰ جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم ، وتكميل مايصلحهم في معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعاً .بالدعوة إلىٰ الله وتعريف الطريق الموصل إليه ، وبيان حالهم بعد الوصول إليه. وحاجة العبد إلىٰ الرسالة أعظم من حاجة المريض إلىٰ الطب فإن آخر مايقدر بعدم الطبيب موت الأبدان ، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجىٰ الحياة معه أبداً أو شقي شقاوة لاسعادة معها أبدا ، فلا فلاح إلا باتباع الرسول . فعلم بذلك أن الهدىٰ والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجوداً وعدما. والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده ، فكما أنه لاصلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة ، فإن الإنسان مضطر إلىٰ الشرع ، فإنه بين حركتين : حركة يجلب بها ماينفعه ، وحركة يدفع بها ما يضره ، والشرع هو الذي يبين ما ينفعه وما يضره ، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده ، وحصنه الذي من دخله كان آمنا ، وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس .. بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده كنفع الإيمان والتوحيد ، والعدل والبر ، والتصدق والإحسان والأمانة والفقه والشجاعة والحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلىٰ المماليك والجار ، وأداء الحقوق ، وإخلاص العمل لله والتوكل عليه ، والاستعانة به والرضىٰ بمواقع القدر به ، والتسليم لحكمه

والانقياد لأمره، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وخشيته في الغيب والشهادة والتقرب إليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه واحتساب الثواب عنده وتصديقه، وتصديق رسله في كل ما أخبروا به، وطاعته في كل ما أمروا به مما فيه نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته، وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته، ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلىٰ تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد. والدنيا كلها ملعونة ملعون مافيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وأسس بنيانه عليها ولا بقاء لأهل الأرض إلامادامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرَّب اللهُ العالمَ العلوي والسفلي وأقام القيامة.

وليست حاجة أهل الأرض إلىٰ الرسول كحاجتهم إلىٰ الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلىٰ حياته ولا كحاجة العين إلىٰ ضوئها، والجسم إلىٰ الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل مايقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده، وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم علىٰ ربه محمد بن عبدالله ﷺ يقول (**يأيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**). وقال صلوات الله وسلامه عليه «**إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**» وهذا المقت لعدم هدايتهم بالرسل، فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله ﷺ، فبعثه رحمة للعالمين وصحة للمساكين وحجة علىٰ الخلائق أجمعين، وافترض علىٰ العباد طاعته ومحبته. وسد إليه جميع الطرق، فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فهدىٰ الله به الخلائق، وأوضح به الطريق، وأخرج به الناس من الظلمات إلىٰ النور..»(١)

---

(١) نقل بتصرف كبير من الفتاوىٰ حـ١٩، ص (٩٣ ـ ١٠٢).

وصدق والله في بيان شدة حاجة البشرية إلى النور الذي جاء به الرسول ﷺ ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] ، فالإعلام الإسلامي الذي أخص خصائصه حمل مضامين هذا الوحي ووقائع الحياة المحكومة به هو ماتشتد الحاجة إليه اليوم ، في ظل تزييف الحقائق وإلباس الحق بالباطل والتمويه على الناس وإضلالهم وإغوائهم بفعل وسائل الإعلام التي لا تقف عند حدود الشرع الحنيف .

والإعلام الإسلامي هو أبرز أدوات المسلمين في البلاغ، والإعلام بدين الله ، وما سطره شيخ الإسلام من أفكار ومعان تكشف عن غايات الإعلام وأهدافه، ومبلغ الحاجة إليه، مما يؤكد أن الأمة الإسلامية أمة بلاغ ، وأنها ظلت وستظل بإذن الله متصفة بهذه الصفة ، وأن منهجها في الإعلام قد تميز بتأسيسه على قواعد الإعلام ومبادئه وخصائصه المبثوثة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وممارسات سلف الأمة الصالح التي تدخل في نطاق الإعلام (١).

ومعلوم أن ارتباط الإعلام بحاجة الناس وترتيب أولياته على هذا الأساس، ووضوحه وتيسير فهم محتواه مما هو مهم في تحقيق الانتفاع بالإعلام .

وتأكيدا لما سبق نورد نصين لشيخ الإسلام ابن تيمية أحدهما في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢) :

---

(١) انظر مدخل إلى الإعلام ، للمؤلف ، ص ٤٧ ـ ٥٣ ، دار عالم الكتب بالرياض ط عام ١٤١١هـ

(٢) حـ ٣ / ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ، من مؤلفات الشيخ رحمه الله .

وهو« وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن النبوة تعلم بطرق كثيرة ، وذكرنا طرقا متعددة - في معرفة النبي الصادق والمتنبي الكذاب غير طريق المعجزات، فإن الناس كلما قويت حاجتهم إلى معرفة الشيء يسر الله أسبابه كما ييسر ماكانت حاجتهم إليه في أبدانهم أشد ، فلما كانت حاجتهم إلى النفس والهواء أعظم منها إلى الماء كان مبذولا لكل أحد في كل وقت ، ولما كانت حاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى القوت كان وجود الماء أكثر لذلك ، فلما كانت حاجتهم إلى معرفة الخالق أعظم كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها ، ولما كانت حاجتهم إلى معرفة صدق الرسل بعد ذلك أعظم من حاجتهم إلى غير ذلك أقام الله سبحانه وتعالي من دلائل صدقهم وشواهد نبوتهم وحسن حال من اتبعهم وسعادته ونجاته ، وبيان مايحصل له من العلم النافع والعمل الصالح وقيل حال من خالفهم وشقاوته وجهله وظلمه مايظهر لمن يدرك ذلك » .

والثاني يصف مسئولية العلماء في هذا الشأن بأنها عظيمة « فإذا ضيعوا حفظ علم الدين وتبليغه للناس فإن ذلك من أعظم الظلم للناس . وتبليغ الدين قولا وعملا والدعوة إليه واجب في حق العلماء خصوصا لأنهم خلفاء الرسول ﷺ في أمته» (١) ومن ذلك نلحظ قدرة الشيخ على استكناه الحقائق وارتباطه بهموم البشر ومعرفته الكاملة بحقيقة الشرع ومقاصده لذلك استطاع أن يكشف فيما مضى من استعراض لفكره عن الحاجة الحقيقية للإعلام الإسلامي على مستوى الناس كافة فهو يقوم على الحقائق في كل المستو يات في الوقت الذي يفقد الناس فيه الحق تقريبا فيما يعرض عليهم من وسائل الإعلام اليوم ، وهو يلائم فطرة البشر ويستجيب لحاجاتهم

---

(١) نقلا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، ص ٥١٧ مرجع سابق .

الأساسية المختلفة .. وهو قادر على إزالة كافة الهموم التي تعرض لهم وهو يقدم حلولاً لمشكلاتهم اليومية وكثير من نظم الإعلام المطبقة اليوم لاتتوفر لها هذه الخصائص» (١)

خامساً : وظائف الإعلام الإسلامي

قبل الدخول في تناول ماورد بشأن وظائف الإعلام في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية يحسن بنا أولا أن نوضح المقصود بوظائف الإعلام ، ونبين العلاقة بينها وبين غايات الإعلام وأهدافه ومكانتها في النظام الإعلامي ككل ، وطبيعة العلاقات بين الوظائف الإعلامية نفسها من الناحية العلمية التجريدية ومن واقع الممارسة الإعلامية في الواقع ، ذلك أن تحديدا كهذا سيساعد كثيرا في استجلاء معالم الصورة التي يمكن استخلاصها من فكر ابن تيمية ، وهو ما يعنينا في المقام الأول في هذا البحث.

فما هي وظائف الإعلام في الدراسات الإعلامية ؟

« الوظيفة هي مايلقي على أجهزة الإعلام من مهام وواجبات ، ومسئوليات تشكل في مجموعها نظاما إعلاميا متكاملاً له منطلقاته وأهدافه وتوجهاته (٢) . ووسائله (٣) فما هي هذه الوظائف في الدراسات الإعلامية عموما وفي الدراسات الإسلامية خصوصا ؟ .

---

(١) انظر محاضرات للمؤلف في مادة مدخل إلى الإعلام الإسلامي ، في المستوى الجامعي لكلية الدعوة والإعلام بالرياض .

(٢) سبق بيان منطلقات النظام الإعلامي الإسلامي في مبحث مصادر الإعلام الإسلامي ، وبيان أهدافه كذلك في مبحث غايات الإعلام وأهدافه من هذا البحث .

(٣) أصول الإعلام الإسلامي وأسسه حـ١ ص ١٢ دار عالم الكتب بالرياض ط١ عام ١٤٠٦هـ .

لقد لخص ، لاس ويلد، الوظائف الأساسية للإعلام عامة في مراقبة البيئة وربط الاستجابة بها ونقل الثقافة من جيل إلىٰ جيل (١) وأجملها الدكتور محمد كمال الدين إمام بالنسبة للإعلام الإسلامي في تدعيم الإسلام وتعميمه (٢) ولخصتها في قولي «وذلك مايعني أنها في لغتنا لاتخرج عن البشارة والنذر أوهداية الناس (٣) . ومن ذلك نرىٰ أن الإجمال هنا قد يتطلب بعض التفصيل المعين علىٰ كمال التصور ووضوحه، مع ما قد يثيره من خلافات حول طبيعة الوظائف أو الواجبات أو المهام ومسمياتها وترتيبها في الأهمية لكني هنا غير معني بقضايا الخلاف، وما لايدخل في نطاق الرؤية الإسلامية للإعلام، ذلك أن الاهتمام في هذا البحث منصب علىٰ جانب التأصيل للدراسات الإعلامية، والتعرض هنا لطبيعة الوظائف الإعلامية وتصنيفاتها المختلفة إنما هو لإثبات الصلة بين مافي الدراسات الإعلامية حوله وبين مايمكن استخلاصه من فكر ابن تيمية والتتبع الاستقرائي للدراسات الإعلامية الإسلامية حول وظائف الإعلام الإسلامي يسلم المرء إلىٰ نتيجة مهمة هي أ ن الاختلافات بين الدارسين ليس اختلاف تضاد، ولكنه اختلاف تنوع محمود لما ينتج عنه من إثراء للفكر وعمق في الطرح، وماسنذكره هنا هو خلاصة مايمكن الخروج به في الموضوع .

وظائف الإعلام يمكن تقسيمها إلىٰ مجموعتين كبيرتين هما مجموعة الوظائف البنائية ومجموعة الوظائف المعيارية ، فيدخل في نطاق مجموعة الوظائف البنائية كل وظيفة أو واجب أو مهمة أنيطت بوسائل الإعلام في

---

(١) انظر جيهان أحمد رشتي ، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث ، ص ٣٤ .

(٢) النظرة الإسلامية للإعلام ، ص ١٦٤ دار البحوث العلمية بالكويت ، ط ١ عام ١٩٨١ .

(٣) أصول الإعلام الإسلامي وأسسه حـ١ ص ١٢ مرجع سابق.

المجتمع المسلم ليكون من شأنها بناء هذا المجتمع في أي زاوية من زوايا البناء سواء كان بناء فكرياً ، أو معنويا أوسياسيا أو اجتماعياً أو اقتصاديا أو تربويا . أو غير ذلك ، فتدخل بذلك وظائف الإخبار والتنمية ، والتنشئة الاجتماعية ، والتربوية ، والتعليمية والتثقيفية والسياسية وغير ذلك من الوظائف أو الواجبات أو المهام التي يمكن أن تنشأ الحاجة إليها في أي وقت من الأوقات (١) .أما الوظائف المعيارية فيقصد بها في هذه النظرة جميع الضوابط والحدود التي تضبط حركة وظائف البناء السالف ذكرها فلكي تؤدي وظيفة الإخبار دورها في توعية الناس وتنويرهم وتبصيرهم ، وتمكينهم من إدراك مايحيط بهم ، أو مايجري حولهم من أحداث ووقائع ، ومايدور بينهم من أفكار ، وما يبرز منهم من قيادات لابد أن تكون هناك مواصفات تحدد طبيعة الأداء الإعلامي في هذه الوظيفة (٢) وكذلك بقية الوظائف البنائية كالوظيفة التعليمية والتثقيفية ، حيث لابد أن يكون التعليم والتثقيف منضبطا في مادته وفي أسلوبه ، بل وفي أدواته (٣) كذلك الوظيفة الاجتماعية لابد أن تؤديها وسائل الإعلام وفق ضوابط وشروط تكفل البناء وتمنع الهدم وتحقق الوئام والانسجام للمجتمع .(٤) بل لابد أن تكون هناك ضوابط للإعلام عموما تكفل انسجامه مع بقية أنظمة المجتمع وتكفل تحقيق

---

(١) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ، مرجع سابق وانظر النظرة الإسلامية للإعلام ، مرجع سابق وانظر الإعلام الإسلامي (الأهداف والوظائف) ، ص ١٣ـ٩٠ ، دار عالم الكتب بالرياض ط١ عام ١٤١١هـ .

(٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية الدولية في الميزان ، ص ٣١ـ٥٣ ، دار عالم الكتب ، ط ١ عام ١٤١٢هـ ، وانظر الرأي العام في ضوء الإسلام ، ص ٩٦ـ١٠٧ دار المسلم ، ط ٣عام ١٤١٤هـ ، وانظر الإعلام الإسلامي (الأهداف والوظائف) ص ١٣ـ١٩ ، مرجع سابق .

(٣) انظر المرجع الأخير ، ص ٤٠ـ٥١

(٤) انظر المرجع نفسه ، ص ٥٢ـ٧٠

أغراض الإعلام فيه، وتحقق الترابط العضوي بين أنظمة المجتمع كافة (١) وبهذا البناء المنضبط يظهر تميز الإعلام الإسلامي في طبيعة أدائه كما تميز في مصادره وغاياته وخصائصه وآثاره (٢) . ويلاحظ أن هذا التقسيم لوظائف الإعلام قد يكون تقسيما تعسفيا لصعوبة الفصل بينها، لكن أغراض الدراسة العلمية فرضته وإلا فإن الواقع يشهد أنه ليس بالإمكان تأدية الوظائف البنائية بمعزل عن الوظائف المعيارية ، بل ليس بالإمكان القيام بوظيفة إعلامية واحدة دون تداخل مع بقية الوظائف الأخرىٰ ، فالإخبار قد يكون بعضه تعليماً والتعليم قد يكون بعضه إخبارا ، وهكذا الإرشاد والتوجيه بل التسرية والترويح (٣) ثم إن النظرة الإسلامية إلىٰ وظائف الإعلام تجعل وظائف الإعلام أدوات تحقيق لغايات الإعلام وأهدافه فغايات الإعلام الدينية والدنيوية أو المحورية والفرعية أو الكلية والجزئية هي التي تتحكم في تحديد نوع الوظائف أوالواجبات أو المهمات التي تكلف وسائل الإعلام بالقيام بها . وتحقيق الغايات أو القصور في ذلك هو المعيار الذي يحاكم إليه أداء وسائل الإعلام لوظائفها (٤) ولا يغيب عن البال في مقام الحديث عن وظائف الإعلام بيان أن سلم الأولويات في ترتيب هذه الوظائف من حيث الأهمية في النظرة الإسلامية إنما هو مصلحة الإسلام والمسلمين . وربما يجد المتتبع لنصوص القرآن الكريم تأكيد أهمية

---

(١) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ١٢ـ١ ، ٣١ـ٣٧ مرجع سابق .

(٢) انظر أصول محاضرات للمؤلف في مادة المدخل إلىٰ الإعلام الإسلامي في المستوىٰ الجامعي لطلاب قسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بالرياض .

(٣) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ص١١٣ مرجع سابق .

(٤) أصول محاضرات للمؤلف في مادة منهج الإعلام الإسلامي ، لطلاب المستوىٰ الجامعي بقسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بالرياض .

وظائف الإخبار والتعليم والتوجيه والإرشاد وبناء الرأي العام، غير أن الدارسين الإعلاميين يكادون يجمعون على تقديم وظيفة الإخبار لشدة حاجة الناس إليها وارتباطها بحركة الحياة عموماً(١) وإشارات القرآن الكريم إلى النبأ ومكانته في الحياة عموما وفى الصراع بين الحق والباطل خصوصا ﴿**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم**﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] ﴿ **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون** ﴾[سورة ص : ٦٧ ـ ٦٨] ﴿ **عمَّ يتسآءلون عن النبأ العظيم** ﴾ النبأ : ١-٢ ﴿ **واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت**﴾ [يونس: ٧١] ﴿**وا تل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين**﴾ [الشعراء: ٦٩-٧١] كلها تؤكد أهمية الوظيفة الإخبارية في حياة البشر غير أن امتنان الله على المؤمنين ببعثة رسوله تالياً عليهم آيات الله مزكياً لهم ومعلما ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ [الجمعة : ٢] ، ودعاء إبراهيم وإسماعيل بأن يبعث الله في ذريتهما رسولا يتلوعليهم آيات الله ويعلمهم ويزكيهم ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، من أقوى الأدلة على مكانة الوظائف الإعلامية التي تدخل في نطاق النصوص الشريفة وأولويتها في النظام الإعلامي الإسلامي (٢) . غير أن الأمر في نظري فيه متسع والمفاضلة بين الوظائف لاينبغي أن تكون مشغلة للدارسين والعاملين مالم تكن هناك ظروف تحتم المفاضلة ، لكن ماينبغي الوقوف عنده والعناية به هو أن تكون

---

(١) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ، ص ١١٤ مرجع سابق وانظر الوظيفة الإخبارية لوسائل الإعلام د. حمدي حسن ، ص ٧٦، دار الفكر العربي بالقاهرة، ١٩٩١ م.

(٢) انظر أصول محاضرات للمؤلف في مادة منهج الإعلام الإسلامي ، مرجع سابق .

مصلحة الأمة الإسلامية معيارا أساسيا للأهمية والمفاضلة وقد كان النشاط الإعلامي الإسلامي في العصور الأولى يشمل مهام كثيرة من مثل شرح الإسلام والتعريف به ، ورفع الروح المعنوية للمسلمين ، وحث الناس على اعتناق الإسلام ودعوتهم إليه ، و إفساد محاولات الإيقاع بين المسلمين والحفاظ على وحدة الصف ومقاومة الشائعات وتصحيح الأخطاء والنصح والتوجيه والإرشاد وتهيئة الاتباع للمستجدات ، ومد الناس بكافة المعلومات المتعلقة بالمعارك التي تدور بين المسلمين والكفار ، وغير ذلك من عمليات بناء الرأي العام بناءاً سديداً وإعداد المسلمين لمواجهة الظروف في قوة وتماسك وبناء الإيمان في النفوس والتمكين لشرع الله . وسيادته في الحياة (١) . «وذلك ما يعني أن الوظيفة الأساسية لأجهزة الإعلام في نظرة المسلمين تكمن في دعم الدين بالصدور عنه في الممارسة الإعلامية والتذكير بحقائقه وتوضيح مفاهيمه ، وشرح مقاصده والتصدي لأعدائه والحملات الموجهة ضده وتعميمه بالسعي لإيصاله لكل أذن بشرية في عرض شائق جذاب تتوفر له عناصر التنوع والوضوح والعمق ، وأسباب الإقناع ، إضافة إلى الاهتمام بأنشطة الحياة المختلفة ، وتقديم تفاصيلها وتفسير بواعثها وحقائقها من منظور إسلامي ، وبذلك يتحقق المناخ الملائم لسلامة الرأي العام وسداده» (٢) وهذا يعني أن المسلمين يرون أن وسائل الإعلام يجب أن توظف طاقاتها التوظيف الذي يكفل تحقيق الانتفاع الأمثل . «وبذلك يكون الإعلام وسيلة تعليم وتعريف وتثقيف وتوجيه وتسرية وترويح» (٣) هذا في

---

(١) انظر العلاقات العامة في الإسلام ، ٣٥٨ـ٣٩٨ ، مرجع سابق .

(٢) البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ٣٤ ، مرجع سابق

(٣) البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ٣٧ مرجع سابق

الجملة ، مايمكن الخروج به في موضوع وظائف الإعلام من الدراسات الإعلامية الإسلامية أو على الأقل ما يهمنا الخروج به باعتباره حجر الزاوية في عطاء وسائل الإعلام ، خاصة في ظروف العالم الإسلامي الحالية التي يتعرض فيها لغزو متعدد الصور والأبعاد وأخطره في كل حال الغزو الفكري الذي تمثل وسائل الإعلام الحديث سلاحه الفتاك (١) .

والآن ماذا في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية حول وظائف الإعلام ؟

وإجابة لهذا السؤال نقول وبالله التوفيق :

إن المتعمق في دراسة فكر شيخ الإسلام ابن تيمية المنشور وما قام حوله من دراسات يجد مادة خصبة في محوري وظائف الإعلام السابق ذكرهما : محور البناء، ومحور الضوابط . مما يعني أنه رحمه الله كان يولي الأمرين عناية فائقة، فهناك نصوص كثيرة للحث على القيام بنشاط بناء في جوانب الحياة المختلفة، ونصوص كثيرة للحث على ضبط ذلك البناء بمعايير دقيقة من جنس ما سنعرض له تفصيلا بإذن الله .

ففي جانب الوظائف الإعلامية البنائية نجده يحث على التعليم والتربية والتزكية والإخبار والتوجيه والإرشاد والوعظ والدعوة إلى الله يقول ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ وقد قال تعالى ﴿ **واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة** ﴾ وهذا شبه الموضع الثالث في البقرة فأخبر في غير موضع عن الرسول ﷺ أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

---

(١) انظر نحو تأصيل للدراسات الاتصالية ص ١٠٣ ـ ١٠٨ مرجع سابق .

فالتلاوة والتزكية عامة لجميع المؤمنين ، فتلاوة الآيات يحصل بها العلم ، فإن الآيات هي العلامات والدلالات فإذا سمعوها دلتهم على المطلوب من تصديق الرسول ﷺ فيما أخبر ، والإقرار بوجوب طاعته . وأما التزكية فهي تحصل بطاعته فيما يأمرهم به من عبادة الله وحده وطاعته . فالتزكية تكون بطاعة أمره كما أن تلاوة آياته يحصل بها العلم ، وسميت آيات القرآن : آيات . وقيل : إنها آيات الله لقوله ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق** ﴾ لأنها علامات ودلالات على الله وعلى ماأراد ، فهي تدل على ما أخبر به وعلى ما أمر به ونهى عنه ، وتدل أيضا على أن الرسول صادق ، إذ كانت مما لايستطيع الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، وقد تحداهم بذلك» (١) ففي هذا النص بيان لأهمية جملة من الوظائف الإعلامية البنائية كالوظيفة التعليمية لوسائل الإعلام ، والوظيفة التربوية ، والوظيفة الاجتماعية والوظيفة الإخبارية لجميع المؤمنين ، وبيان لطبيعة المضمون الذي ينبغي أن يركز عليه أثناء القيام بهذه الوظائف . وقد يركز في بعض النصوص على مايشعر بأهمية وظيفة واحدة من وظائف الإعلام البنائية ، كما في النصوص التالية ، ففافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة ، وختمها بالأمر بالصبر» (٢) ولهذا يذكر الله في عامة سور الإنذار ماعاقب به أهل السيئات في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة ، وقد يذكر في السورة وعد الآخرة فقط ، إذ عذاب الآخرة أعظم وثوابها أعظم » (٣) «كل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفى بموجب العلم

---

(١) النبوات ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ مرجع سابق

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص٤٠ ،

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢

والإيمان ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه اليقين» (١) (واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرة لنا بترك مافعلوه كثيراً، ومنه مايدل على مقصودنا، ومنه مافيه إشارة وتتميم للمقصود، ثم متى كان المقصود بيان أن مخالفهم في عامة أمورهم أصلح لنا، فجميع الآيات دالة على ذلك، وإن كان المقصود أن مخالفتهم واجبة علينا، فهذا إنما يدل عليه بعض الآيات، ونحن ذكرنا مايدل على أن مخالفتهم مشروعة في الجملة، إذ كان هذا هو المقصود هنا» (٢) فتركيز شيخ الاسلام ابن تيمية على أهمية الأمر بالنذارة، وهو أحد جوانب وظيفة الإخبار، كما أنه أحد جوانب وظيفة الوعظ والإرشاد والتوجيه والدعوة إلى الله بالمناظرة الشافية للصدور، وعنايته البالغة بالوظيفة الاجتماعية من خلال دعوته الملحة إلى ضرورة مخالفة أهل الكفر عامة، وبيان ضرر مخالطتهم، بل حتى مشابهتم، أو التشبه بهم، وتحديده لأنواع المفاسد المترتبة على التشبه بهم في أي صورة «وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض، لأن فساد الدين: إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق، والأول هو البدع ونحوها، والثاني هو فسق الأعمال ونحوها» (٣) ونحن في هذا الزمان قد تكشفت لنا هذه الحقيقة من خلال واقع الناس في الحياة البشرية اليوم، وإظهار هذا المعنى وتأكيده من خلال الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام خاصة في وضع المسلمين الحاضر، ولا يكتفي في هذه المسألة المهمة بما سبق، بل يسوق جملة أدلة أخرى على صحة مايذهب إليه من شدة

---

(١) الدرء ١/ ٣٥٧ نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٩٠٤ مرجع سابق.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٧ مرجع سابق.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٥ مرجع سابق.

تأثير التشبه بالكافرين، وخطورته على حياة المسلمين، وذلك لأمور: « منها أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين، يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس. ومنها أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة، توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان، وتحقق ماقطع الله من الموالاة بين جند المؤمنين، ومنها أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين ...» (١) وهنا نكتة قد نبهت عليها في هذا الكتاب، وهي أن الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم قد يكون لأن نفي قصد موافقتهم أو نفي موافقة مصلحة، وكذلك نفي قصد مخالفتهم مصلحة بمعنى أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد ومفسدة، وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة لو تجرد عن الموافقة والمخالفة لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة » (٢). ويضيف قائلا في تأكيد خطورة التشبه بالكافرين وضرورة أخذ الحيطة والحذر منه « فقد تبين لك أن من أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين، كما أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم، ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن منها تشبه بالكفار، فكيف إذا جمعت الوصفين » (٣) وهذا نص كثير الأهمية في بيان حقيقة الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام (٤) ومدى أثرها في الحياة الإسلامية، ولهذا نجده رحمه الله يكثر من الاستشهاد على خطورة مسلك التشبه بالكافرين فهو يقول «الصنف

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١١ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٤) انظر الإعلام الإسلامي (الأهداف والوظائف) ص ٥٢ ـ ٧٠، مرجع سابق.

الأول مقصوده التميز عن المسلمين في الشعور واللباس والانتماء والمراكب والكلام ونحوها، ليتميز المسلم من الكافر، ولايشبه أحدهما الآخر في الظاهر، ولم يرض عمر رضي الله عنه والمسلمون بأصل، بل بالتميز في عامة الهدي، على تفاصيل معروفة .. وذلك يقتضي إجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهرا وترك التشبه بهم .. » (١) ليس هذا فحسب بل هو يؤكد أن مايذهب إليه بشأن ضرر التشبه بالكافرين أمر مقرر معروف «فاتفق عمر رضي الله عنه والمسلمون معه وسائر العلماء من بعده، ومن وفقه الله تعالى من ولاة الأمور على منعهم من أن يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها ؟ (٢) إن « نفس المخالفة لهم في الهدي الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين، لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباعدة من أعمال أهل الجحيم، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم والضالون من مرض القلب الذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان .. إن نفس ماهم عليه من الهدي والخلق قد يكون مضراً أو منقصاً، فينهى عنه، ويؤمر بضده، لما فيه من المنفعة والكمال، وليس شيء من أمورهم إلا وهو إما ضار أو ناقص .. » (٣) . « فإن المخالفة فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا، حتى ماهم عليه من إتقان أمور دنياهم، قد يكون مضرا بآخرتنا، أو بما هو أهم من أمر دنيانا، فالمخالفة فيها صلاح لنا (٤) .. فقد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة . » (٥) وهو يضيف بعدا جديداً لسبب حثه على المخالفة للكافرين وعدم التشبه بهم باعتبار ذلك من أسباب

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٢٢ مرجع سابق .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢٤ مرجع سابق .
(٣) المرجع نفسه ص ٥٦ ، مرجع سابق .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٥٧.
(٥) المرجع نفسه ص ٥٧ .

صلاح حياة المسلمين حيث يرىٰ أن هذه المخالفة من أسباب ظهور الدين وعلوه « وإذا كان مخالفتهم سببا لظهور الدين فإنما المقصود أن يظهر دين الله علىٰ الدين، كله، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة » (١) وشيخ الإسلام وهو يؤسس بالنصوص السابقة قواعد في السلوك الإعلامي غاية في الأهمية، لايتوقف عند ظواهر الأمور ولكنه يستكنه الحقائق، فيغوص وراء سيل من المعاني النفسية والآثار الاجتماعية والمقاصد الحسنة، التي تمثل لب الوظائف الاجتماعية والتربوية والإخبارية لوسائل الإعلام في العالم الإسلامي.

ومع أهمية مايذهب إليه وسداده فإنه يتصور أن هناك من لايتفق معه في الرأىٰ، فتراه يجادل جدالا حسنا، مقيما الدليل تلو الدليل علىٰ صحة مذهبه، فهو يقول: « وأيضا لوفرضنا أن الناس لايترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة لكان في العلم بها معرفة القبيح، والإيمان بذلك، فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير، وإن لم يعمل به، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم، فإن الإنسان إذا عرف المعروف وأنكر المنكر كان خيرا من أن يكون ميت القلب لايعرف معروفا ولا ينكر منكراً » (٢) « ثم لو فرض أنا علمنا أن الناس لايتركون المنكر، ولايعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك ما نعامن إبلاغ الرسالة وبيان العلم، بل ذلك لايسقط وجوب الإبلاغ .. » (٣). وهذا الإلحاح علىٰ الفكرة، وإعادتها بصيغ مختلفة، وفي مناسبات متعددة هو نفسه من أساليب الإعلام، التي تعرض بها المعاني العظيمة المراد إقرارها وتثبيتها في النفوس (٤) وشيخ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٦٠ مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه ص٤٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٥ .

(٤) انظر أصول الإعلام الإسلامي وأسسه حـ ص ١٧٦ دار عالم الكتب بالرياض، ط ١ عام ١٤٠٦ .

الإسلام ابن تيمية كما رأينا فيما سبق يتبنى هذا الأسلوب مما يعني إدراكه لقيمته الإعلامية ومدى تأثيره في الأداء الإعلامي .

وأبلغ مما سبق في الدلالة شدة اهتمامه بمباينة الكافرين والابتعاد عن التشبه بهم قوله « فإن جميع مايعملونه مما ليس من أعمال المسلمين السابقين، إما كفر ، وإما معصية ، وإما شعار كفر أو شعار معصية ، وإما مظنة للكفر والمعصية ، وما أحسب أحدا ينازع في جميع هذا .. » (١) وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا ، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا .. » (٢) ومصداق كلامه رحمه الله حديث (من تشبه بقوم فهو منهم)،(٣) بل قوله جل جلاله ﴿**يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدي القوم الظالمين**﴾ [المائدة : ٥١] « ونظائر هذا في غير موضع من القرآن يأمر سبحانه وتعالى بموالاة المؤمنين حقا ، الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لايوالون الكافرين ولايوادونهم . والموالاة والموادة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أهون على المؤمنين من مقاطعة الكافرين ، ومبيانتهم ، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع من الموالاة والموادة، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة » (٤) وهذه الغيرة على مصلحة المسلمين وحماية دينهم وأخلاقهم وسد أي ذريعة لذلك مما ينبغي أن يكون دأب القائمين على وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، حتى يكفلوا بذلك تسخير طاقات هذه الوسائل وإمكاناتها الكبيرة في التأثير في خدمة

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٨٢ ، مرجع سابق

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٦ .

(٣) الحديث أخرجه .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٩ - ٥٠ مرجع سابق .

مصالح الأمة والقيام بوظائف الإعلام الإسلامي على الوجه السليم، ومتى ماتحقق ذلكفإنه يرجى من وجود وسائل الإعلام في بلدان العالم الإسلامي خير كثير .

ولاتقتصر دعوة شيخ الإسلام على الابتعاد عن مشاكلة الكافرين ومشابهتهم على ماسبق، بل يذهب إلى الجزم بإن مشابهتم فى بعض الاجتهادات السياسية مجانبة للصواب « ومن ذلك أنه ﷺ حذرنا من مشابهة من قبلنا في أنهم كانوا يفرقون في الحدود بين الأشراف والضعفاء ، وأمر أن يسوى بين الناس في ذلك ، وأن كثيراً من ذوي الرأي والسياسة قد يظن أن إعفاء الرؤساء أجود في السياسة » (١)

موقف شيخ الاسلام ابن تيمية هذا من الكافرين موضع تقدير ممن كتبوا في الجانب التربوي لفكره « وإلى هذا المعنى ذهب ابن تيمية حيث قال (بأن المصاحبة والمؤاخاة لاتجوز إلا مع أهل طاعة الله) ذلك لأن المشابهة والاقتداء في نظره لايقتصران على الأمور الظاهرة فقط ، وإنما يتعد يانها إلى الأمور الباطنة (فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدرج الخفي » (٢) واعتبار الجوانب النفسية في مضمون الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام في العالم الإسلامي تمكن ملاحظته بيسر في النصوص السابقة وإلحاحه عليه واهتمامه به لهذه الدرجة مما يوجه إلى تبنيه في تناول القضايا الاجتماعية في وسائل الإعلام اليوم، كما يبرز اهتمامه به من خلال تدبر النص الآتي كذلك «ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات مالا يمكن إحصاؤه، ولهذا كان الناس

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٦ مرجع سابق .

(٢) الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨٠ ، فوزية رضا أمين خياط ، مكتبة المنار بمكة المكرمة ، ص عام ١٤٠٨هـ، مستندة إلى نصوص من كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢٢٠ .

مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلىٰ شيء أحوج منهم إلىٰ هذا الدعاء، وإنما يعرف قدر هذا الدعاء من اعتبر بأحوال نفسه ونفوس الإنس والجن والمأمورين بهذا الدعاء، ورأىٰ مافي النفوس من الجهل والظلم الذي يقتضي شفاءها في الدنيا والآخرة، فيعلم أن الله بفضله ورحمته جعل هذا الدعاء (اهدنا الصراط المستقيم) من أعظم الأسباب المقتضية للخير المانعة من الشر ..) (١) . ولاينسىٰ وهو يتناول القضايا المتعلقة بأهمية إصلاح الحياة الاجتماعية للمسلمين أن أهمية الكشف عن العيوب والمساوئ الاجتماعية ونقدها نقداً بناء غايته الإصلاح، وذلك حيث يقول: « ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا، وهم عند كثير من الناس سادات الأنام ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق وأفضل أهل الطريق حتىٰ فضلوهم علىٰ الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين لم يكن بنا حاجة إلىٰ بيان فساد هذه الأقوال وإيضاح هذا الضلال، ولكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان، فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياء والأولياء كتشبيه مسيلمة الكذاب بسيد أولي الألباب، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين » (٢) ويكفي في الدلالة علىٰ عمق إدراكه للبعد الإعلامي في توجيهاته السطر الأخير من النص السابق (هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين) فهو نص يعلي من شأن الإعلام بالحق، ويجعله في مرتبة الجهاد، نسأل الله أن يكتب لنا وللشيخ أجر المجاهدين ، ويماثل النص السابق في

---

(١) الفتاوىٰ حـ ١٤ ، ٣٢١ ـ ٣٢٢ ، من أشهر مؤلفات الشيخ رحمه الله .

(٢) الفتاوىٰ ٢ / ٣٧٥ ـ ٣٥٨ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٢٤٢ مرجع سابق .

اعتبار الإعلام بالحق ضربا من ضروب الجهاد. النص التالي « فإذا العدو في تحصنهم على غير ما كانت عليه فارس والروم كان جهادهم على توجيه الشريعة التي مبناها على تحري ما كان لله أطوع وللعبد أنفع »(١) ولايفوت شيخ الإسلام وهو يتناول مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهمية إصلاح الحياة الاجتماعية عن طريق تأكيد هذا المبدأ وترسيخه ، أن يذكر بأنه إنما يفعل ذلك متابعة للرسول ﷺ « النبي هو وسائر المؤمنين لايخبرون إلا بحق ، ولا يأمرون إلا بعدل فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويأمرون بمصالح العباد في المعاش والمعاد ، لا يأمرون بالفواحش ولا الظلم ولا الشرك ولا القول بغير علم ، فهم بعثوا بتكميل الفطرة وتقديرها ، لابتبديلها وتغييرها ، فلا يأمرون إلا بما يوافق المعروف في العقول الذي تتلقاه القلوب السليمة بالقبول ، فكما أنهم لا يختلفون .لايناقض بعضهم بعضا ، بل دينهم وملتهم واحدة ، وإن تنوعت الشرائع ، فهم أيضا موافقون لموجب الفطرة التي فطر الله عليها عباده» (٢) وهذا النص يمكن أن يستنبط منه معنى آخر يتناول أحد الأبعاد المهمة في القيام بالوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام ، وهو تحديد خصائص المضمون الذي به تحقق تلك الوظيفة ، بل وظائف الإعلام عموما (٣) .

ويدخل في نطاق الدعوة إلى إصلا ح الحياة الاجتماعية التحذير من البدع وبيان خطورتها وآثارها القاتلة للمجتمع ، قوله « وكل مافي الكتاب

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية ـ المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، للشيخ محمد ابن عبدالوهاب تحقيق أبي الفداء ، بإشراف مركز السنة للبحث ص ، ١٩٥ دار عالم الكتب بالرياض ط ١ عام ١٤٠٨ هـ

(٢) النبوات ، ص ٢٨٤ ، مرجع سابق .

(٣) انظر الإعلام الإسلامي (الأهداف والوظائف) ص ٥٢ ـ ٥٩ مرجع سابق .

والسنة وكلام سلف الأمة وأئمة الدين ومشايخه من الحض على اتباع ما أنزل إلينا من ربنا، واتباع صراطه المستقيم، واتباع الكتاب واتباع الشريعة، والنهي عن ضد ذلك، فكله نهي عن هذا، وهو ابتداع دين لم يأذن الله به، سواء كان الدين فيه عبادة غير الله وعبادة الله بمالم يأمر به، بل دين الحق أن يعبد الله وحده لاشريك له، بما أمرنا به على ألسنة رسله.» (١) وهنا أصل يجب اعتماده، وذلك أن الله سبحانه وتعالى عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة، ولم يعصم آحادها من الخطأ لاصديقا ولا غير صديق، لكن إذا وقع بعضها في خطأ فلابد أن يقيم الله فيها من يكون على الصواب في ذلك الخطأ، لأن هذه الأمة شهداء على الناس، وهم شهداء الله في الأرض وهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلا بد أن تأمر بكل معروف وتنهى عن كل منكر، فإذا كان فيها من يأمر بمنكر متأولا، فلابد أن يكون فيها من يأمر بذلك المعروف» (٢) «ومن المعلوم أن الرسول ﷺ كان من أعلم الخلق بربه وبأسمائه وصفاته وملائكته ومعاده، وأنه أحرص الناس على تعليم الخلق وبيان الحق لهم، وأدلة ذلك كثيرة جداً» (٣) واتباعا للرسول ﷺ واقتداء بفعله كان اهتمام شيخ الإسلام ابن تيمية ببيان فساد العقليات التي يزعم أهل الكلام أنها معارضة للشرع راجعاً إلى أنها لم تعد في نطاق ضيق، بل انتشرت وتبناها كثير من الناس، فكان ذلك سببا قويا في انتشار الضلال، وموجب رد الباطل وبيان الحق (٤) وهذا ما أكده مرة أخرى بقوله «فاقتضاني بعض الأصحاب أن أعلق في ذلك مايكون فيه إشارة إلى أصل هذه المسألة (مشابهة الكفار) لكثرة فائدتها وعموم المنفعة

---

(١) الاستقامة، ص ٢٤٨، من مؤلفات الشيخ المشهورة.

(٢) الاستقامة، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ من مؤلفات الشيخ المشهورة.

(٣) الدرء (٥ / ٣٧١ ـ ٣٧٤) نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٨٩١

(٤) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٩٠١.

بهـا ، ولما قـد عم كـثيـراً من الناس من الابتـلاء بذلك حـتى صـاروا في نوع جاهلية » (١) فـانظر يارعـاك الله هذا التـركـيـز على الجـانب الإعـلامي في المسألة ، سواء في حال العناية به وتحقق آثاره الإيجابية في الحياة أو إهماله وعدم العناية به ، وتحقق آثار ذلك السيئة في حياة الناس ، وذلك مايؤكد أن المسلمين عرفوا الإعلام ، وكانوا يدركون قيمته ، وطبقوا قواعده تطبيقا صحيحا .. وأن أداء المسلمين الإعلامي كان أداء عالميا ، يستمد شموله من رسالة الإسلام ، وأن بواعث إتقانه كانت بواعث عقدية ، تستحث صاحبها على السعي للوصول إلى مرتبة الإحسان ، تحقيقا لرضى الله عز وجل » (٢) استمع إلى الشيخ وهو يقول « فإذا كان المخاطب أعلم الخلق بما يخبر به عنه ، ويصـفـه ، ويـخـبـربه ، وأحـرص الخلق على تـفـهـيم المخـاطبين وتعـريفـهم وتعليمهم وهدا هم ، وأقدر الخلق على البيان والتعريف لما يقصده ويريده ، كان من الممتنع بالضرورة أن لايكون كلامه مبينا للعلم والهدى والحق فيما خاطب به وأخبر عنه وبينه ووصفه بل واجب أن يكون كلامه أحق الكلام بأن يكون دالاً على العلم والحق والهدى ، وأن يكون ما ناقض كلامه من الكلام أحق الكلام بأن يكون جهلا وكذبا وباطلا وهذا قول جميع من آمن بالله (عز وجل) ورسوله ﷺ . (٣)» وتصديقا لما ذكر الشيخ نورد نصاً للشيخ ابن باديس في هذا المعنى : « فالنبي ﷺ من يوم بعثه الله إلى آخر لحظة في حياته كان يدعو الناس كلهم إلى الله بأقواله وأفعاله وتقريراته وجميع مواقفه في سائر مشاهده .. وكان يدعو الناس . كلهم إذ هو رسول الله إلى الناس كلهم ، فكتب الكتب ، وأرسل الرسل فبلغت دعوته إلى الأمم وملوك

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، بتحقيق محمد حامد الفقي ، ص أ من أصل الكتاب ، دار المعرفة .

(٢) مدخل إلى الإعلام ، ٤٧ ، مرجع سابق .

(٣) الدرء ٥ / ٣٧١ ـ ٣٧٣ ، من مؤلفات الشيخ المشهورة ، مرجع سابق .

الأمم ، كــان يدعــو الكافـرين كمـا كـان يدعـو المؤمـنين ، يدعـو أولئك إلىٰ الدخول في دين الله ، يدعو هؤلاء إلىٰ القيام بدين الله ، فلم ينقطع يوما عن الإنذار والتبشير والوعظ والتذكير » (١) فأنت ترىٰ من خلال النصين السابقين الإدراك التام لطبيعة وظائف الإعلام الإسلامي البنائية الإخبار، التعليم، التعريف (التثقيف) ، الدعــوة إلىٰ الله أو الوظيفة الإنسانية ، الوظيفة الاجتماعية، أو علىٰ سبيل الإجمال الإنذار والتبشير والوعظ والتذكير أو البشارة والنذارة، أو دعم الدين وتدعيمه (٢) وحتىٰ لايتطرق الشك إلىٰ صحة هذه المقولة نضيف أقوالا أخرىٰ للشيخ رحمه الله « إلىٰ سائر ما أخبر به من أحوال الرسل، والرسل صادقون مصدقون علىٰ الله يخبرون بالحق، ويأمرون بالعدل ، ويدعون إلىٰ عبادة الله وحده لاشريك له » (٣) «وهؤلاء هم السلف من الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان ، وهذه حالهم علما وفهما وحرصا علىٰ تبليغ هذا الدين لمن بعدهم، فكيف لايكونون هم الأعلم والأحكم، وكيف لايكون طريقهم هو الطريق الأسلم» (٤) كيف لا والرسل واسطة تبليغ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معرض أن الرسل واسطة تبليغ: « إن أراد بذلك أنه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لايعلمون مايحبه الله ويرضاه ، وما أمر به ومانهىٰ عنه وما أعده لأوليائه من كرامته ، وماوعد به أعداءه من عذابه، ولايعرفون مايستحقه الله من أسمائه الحسنىٰ ، وصفاته العليا التي تعجز العقول عن

(١) الدرر الغالية فى آداب الدعوةو الداعية، ضبط وتعليق علي بن حسن الحلبي الأثري، دار المنار للنشر والتوزيع الخرج ، ص ٨ ـ ١٠

(٢) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، مرجع سابق انظر النظرة الإسلامية للإعلام، ص ٢٠٧، مرجع سابق.

(٣) النبوات ، ص ٢٤٣ ، مرجع سابق من مؤلفات الشيخ.

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٨١١ ، مرجع سابق.

معرفتها وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالىٰ إلىٰ عباده» (١) وقدبعث الله محمدا ﷺ بتحقيق التوحيد وتجريده، ونفي الشرك بكل وجه حتىٰ في الألفاظ» (٢)

فإن (قل هو الله أحد) يقول تعدل ثلث القرآن إذا كان القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث ثلث توحيد وثلث قصص، وثلث أمر ونهي، لأن القرآن كلام الله، والكلام إماإنشاء وإما إخبار. والإخبار إما عن الخالق وإما عن المخلوق، والإنشاء أمر ونهي وإباحة ، فـ(قل هوالله أحد) ثلث التوحيد الذي هو خبر عن الخالق» (٣) ويلح شيخ الإسلام علىٰ تأكيد حرص الرسول ﷺ علىٰ البلاغ، فهو يقول: إن أعرف العباد بصلاح العباد في أمورهم كلها رسول الله ﷺ وأنه أرغب الناس في نشرها وتعريف الخلق بها ، ولذلك فما من خبر إلاودل أمته عليه، وما من شر إلاوحذر ها منه، ومن أهم الأمور بالنسبة للعباد ما يتعلق بالعقيدة من الأمور الإلهية والمعارف الدينية، والعلم في هذه مأخذه عن الرسول، فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم علىٰ بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة. وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوىٰ الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لايكون له إرادة فيما علمه من ذلك، فلم يبينه إما لرغبة، وإما لرهبة، وإما لغرض آخر ، وإما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان » (٤) وكما ألح شيخ الإسلام علىٰ تأكيد حرص الرسول ﷺ علىٰ البلاغ المبين وأهليته الكاملة لذلك، تراه يلح كذلك علىٰ أهمية ملاحظة البعد النفسي في الطرح الإعلامي

(١) الواسطة بين الحق والخلق ، ص١٤ دار الثقافة للطباعة ، مكةالمكرمة .

(٢)اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٤٤٩ .

(٣) المرجع السابق ص٤٦٤ .

(٤) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٥٣ـ٥٤ مرجع سابق ،

حيث يقول «لهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه دعاء الفاتحة ، وهو (الإنسان) محتاج إلى الهدى كل لحظة ، ويدخل فيه من أنواع الحاجات مالا يمكن حصره، ويبينه أن الله سبحانه وتعالى ، لم يقص علينا قصة في القرآن إلا لنعتبر ، وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول، فلولا أن في النفوس مافي نفوس المكذبين للرسل لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بما لانشبه، ولكن الأمر كما قال تعالى (مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ..) وقوله (أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وقوله (تشابهت قلوبهم) .. بل العبد محتاج إلى أن يعلمه ربه مايفعله من تفاصيل أحواله ، وإلى ما يتولد من تفاصيل الأمور، وإلى أن يلهم أن يعمل ذلك، فإنه لايكفي مجرد علمه إن لم يجعله الله مريدا للعمل بعلمه ، وإلا كان العلم حجة عليه ، ولم يكن مهتديا ، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادرا على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإنه لايكون مهتديا إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إلا بهذه العلوم والإرادات والقدرة على ذلك»(١) ولعل مما يلفت النظر في هذا النص هو الدخول في تفاصيل شديدة الصلة بوظيفة الإخبار مما يؤكد ما سبق تقريره من إدراك المسلمين لحقيقة الإعلام ومكانته في الحياة فبيان الحق وتقريره، ورد الباطل وبيان زيفة، وبيان حجج الإسلام ورفع الشبه عنه ونشر محاسنه وتعريف المسلمين بدينهم (عقائدهم أخلاقهم، أعمالهم) والحرص على هداية الأمم ، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من مسائل التفقه في دين الله والتعريف بعظمة الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دين المسلمين وعادتهم التي لم تتخلف حتى اليوم،(٢) ولن تتخلف بإذن الله،

---

(١) الفتاوى ٤ / ٢٢٧ ـ ٢٣١ من أقوال الشيخ المجموعة المشهورة جدا .

(٢) انظر الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، ص ١٢ ـ ١٦ ، مرجع سابق .

وذلك في الحقيقة ما يماثل وظائف الإعلام السوي في الوقت الحاضر ، ومايرجى أن يكون عليه واقعها حالا ومستقبلا في العالم الإسلامي .

ومن ضمن وظائف الإعلام الإسلامي المتميزة وظيفة التسرية التي يقابلها في الواقع الإعلامي من حيث التسمية لامن حيث الحقيقة والأثر وظيفة الترويح والتسلية، (١) يستطيع المرء أن يجد شواهد كثيرة في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية يتعرف من خلال تدبرها على طبيعة وظيفة التسرية والترويح ومكانتها في الحياة الإسلامية ، فالمسلمون محتاجون إلى مايزيل عنهم الحزن ويبهجهم ويدخل السرور على النفوس حتى يقبلوا على عبادة ربهم ويتقووا عليها . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكذلك كل مايعين على طاعة الله من تفكر أو صوت أو حركة أو مال أو أعوان أو غير ذلك ، فهو محمود في حال إعانته على طاعة الله ومحابه ومراضيه ، ولايستدل بذلك علي أنه في نفسه محمود علي الإطلاق ، ويحتج بذلك على أنه محمود إذا استعين به في طاعة الله (ولايحتج على ماليس من طاعة الله) بل هو من البدع في الدين أو الفجور في الدنيا (٢) . « ولقد خلق الله الصوت الحسن وجعل النفوس تحبه وتلتذ به ، فإذا استعملنا ذلك في استماع ما أمرنا باستماعه، وهو كتابه وفي تحسين الصوت به كما أمرنا بذلك .. كنا قد استعملنا النعمة في الطاعة، وكان هذا حسنا مأمورا به .. فهذا كان استماعهم، وفي مثل هذا السماع كانوا يستعملون الصوت الحسن، ويجعلون التذاذهم بالصوت الحسن عونا لهم على طاعة الله وعبادته باستماع كتابه فيثابون على هذا الالتذاذ ، إذ اللذة المأمور بها المسلم يثاب عليها، كما يثاب على أكله وشربه ونكاحه، كما يثاب على لذات قلبه بالعلم والإيمان،

(١) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ٢٣ ، ٣١ ، مرجع سابق .

(٢) الاستقامة ، ص ٢٩١ مرج سابق.

فإنها أعظم اللذات وحلاوة ذلك أعظم الحلاوات» (١) وفي كل ماتقدم حول معنى التسرية من كتابات الشيخ مايؤكد قيمة هذه الوظيفة وأهميتها في حياة المسلمين ، وإذا كان ذلك فيما مضى فإن حاجة المسلمين . اليوم إلى وظيفة التسرية عظيمة جدا، فما أكثر الهموم والأحزان ، وما أقل الابتهاج والسرور في حياة المسلمين اليوم وكعادة الشيخ إذا ألح على فكرة ورأى أن هناك من قد يعارض فيها أو يثير شبهة حولها اندفع في عرض مايتصور أنه حجة المعارض ، ثم كر عليها وفندها ، وأقام الأدلة والشواهد على صحة مايذهب إليه، نراه هنا يفعل الفعل نفسه يقول « اعلم أنما يوصف به النبي ﷺ من محبة الأجناس المحبوبة من الإيمان والصفات والأفعال ، وما يبغضه من ذلك، هو مثل ما يأمر به من الأفعال ، وينهى عنه من ذلك . فإن الحب والبغض هما أصل الأمر والنهي، وذلك نظير مايعده على الأعمال الحسنة من الثواب ويتوعد به على الأعمال السيئة .. ، فأمره ونهيه ووعده ووعيده، وحبه وبغضه، وثوابه وعقابه ، كل ذلك من جنس واحد ، والنصوص النبوية تأتي مطلقة عامة من الجانبين .. » (٢) «والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تحصل أعظم المصلحتين بفوات أدناهما ، وتدفع أعظم الفسادين باحتمال أدناهما ، فإذا وصف المحتمل بما فيه من الفساد مثل كونه من عمل الشيطان لم يمنع ذلك أن يكون قد وقع به ما هو أحب إلى الشيطان منه، ويكون إقرارهم على ذلك من المشروع، فهذا أصل ينبغي التنبه له» (٣) وما أشد حاجة الإعلام في العالم الإسلامي اليوم إلى مثل هذه القواعد وإدراكها على وجهها والوقوف عندها، وعدم تجاوزها ، خاصة في موضوع وظيفة التسرية أو مايقابلها في

---

(١) الاستقامة ، ص ٣٤٢ ، مرجع سابق .
(٢) الاستقامة ، ص ٤٣٠ مرجع سابق
(٣) الاستقامة ، ص ٢٨٨ مرجع سابق .

النظرة الإعلامية العامة . والشيخ رحمه الله لاينسىٰ وهو في معرض بيان الحق في قضية الاستعانة بما يعين علىٰ طاعة الله ، لاينسىٰ أن يشير إلىٰ أصل الخلاف في المسألة فهو يقول : «وأصل ذلك ترك الفريقين جميعا لما شرعه الله من السماع الشرعي الذي يحبه الله ورسوله ، وعباده المؤمنون» ولهذا أنشأ هاتين المقدمتين اللتين لبس فيهما الحق بالباطل ، قول لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة ولا أئمتها : فإنه وإن نقل عن بعض أهل المدينة وغيرهم أنه سمع الغناء ، فلم يقل أحد منهم أنه مستحب في الدين ومختار في الشرع أصلا ، أو يرىٰ أنه من الذنوب ، وغايته أن يطلب سلامته من الإثم ، أو يراه مباحا كالتوسع في لذات المطاعم والمشارب والملابس والمساكن ، فأما رجاء الثواب بفعله والتقرب إلىٰ الله ، فهذالايحفظ عن أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل المحفوظ عنهم أنهم رأوا هذا من ابتداع الزنادقة . كما قال الحسن بن عبدالعزيز الجروي : سمعت الشافعي يقول : خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه : التغبير ، يصدون به الناس عن القرآن . والشافعي بكمال علمه وإيمانه عليم أن هذا مما يصد القلوب عن القرآن ، ويعوضها به عنه» (١) « وقال أبو القاسم «سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السلمي يقول ، سمعت أبا عثمان المغربي يقول : من ادعىٰ السماع ولم يسمع صوت الطيور ، وصرير الباب ، وصفير الرياح ، فهو مفتر مبتدع ، قلت : هذا الذي قاله أبوعثمان هو مما يفصلون به بين سماع العبرة وسماع الفتنة ، فإن سماع العبرة الذي يحرك وجدان السالكين بالحق يحصل بسماع هذه الأصوات ، لايقف علىٰ السماع الذي يهواه أهل الفتنة » (٢) ولعله بهذه الوقفة الطويلة مع ما يمكن استخلاصه من فكر شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يتعلق بوظائف الإعلام الإسلامي البنائية ، يكون قد اتضح جليا وجه التشابه بين ماورد في فكر

---

(١) الاستقامة ، ص (٢٣٧ ـ) ٢٣٨ (٢) الاستقامة ، ص ٤١٢ ، مرجع سابق .

الشيخ ، وما جاء في الدراسات الإعلامية الإسلامية حول موضوع وظائف الإعلام الإسلامي ، فهناك تقريبا تطابق تام في وجهات النظر بهذا الخصوص ، وليس ذلك بمستغرب لأنهم ينهلون من مصدر واحد، لكن المستغرب حقا أن يكون أفق الشيخ الإعلامي بهذا المستوى من النضج والكمال والعمق والإحاطة ، لكن صلة الشيخ بالنور الذي جاء به محمد ﷺ هي وراء كل نور في فكر الشيخ ، ومن آراد أن يكون له شأن في الحياة فليقوِّ صلته بالوحي ، ولولا خشية الإطالة والخروج عن الموضوع لسقت الأدلة والشواهد على صحة هذا المعنى مع أنه من الوضوح بمكان . وإذا كنا قد عرضنا فيما مضى لما في فكر الشيخ رحمه الله مما له صلة بوظائف الإعلام الإسلامي البنائية فإنه يحسن بنا أن نعرض لما عنده فيما يتعلق بوظائف الإعلام الإسلامي المعيارية حيث لايتصور في النظرة الإسلامية الانفكاك بين نوعي الوظائف الإعلامية السابقين (البنائية والمعيارية) إذ البناء من غير ضوابط ومعايير يلحق من الإضرار ما الله به عليم ، خاصة في الإعلام ، و إذا كان عنصر البناء في الوظائف الإعلامية بالغ الأهمية ، فإن عنصر ضبط هذا البناء لايقل أهمية ، وإذا كنا قد وجدنا مادة غزيرة في فكر ابن تيمية حول العنصر الأول ، فإننا قد وجدنا كذلك مادة غزيرة في جانب الضبط أو الوظائف المعيارية .

ويمكن بادئ ذي بدء تقسيم تلك المعايير حسبما يمكن فهمه من الفكر التيمي إلى عنصرين رئيسين ، الأول المعايير العقلية والفطرية ، والثاني المعايير الدينية ، والمعايير الدينية بدورها تقوم على بعدين : أحدهما خارجي ويتمثل في التجربة الحسية والواقع الفعلي ، والثاني داخلي ويتمثل في الجوانب النفسية والذوقية والوجدانية والعقلية . وبهذا يتبين أن المعايير العقلية والفطرية لابد أن تكون داخلة في إطار المعايير الدينية ، بيد أننا أفردناها لمالها من أهمية خاصة ، ولاسيما في تلك الفترات التي لم يصل إلى

الناس فيها تبليغ بالأحكام الدينية ، ومن ناحية أخرىٰ ، فإنه ينبغي أن نضع في اعتبارنا لمناحي الإرادة والقصد والحرية والطاقة والوسع ، وعلىٰ هذا يمكن أن نجمل تلك المعايير العقلية بمالها من أبعاد في النقاط التالية (الحسن أو الفضيلة كالعدل مثلا هو المحبوب للفطرة) وهو الذي يحقق اللذة الروحانية والعقلية والشريفة ، وهو الذي يحقق لها السرور وتتنعم به النفس ، وهو النافع لصاحبه ، ولغير صاحبه ، أي علىٰ مستوىٰ الفرد والجماعة ... لكن القبيح البغيض للفطرة ». والأعمال الظاهرة لاتكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب ، وكذلك عمل القلب لابد أن يؤثر في عمل الجسد (١) . « وقد يكون من الضروري أن نضع بين أيدينا منذ البداية المبادئ التالية قبل الخوض في بعض التفاصيل كما يفهم من كلام ابن تيمية .

أولاً : إن الدين يعمل علىٰ تحقيق المبادئ الخلقية في إطار نظرية للسلوك الفاضل وغير الفاضل .

١) تحصيل المصالح وتكميلها ٢) تعطيل المفاسد وتقليلها

٣) ترجيح خير الخيرين ٤) منع شر الشرين

٥) تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما .

ثانياً : الدين قد حمد أفعالا هي الحسنات ووعد عليها ، وذم أفعالا هي السيئات وأوعد عليها ، وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والطاقة .

ثالثا : أن يكون السلوك تابعا لأمر الله ورسوله ، وأن يكون مشروعا ومسنونا » (٢) .

---

(١) انظر النظرية الخلقية ، ص ٥٢١ ، ٥٣١ ، مرجع سابق . (٢) النظرية الخلقية ص ٥٣٢ ، ٥٣٣ مرجع سابق .

« ففي النظرية الإسلامية كما نجدها لدى ابن تيمية لابد من اعتبار ملاءمة الزمان والمكان والفاعل ، والغاية والنتيجة ، والتجرد من الأهواء ، وغير ذلك من الاعتبارات » (١) ومع أن هذا الذي استخلص من قبل كان مستخلصه يقعد للنظرية الخلقية عند ابن تيمية ، فإننا سقناه هنا باعتباره الأساس الذي تقوم عليه الوظائف المعيارية في الإعلام الإسلامي ، إذ لايمكن أن تخرج ضوابط الإعلام في الإسلام على الأمور السابقة الذكر ، بل لانتصور أن تخرج حركة الحياة الإسلامية في عمومها عن تلك الضوابط . وكل مايمكن إضافته إنما هو تفصيل لبعض الإجمال الذي مر من قبل في ذلك الاستخلاص ، من جنس قوله رحمه الله «والأقوال إذا حكيت عن قائلها أو نسبت الطوائف إلى متبوعها ، فإنما ذلك على سبيل التعريف والبيان ، أما المدح والذم والموالاة والمعاداة ، فعلى الأسماء المذكورة في القرآن العزيز فاسم المسلم والكافر ، والمؤمن والمنافق ، والبر والفاجر ، والصادق والكاذب ، والمصلح والمفسد وأمثال ذلك ، وكون القول صوابا أو خطأ يعرف بالأدلة الدالة على ذلك ، المعلومة بالفعل والسمع » (٢) وقوله : فإنه يجب ترجيح الراجح فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة ، فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر ، لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته ، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة» (٣) هذان النصان لو وزنا بماء الذهب فيما يتعلق بضبط حركة

---

(١) النظرية الخلقية ، ص ٥٤٣ ، مرجع سابق .

(٢) الدرء ١ / ٢٧٣ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٢٩٠ ، مرجع سابق .

(٣) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٣٤ ، نقلا عن المرجع السابق ص ٣٤٢ .

الإعلام اليوم لوزناه، فما أشد الحاجة إليهما في كل كلمة أو صورة أو حركة تصدر عن وسائل الإعلام في العالم الإسلامي ، وكل وظيفة من وظائف الإعلام الإسلامي لابد أن ينضبط الأداء فيها بالضوابط المذكورة في النصين، وما يحدث اليوم من انحراف في الأداء الإعلامي في الحقيقة سببه عدم وضع تلك الضوابط موضع الاعتبار ، بل عدم الصدور عنها في الواقع الإعلامي في بلدان العالم الإسلامي عموما «وإذا كانت جميع الحسنات لابد فيها من اثنين ، أن يراد بها وجه الله ، وأن تكون موافقة للشريعة ، فهذا في الأقوال والأفعال في الكلام الطيب والعمل الصالح، في الأمور العلمية والعملية العبادية . . « فهذه الأمور العلمية الكلامية يحتاج أن يكون مايخبر به عن الله واليوم الآخر ، وماكان ومايكون حقا صوابا ، وما يأمر به وينهى عنه كما جاءت به الرسل عن الله . . » ويحتاج أيضا أن يؤمر بذلك لأمر الله ، وينهى عنه لنهي الله ، ويخبر مما أخبر الله به لأنه حق ، وإيمان ، وهدى ، كما أخبرت به الرسل ، كما تحتاج العبادة إلى أن يقصد بها وجه الله ، فإذا قيل ذلك لاتباع الهوى والحمية أو لإظهار العلم والفضيلة ، أولطلب السمعة والرياء ، كان بمنزلة المقاتل شجاعة ، وحمية ورياء . ومن هنا يتبين لك ماوقع فيه كثير من أهل العلم والمقال وأهل العبادة والحال ، فكثيرا مايقول هؤلاء من الأقوال ماهو خلاف الكتاب والسنة أو مايتضمن خلاف السنة ووفاقها ، وكثيرا ما يتعبد هؤلاء بعبادات لم يأمر الله بها ، بل قد نهى عنها ، أوما يتضمن مشروعا ومحظوراً، (١) » ثم إن من الأقسام الثلاثة المأمور والمحظوروالمشتمل على الأمرين .

---

(١) الأمربالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٧٢ ، ٧٣ ط ٢ عام ١٤٠٦هـ دار المجتمع للتوزيع والنشر د/ محمد السيد الجليند .

قد يكون لصاحبه نية حسنة ، وقد يكون متبعاً لهواه، وقد يجتمع له هذا وهذا... وهذا كله من لبس الحق بالباطل ، وخلط عمل صالح وآخر سيء ، والسيء من ذلك قد يكون صاحبه مخطئا أو ناسيا مغفورا له، كالمجتهد المخطئ الذي لـه أجر وخطأه مغفور له، وقد يكون صغيراً مكفراً باجتناب الكبائر وقد يكون مغفورا بتوبة، والحسنات تمحو السيئات، أو مكفراً بمصائب الدنيا ونحو ذلك» (١) إن هذا النص من الذخائر النفيسة فيما يتعلق بقضية الضوابط والمعايير للإعلام الإسلامي والشيخ وهو يكتبه لم يكن بحسبانه في اعتقادي عرض الواقع الإعلامي عليه ووزنه به، سواء من حيث مادة الإعلام أو من حيث خصائص القائمين بالإعلام أو مشكلات الإقدام والإحجام في الأداء الإعلامي نفسه أو حتى مسألة الإقدام والإحجام في الانخراط في سلك وسائل الإعلام في العالم الإسلامي (٢) وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية يعايش هذا الوضع، فيضع من القواعد الشرعية ما يكفل شرعية الحركة الإعلامية، فهو يقول « وإذا اشتبه الأمر استبان المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية ، وإذا تركها كان عاصيا فترك الأمر الواجب معصية ، وفعل مانهي عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع، ولاحول ولاقوة إلا بالله . » (٣) فالشيخ بالنصوص السابقة ينبه إلى ضرورة توفر الضمانات الموضوعية والعلمية بصدد الأحكام صدقا وكذبا ، وذلك بالنظر إلى كل قضية من حيث مصدرها ومنهجها ، وتخصصها ومدى الخبرة بها، ومن حيث ربطها بظروف البيئة الزمانية والبشرية (٤)، وما أصدق المقولة المنسوبة إلى عيسى عليه السلام (الأمور ثلاثة، أمر تبين رشده

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤ (٢) انظر مدخل إلى الإعلام ، ص ٥٣ . ٥٤ مرجع سابق . (٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٣٤ من مؤلفات الشيخ (٤) انظر النظرية الخلقية ص ٤٧٩ مرجع سابق بتصرف يسير.

فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلىٰ عالمه (١) » وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ، ولم ينبه عنهما، فتارة يصلح الأمر ، وتارة يصلح النهي ، وتارة لايصلح لا الأمر ولا النهي، وذلك في الأمور المعينة الواسعة ، أما من حيث النوع ، فيؤمر بالمعروف مطلقا، وينهي عن المنكر مطلقا .. » (٢) . وهنا آداب تجب مراعاتها : منها عدم مفاتحة عوام المسلمين بالمسائل التي قد تكون من باب الفتن حفاظا عليهم واتقاء للفتن التي هم في عافية منها ، ولكن الإنسان إذا سئل ممن يدرك الأمور أجاب بما عنده من العلم مما يرجىٰ به النفع (٣) وكذلك لابد من هدم الباطل وإحلال الحق مكانه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا من أحسن معرفة أبي عبدالله بالمناظرة رحمه الله، فإن المبتدع الذي بنىٰ مذهبه علىٰ أصل فاسد ، فينبغي إذا كان المناظر مدعيا أن الحق معه أن يبدأ بهدم ماعنده، فإذا انكسر وطلب الحق ، فأعطاه إياه، وإلا فما دام معتقداً نقيض الحق ، لم يدخل الحق إلىٰ قلبه » (٤) والمطلوب أن ندعو إلىٰ الحق وأن نصيب الحق ، وأن ندعو إلىٰ الكتاب والسنة، وأن نصيب حكمها في تصرفاتنا ومسلكنا، وأن ندعو إلىٰ المعتقد الحق، وأن نصيب الحق في صدقه فىٰ سائر تصرفاتنا وأن نتثبت ، فالتثبت والتحقيق أخو الحق والعلم والإيمان، وهناك فرق بين كون الإنسان يدعو إلىٰ الحق ، وكونه علىٰ الحق، وبين كونه يدعو إلىٰ الكتاب والسنة وبين كونه أصاب حكمهما في قضية ما أو أمر ما (٥) «والمقصود أنهم نهوا عن

---

(١) انظر النظرية الخلقية ص ٤٧٩ مرجع سابق بتصرف يسير .

(٢) رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٣٤ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص٣٤٢ ، مرجع سابق .

(٣) الفتاوىٰ ٦ / ٥٠٦ ـ ٥٠٤ نقلا عن المرجع السابق .

(٤) الفتاوىٰ ٧ / ١٥٨ ـ م . س .

(٥) انظر دعوة إلىٰ التفكير المنهجي في منهج أهل السنة والجماعة د . عبدالله الرحيلي ط عام ١٤١٢هـ

المناظرة من لايقوم بواجبها أو مع من لايكون في مناظرته مصلحة راجحة ، أو فيها مفسدة راجحة ، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال ، وأما جنس المناظرة بالحق ، فقد تكون واجبة تارة ومستحبة تارة أخرىٰ، وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة منها محمود، ومذموم ، ومفسدة ومصلحة، وحق ، وباطل » (١) والإعلام في الواقع منه ماهو محمود ومذموم، ومفسدة ومصلحة وحق وباطل . والواجب السعي لإصلاح هذا الواقع بحيث يكثر المحمود وتتحقق المصلحة، ويسود الحق ويعلو . ومن هنا جاءت أهمية الوظائف المعيارية في الإعلام الإسلامي، أو جاءت ضرورة وضع ضوابط سديدة للنشاط الإعلامي بكل أشكاله وألوانه فلا مجال للفواحش ولا الظلم ولاالشرك ، ولا القول بغير علم (٢) « وليس مما أمر الله به ورسوله ولامما يرتضيه عاقل أن نقابل الحجج القوية بالمعاندة والجحد ، بل قول الصدق ، والتزام العدل لازم عند جميع العقلاء ، وأهل الإسلام والملل أحق بذلك من غيرهم إذهم ولله الحمد أكمل الناس عقلاً وأتمهم إدراكاً ، وأصحهم ديناً وأشرفهم كتابا ، وأفضلهم نبيا وأحسنهم شريعة » (٣) ولاشك أن الرجوع إلىٰ الحق خير من التمادي في الباطل (٤) لأن الردود لابد أن تكون علىٰ أقوال تثبت نسبتها إلىٰ قائلها ، وأن تكون هذه الأقوال قد فهمت فهما سليما كما قصدها أصحابها ، ولاتكون أقوالا دخلها التحريف أو أقوالا معترضة نقلها صاحب الكتاب مثلا عن غيره ، فهو ناقل لهما وقد يأتي بما يناقضها » (٥) .

واستنادا إلىٰ ذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية لايطلق الأحكام جزافا

(١) الدرء (١ / ١٧٤) نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٨٢٨ ، مرجع سابق .

(٢) انظر النبوات، ص ٢٨٤ ، مرجع سابق، من مؤلفات الشيخ .

(٣) الدرء ٩ / ٢٠٧ ، نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٣٤٧ ، مرجع سابق .

(٤) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٣٤٧، المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق ، ٩٨١ .

و«لكنه حين يحكم على الأشخاص لايحكم عليهم من خلال هذه المقالة الفاسدة التي ردها، وإنما ينظر إليهم نظرة متكاملة »(١) « لم يكن شيخ الإسلام ابن تيمية يكيل المدح أو الذم جزافا ، بل يقرن ذلك بكثير من التحفظ، والسبب في ذلك أنه بنى منهجه على مقياس الاتباع لمنهج أهل السنة وليس على الأشخاص ، إذ كل إنسان مهما كان يؤخذ من قوله ويترك سوى رسول الله ﷺ »(٢) . ولذلك نجده يقول : «وكان ينبغي أن يحكي لفظ المجيب بعينه ، ويبين مافيه من الفساد ، وإن ذكر معناه ، فيسلك سبيل الهدى، والسنة . فأما أن يذكر عنه ماليس فيه ، ولايذكر مافيه ، فهذا خروج عن الصدق والعدل إلى الكذب والظلم »(٣) وهنا ميزان دقيق في الحكم على الأقوال غاية في الإنصاف ، ومنه قوله « وكثير من الناقلين ليس مقصده الكذب لكن المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم ، وسائر مابه يعرف مرادهم قد يتعسر على بعض الناس ، ويتعذر على بعضهم (٤) «والمجادلة المحمودة إنما هي بإبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال .. والضابط في هذا ، والله أعلم أن يقال: إن الناس لايحدثون شيئا إلا لأنهم يرونه مصلحة، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه ، فإنه لايدعو إليه عقل ولادين ، فما رآه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحوج إليه .. فتفطن لحقيقة الدين وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ، بحيث تعرف ماينبغي من مراتب المعروف ، ومراتب المنكر ، حتى تقدم أهمها عند المزاحمة ، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل ، فإن التمييز بين جنس المعروف وجنس المنكر ، وجنس

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٣٨

(٢) المرجع السابق ، ٧٣٤

(٣) الرد على الأخنائي ص ١٣ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٣٤٧ ، مرجع سابق .

(٤) منهاج السنة ٣ / ٢٠٨ ، نقلا عن المرجع السابق .

الدليل وغير الدليل « بحيث تقدم عند التزاحم أعرف المعروفين فتدعو إليه، وتنكر أنكر المنكرين، وترجح أقوى الدليلين ثم المخصص هو الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع نصا واستنباطا »(١) والتحقيق أن العمل لا يمدح ولا يذم لمجرد كونه لذة، بل إنما يمدح ماكان لله أطوع وللعبد أنفع، سواء كان لذة أو مشقة (٢). « إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فما أمر الله به فمصلحته راجحة، ومانهى عنه فمفسدته راجحة (٣) والمطلوب أن يتحرى المسلم الصواب فيما يتعلق بتحقيق المصالح المعتبرة شرعا ودرء المفاسد بحسب الإمكان والاستطاعة « وقد يكون مصيبا فيما عرفه من الحق فيما يتعلق بنفسه، ولم يكن مصيبا في معرفة حكم الله في غيره، وذلك بأن يكون قد علم الحق في أصل يختلف فيه سماع وخبر، أوبقياس ونظر، أوبمعرفة وبصر، ويظن مع ذلك أن ذلك الغير التارك للإقرار بذلك الحق عاص أو فاسق أو كافر، ولايكون الأمر كذلك، لأن ذلك الغير يكون مجتهدا قد استفرع وسعه، ولايقدر على معرفة الأول لعدم المنتفي ووجود المانع » (٤) «ومع ذلك فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السنة والشريعة، والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان، كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة » (٥) وعلى المسلم المتابعة في ذلك لرسول الله ﷺ « فمالم يثبت أن الرسول ﷺ دعا الخلق إليه لم يكن على الناس إجابة من دعا إليه، ولاله دعوة الناس إلى ذلك، ولو قدر أن ذلك المعنى حق » (٦) من كل

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٧١ ـ ٢٩٨ مرجع سابق

(٢) الاستقامة، ص ٣٤٠، مرجع سابق

(٣) الواسطة بين الحق والخلق، ص ٤٧، مرجع سابق

(٤) الاستقامة، ص ٤٩ مرجع سابق.

(٥) المرجع نفسه ص ٤١.

(٦) الدرء ١ / ٢٢٩، نقلا عن منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص٦٥٤ مرجع سابق.

ماسبق في قضية تحديد معايير وضوابط يصدر عنها في العمل الإعلامي الإسلامي استخلاصا من الإنتاج الفكري لشيخ الإسلام ابن تيمية يستطيع المرء أن يجزم بأن المحصلة النهائية عظيمة الفائدة وأن الاستفادة منها بالصورة التي عرضت بها تجعل من الإعلام المنضبط بها إعلاما تتوفر له أسباب التأثير والإفادة (الإمتاع والقبول) حيث تحققت فيه جملة أمور تجعله كذلك (صدق المحتوى ، صدق الحامل ، حسن العرض ، الشمول ، التنوع ، المعايشة الحياتية) (١) فلو ضربنا مثلا بضوابط وظيفة الإخبار فقط لوجدنا أن هناك ضوابط تقوم علي الخصائص الذاتية للإخبار ، وضوابط تقوم على خصائص خارجية عن موضوع الإخبار ، فالضوابط الذاتية هي مايشترط في استقاء الأخبار وعرضها وتفسيرها وتحليلها ومراعاة الظروف المحيطة بالأحداث وأما الضوابط ذات الخصائص الخارجية فهي متمثلة في الشروط المطلوب توفرها في الناقل في فضائل نفسه وفي أدائه أي في نقله للأخبار أو الموضوعات الإخبارية المختلفة من مثل اصطحابه للمعايير ، واستقامة منهجه ، ووضوح عبارته ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى «وقد يعلم صدق الخبر بأنواع من الدلائل ، تدل علي صدقه ، ويعلم صدق الخبر الواحد بقرائن بخبره يعلم بها صدقه ، وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق ، بحيث يعلم قطعا أنه لايتعمد الكذب ، وقد تكون الدلائل صفات في المخبر به مختصة بذلك الخبر ، أو بنوعه يعلم بها أن ذلك المخبر لايكذب مثل ذلك الخبر (٢) ويقول «إن كون الشخص يخبره الله بالغيب خبرا معصوما هذا مختص بهم (الأنبياء) وليس هو موجوداً لغيرهم ، فضلا عن كونه معتادا» (٣)

---

(١) انظر أصول محاضرات للمؤلف في مادة منهج الإعلام الإسلامي للدراسات العليا بقسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام . بالرياض

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ح ٤ / ٣٠٣ ، مطابع المجد التجارية .

(٣) النبوات ، ص ١١ ، مرجع سابق .

وعلى هذا فما يتعلق بالإخبار عن مسائل الغيب فالاعتماد فيه ينبغي أن يقصر على النقل المعصوم، سواء كان الغيب نسبيا إضافيا أم غيبا حقيقيا .(١) ولو ضربنا مثلا آخر فيما يتعلق بالضوابط التي يمكن استخلاصها من فكر ابن تيمية في وظيفة بعينها من وظائف الإعلام الإسلامي، وهي وظيفة التسرية، نجده يقول : « فالنبي ﷺ ذكر الصوتين الأحمقين الفاجرين ، الصوت الذي يوجب الاعتداء في الفرح حتى يصير الإنسان فرحا فخورا ، والصوت الذي يوجب الجزع عند الحزن حتى يصير الإنسان هلوعا جزوعا . وأما الصوت الذي يثير الغضب لله ، فكالأصوات التي تقال في الجهاد من الأشعار المنشدة، فتلك لم تكن بآلات ، وكذلك أصوات الشهرة في الفرح ، فرخص منها فيما وردت به السنة من الضرب بالدف في العرس والأفراح للنساء والصبيان ، وعامة الأشعار التي تنشد بالأصوات لتحريك النفوس هي من هذه الأقسام الأربعة ، وهي التشبيب وأشعار الغضب والحمية وهي الحماسة والهجاء وأشعار المصائب كالمراثي وأشعار النعم والفرح وهي المدائح .. والفرقان أن يحمد من ذلك ماحمده الله ورسوله ، فإن الله تعالى هو الذي حمده زين، وذمه شين، دون غيره من الشعراء ، والخطباء وغيرهم » (٢) ويضيف قائلا : «فإن النفوس لاتصبر على المر إلا بنوع من الحلو لايمكن غير ذلك .. » (٣) ولهذا ذكر الفقهاء أن العدالة هي الصلاح في الدين والمروءة باستعمال مايجمله ويزينه وتجنب مايذله ويشينه وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول (إني لاستجم نفسي بالشيء من الباطل لاستعين به على الحق. والله سبحانه إنما خلق اللذات والشهوات في الأصل لتمام

(١) الدرء ١ / ٣١ ، ٣١٧ مرجع سابق .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٦٣ ، ٦٥ ، مرجع سابق .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٤ ، ص٥٥

مصلحة الخلق ، فإنه بذلك يجتلبون ما ينفعهم ، كما خلق الغضب ليدفعوا مايضرهم ، وحرم من الشهوات ما يضر تناوله ، وذم من اقتصر عليها ، فأما من استعان بالمباح الجميل على الحق ، فهذا من الأعمال الصالحة . (١) وغير خاف جانب التحليل النفسي في اختيار هذه الضوابط عند الشيخ رحمه الله وهو يقول كذلك : « والقضايا التي يتفق عليها عقلاء بني آدم لاتكون إلا حقا ، كاتفاقهم على مدح الصدق والعدل وذم الكذب والظلم » لكن يتنوع ذلك بتنوع المقاصد والصفات » (٢) وكما اهتم الشيخ بالبعد النفسي في تحديد الضوابط كما مر من قبل ، تراه يتناول أيضا ضوابط في البعدين السياسي والاجتماعي إضافة إلى ماسبق من أبعاد أخرى ، فهو يتناول طاعة ولي الأمر باعتبارها ضابطا كما يصور النص التالي « ولذلك كانت طاعة ولي الأمر عند ابن تيمية ليست مطلقة ، ولكن مقيدة ، فهي واجبة مادام قائما على تنفيذ كتاب الله ، وهي مظهر من مظاهر الحرية السياسية التي جعلها ابن تيمية محوراً أساسيا لنمو العدالة الاجتماعية « وهو يذهب إلى أن الولاية هي بمثابة الوكالة أو الإجارة » (٣) ومن هنا فإنه يرى أن تدخل الدولة في حرية الفرد واجب شرعي لايدخل في إطار القهر الاجتماعي لحرية الفرد . (٤) وهكذا فإن مفهوم العدل الاجتماعي عند ابن تيمية هو إطلاق الحرية السياسية والأخذ بمبدأ الشورى بين الراعي والرعية ، وكذلك تحري حاجات الفرد الاقتصادية مادام ملتزما بحاجات الجماعة ومصلحتها ، وإلا وجب على الدولة أن تتدخل لتحقيق العدالة الاجتماعية على ضوء تعاليم الإسلام» (٥) .

---

(١) الفتاوى ٢٨ / ٣٦٨ ، ٣٦٩ من مؤلفات الشيخ المشهورة .

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص٥٤ ، ٥٥ مرجع سابق .

(٣) انظر السياسة الشرعية ص١٣ نقلا عن آثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ص ١٧٦

(٤) انظر المرجع السابق ص١٧٧ .

(٥) المرجع السابق ص١٨١ .

فهو مما سبق يقرر في حسبانه في الضوابط للحركة في الحياة الإسلامية البعدين السياسي والاجتماعي ، بل والاقتصادي ومصالح الأفراد والجماعات . ومن ثم فإن التركيز الشديد للضوابط التي أمكن استخلاصها من فكر الشيخ قد يكون معينا على إجراء مقارنة بينه وبين ما كان الدارسون في الإعلام الإسلامي قد انتهوا إليه في مسألة الضوابط تلك ، فقد ظهر من خلال النصوص السابقة ، أن الانطلاق من المعتقد الحق ، والتزام أحكام الشرع الحنيف ومقاصده ، والعلم ، والخلق والرحمة ، والمحافظة على المصلحة المعتبرة شرعا لبني الإنسان ، ومراعاة حال النفس البشرية ، والمتابعة للرسول ﷺ ، والبعد عن الشرك ، والكذب والظلم والفحش وضرورة التثبت ، وإقامة الدليل ، وطاعة ولي الأمر مادام قائما على تنفيذ كتاب الله ، وعدم الخوض في مسائل الغيب إلا بدليل قطعي ، والمحافظة على الذوق العام ، وربط الحركة بالقدرة والاستطاعة هي جملة الضوابط الأساسية التي لابد من مراعاتها عند القيام بنشاطات إعلامية تدخل في نطاق وظائف الإعلام البنائية .

وهذا الذي خرجنا به من تتبع نصوص إنتاج شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة معايير الإعلام وضوابطه أو الوظائف المعيارية يتفق في جوهره مع ماسبق أن انتهت إليه الدراسات الإعلامية الإسلامية (١) ومرة أخرى يؤكد هذا التطابق حقيقة تأثير الفكر على الرأي ، فوحدة المصادر الفكرية تؤدي إلى انسجام في الآراء وتوافق وتطابق أحيانا ، ذلك أن نصوص الإسلام هي الميزان الصحيح الذي توزن به المسلمات (٢) .

---

(١) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ٢٧ ـ ٢٩ ، مرجع سابق

(٢) انظر الأساس في التفسير ١ / ٥ ، سعيد حوى ط ١ عام ١٤٠٥ ، نشر دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع .

وبعد هذه الوقفة الطويلة مع معايير الإعلام وضوابطه في فكر ابن تيمية نرىٰ أن تختم باستخلاص لأحد الذين درسوا فكره في نطاق الجانب الخلقي لأننا في الحقيقة لانرىٰ فرقا بين اعتبار ماذكر فيه معايير خلقية أو معايير وضوابط إعلامية خاصة، وأنها في حقيقة الأمر هي زبدة ماخرجنا به من فكره في الجانب الإعلامي أيضا ، ولاغرابة في هذا فالانسجام هو السمة العامة للحياة الإسلامية لقيامها في جوانبها المختلفة علىٰ الوحي (١) » وبعد جولة مع المعايير الخلقية للفضائل والرذائل لدىٰ ابن تيمية فإنه يمكننا أن نستخلص النقاط التالية :

أولاً : أنه أقام تلك المعايير علىٰ أسس عقلية وفطرية ، بما ذكره من مبادئ الحق ، والخير ،والسعادة ،و اللذة العقلية الشريفة ،والأصلح ، والأنفع ، والأجمل والملائم ، والمحبوب للفطرة ، وغير ذلك مما أشرنا إليه ، وهذا هو معيار الفضيلة ، وضد ذلك الرذيلة .

ثانياً : أنه أقامها كذلك علىٰ أسس دينية تعتمد أولا علىٰ القواعد العقلية (٢) والفطرية السابقة وتعتمد ثانيا علىٰ الإيمان بالإرادة أو التوجه الإلهي (٣) الذي لايتوخىٰ إلا ما يحقق للناس السعادة القصوىٰ في الدنيا والآخرة ، وتعتمد ثالثاً علىٰ عناصر الإرادة الحرة والطاقة والوسع وإمكانية العلم والعمل ، بالإضافة إلىٰ الصدق النفسي والتعلق القلبي بالفضائل ، والنفور القلبي الصادق من الرذائل ، وتعتمد رابعا علىٰ التجربة الواقعية ومراعاة وتقدير الظروف الخارجية التي تحيط بالسلوك أو تصاحبه .

---

(١) انظر نحو منهجية إسلامية للعلوم الإنسانية والاجتماعية للمؤلف ، ص ٧ ـ ١٠ دار المسلم ط١عام ١٤١٥هـ ، الرياض

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية لايرىٰ تعارضا بين العقل الصحيح ، والنقل السليم ، وبنىٰ كتابه الدرء علىٰ هذا الأصل .

(٣) لا أقر هذه العبارة لأني لا أعلم هل ورد النص بجواز وصف الله سبحانه وتعالىٰ بها .

ثالثاً : أن الأحكام العقلية الخاصة المتعلقة بالفضائل والرذائل .

لها سلطة الأحكام الدينية إن لم يكن ثمة دين ، وطالما كانت مبرأة من الأهواء وإلا فالدين لايقر مثل هذه الأحكام ، أو مع وجود الدين ، فهذه الأحكام الخلقية تدخل في نطاق الجزاء الديني الأخروي .

رابعاً : أن هذه المعايير تتميز بجوانب إنسانية من حيث اعتمادها على الحقائق والقضايا المتفق عليها بين جميع الناس ، ومن حيث تقديرها للظروف المختلفة التي يمر بها الإنسان وتتسم كذلك بالواقعية .

خامساً : وهذه المعايير لاتتسم بالصرامة أو الحتمية المطلقة والتجريدية المفرطة » (١) .

سادساً : الأدلة الإعلامية .

النشاط الإعلامي نشاط قصدي، يراد من ورائه إحداث أثر معين في مستقبله ، وتختلف طبيعة هذا الأثر باختلاف المعلمين، ومدى قدرتهم على الإقناع بموضوع إعلامهم، وأحوال من يعلمون وظروفهم، وملابسات الزمان والمكان ، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في نطاق المقومات الذاتية والموضوعية للعملية الإعلامية ككل (٢) للعلاقة بين تأثير الإعلام وتلك المقومات جميعا من حيث تحديدها للظرف الاتصالي الذي تتم في إطاره عملية الإعلام أو الاتصال الإعلامي عموماً » (٣) . ومامن ريب في أن تأثير الإعلام قد يصعب تحديده بدقة حيث يصعب قياسه منعزلا عن بقية المؤثرات الاجتماعية والفكرية الأخرى مع الإجماع عليه إجمالا لدى

---

(١) النظرية الخلقية ، ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، مرجع سابق .

(٢) انظر التصور الموضوعي لدراسة الإعلام الإسلامي ص١٥ دار عالم الكتب ط١عا م١٤٠٦ مرجع سابق .

(٣) انظر المرجع السابق المدرك نفسه .

الدارسين والممارسين للإعلام من حيث أبعاده المختلفة (التأثير المعرفي، والاتجاهي، و السلوكي في مستوى حصوله في كل بعد من تلك الأبعاد . ونحن في تناولنا لهذا الموضوع من خلال دراسة فكر ابن تيمية ندرك أن هناك أسبابا وعوامل وشروطا لهذا التأثير ، ونعتقد أن من الأسباب القوية لحصول التأثير الإعلامي هو مصداقيته ، ولاتتحقق تلك المصداقية إلا بقيام العطاء الإعلامي على البرهان والدليل فمالم تصمد أدلة الإعلام وبراهينه أمام التمحيص فإن بنيانه ينهار . لذلك رأينا توجيه عناية خاصة في دراستنا هذه للأدلة في الطرح الإعلامي الإسلامي، من خلال استعراض ماورد في فكر ابن تيمية حول موضوع الأدلة .

وكما رأينا عمقا ودقة في الموضوعات السابقة ، فإننا وجدنا في موضوع الأدلة مادة ثرة شملت أبعادا كثيرة في قضية الاستدلال عموما حيث شملت تلك المادة بيان أهمية الاستدلال واختلاف الأدلة باختلاف موضوع الاستدلال وطبيعة المخاطبين وأنواع الأدلة عموما وارتباط مكانة الدليل بالحاجة إلى المدلول عليه وكون الاستدلال أحد أسباب معرفة المراد من الكلام، ومكانة النقل الصحيح في الاستدلال وموافقة الدليل العقلي للدليل النقلي وأنواع الأخطاء في الأدلة بل وضوابط الأدلة والاستدلال، وغير ذلك من المسائل والقضايا المهمة التي تدخل في نطاق الإقناع بالحجج التي تقدم للإقناع مما سيجري تفصيله في ثنايا التناول، وغني عن البيان أن الصراع بين الحق والباطل على أشده اليوم وأن سلاح الكلمة (الإعلام) هو أمضى الأسلحة في هذا الصراع وأن كثيرا من الإقبال على وسائل الإعلام الكافرة في العالم الإسلامي اليوم من أسبابه الواضحة هو عناية تلك الوسائل بتأسيس عملها على صنوف من الأدلة تحقق لها قدرا من المصداقية في نظر من يستقبلونها أو من يقارنون بين مايبث من خلالها وبين مايبث من وسائل الإعلام في العالم الإسلامي مع أن الأصل هو خلاف

ذلك (١) لأن الله سبحانه وتعالىٰ قد أرشد المسلمين إلىٰ ذلك بقوله ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ [البقرة : ١١١] . وإذا كانت النظم اللادينية قد حصرت عنايتها بالاستدلال علىٰ ثلاثة أسس هي التجربة ، والعقل والبداهة ، فإن ديننا الحنيف قد منح معتنقيه فرصة أوسع بكثير للتغلغل والغوص وراء الحقائق والمعارف عموما ، فهو إلىٰ جانب اعترافه بالأسس السابقة وتحديد مناطقها ، يشمل جميع جوانب الحياة إذ كل مافي الحياة من حوادث وعوالم له علاقة بالخالق جل جلاله (٣) ولما كانت حاجة الناس إلىٰ معرفة الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء أعظم من أي حاجة أخرىٰ تفضل جل جلاله بنصب الأدلة والشواهد علىٰ ربو بيته وقدرته ومشيئته وحكمته بصورة تتيح للناس سبل الانتفاع بتلك المعرفة ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيان هذه الحقيقة «وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن النبوة تعلم بطرق كثيرة وذكرنا طرقا متعددة في معرفة الصادق والمتنبي الكذاب غير طريق المعجزات ، فإن الناس كلما قويت حاجتهم إلىٰ معرفة الشيء يسر الله أسبابه كما يسر ماكانت حاجتهم إليه في أبدانهم أشد ، فلما كانت حاجتهم إلىٰ النفس والهواء أعظم منها إلىٰ الماء كان مبذولا لكل أحد في كل وقت ، ولما كانت حاجتهم إلىٰ الماء أكثر من حاجتهم إلىٰ القوت كان وجود الماء أكثر لذلك . فلما كانت حاجتهم إلىٰ معرفة الخالق أعظم كانت آياته ودلائل ربوبيته وقدرته وعلمه ومشيئته وحكمته أعظم من غيرها . ولما كانت

---

(١) لاأظن أن هناك من يجادل في هذه القضية ، ومع ذلك فإني أحيل المخالف إلىٰ إذاعة لندن ليرىٰ عدة تلك الإذاعة في الاستحواذ علىٰ عقول ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ .

(٣) انظر اختاروا أحد السبيلين الدين أو اللادينية ، د .محمد ناصر ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط٥ عام ١٤٠٥ هـ .

حاجتهم إلىٰ معرفة صدق الرسل بعد ذلك أعظم من حاجتهم إلىٰ غير ذلك أقام الله سبحانه من دلائل صدقهم وشواهد نبوتهم وحسن حال من اتبعهم وسعادته ونجاته وبيان ما يحصل له من العلم النافع والعمل الصالح وقيل حال من خالفهم وشقاوته وجهله وظلمه مايظهر لمن تدبر ذلك (١) » . وهذا النص في نظري لايكشف عن أهمية الدليل ومكانته في فهم المراد وحصول الانتفاع فحسب ، بل إنه يشير إلىٰ قضية مهمة من قضايا الاستدلال وهي أن عظم الدليل مرتبط بشدة الحاجة إلىٰ المدلول عليه .

ومعنىٰ ذلك لدىٰ المتدبرين أنه ينبغي علىٰ وسائل الإعلام في العالم الإسلامي أن تعني باستخدام الأدلة الكثيرة التي نصب الله جل جلاله للدلالة عليه في تعريف الخلق بخالقهم ، وأن يكون ذلك دعامة الوظيفة الإنسانية التي تميز الإعلام الإسلامي عن غيره من أنواع الإعلامات حتىٰ يدخل الناس في دين الله أفواجا وحتىٰ تعم الرحمة البشرية فتنقذ من النار (٢) . وحتىٰ يؤدي المسلمون أمانة البلاغ التي في أعناقهم أو فرض البلاغ بلغة الشرع ، سواء كان هذا الفرض عينيا أو كفائيا أو هما معا (٣) نيابة عن الرسول ﷺ الذي أمضىٰ عشرين عاما في عمل متواصل لإيصال الحق للناس . ومهمة البلاغ التي تحملها رسولنا الكريم بجلد وجد عز مثيله ، مهمة شاقة ولكنها جليلة القدر والخطر في حياة الناس ، والذين وفقوا لوراثة النبوة هم بعد الرسل من يطيق حمل هذه الأمانة ، ذلك أن الإعلام بالحق المحض والصبر علىٰ الأذىٰ فىٰ سبيل ذلك أمر لا يطيقه كل أحد (٤) . ومع

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، مرجع سابق .

(٢) انظر الإعلام الإسلامي (الأهداف والوظائف) ص ٧١ـ٨٦ ، مرجع سابق .

(٣) انظر الدعوة إلىٰ الله ، للشيخ أبي زهرة ، ص ٥١ ، دار الفكر العربي ، ط١ عام ١٩٧٣ م .

(٤) انظر مفاهيم إعلامية من القرآن ، ص ٩٤ ، دارعالم الكتب بالرياض ط١عام١٤٠٦هـ ، وانظر الإعلام الإسلامي (الأهداف والوظائف)ص٧١ .

ذلك فهي مسئولية لابد من الوفاء بها ، وتتمثل المسئولية الإعلامية في وقتنا الحاضر الذي نعد البحث فيه في جوانب عديدة ، بيان حقائق الدين ومقاصده وأحكامه وآدابه وأخلاقه، وبيان واقع المسلمين أينما كانوا وبيان واجب المسلمين تجاههم، وبدون هذا فإن المسئولية الاعلامية لم تؤد على الوجه السليم (١) .

ولو ضربنا مثلا بما يجري هذه الأيام عام ١٤١٥هـ في كل من البوسنة والهرسك والشيشان من حيث قيامنا بواجباتنا الإعلامية تجاههم لها لنا الأمر إننا نتحمل مسئولية كبيرة تجاه إخواننا المسلمين في كل مكان رصدا لأخبارهم الواقعة والمتوقعة حفزاً للناس على مساعدتهم والوقوف بجانبهم ونصرتهم وتعريفا بهم وبقضاياهم ، وبيانا للفظائع التي ارتكبت وترتكب ضدهم، ورداً للشبهات والتشويهات التي آثارها الإعلام الكافر ضدهم (٢) . وتحريضا لهم على تحقيق أسباب النصر : الصبر والتقوى، وهي لاشك مسئولية، يشترك فيها الأفراد والمجتمعات والدول، وكذلك العاملون في حقل الإعلام خاصة (٣) .

وإثباتا لما ذكر الشيخ رحمه الله من كثرة الأدلة وتنوعها فيما تشتد حاجة البشرية إليه نورد جملة نصوص من أقواله في هذا الصدد « فالله سبحانه وتعالى دل عباده بالدلالات العيانية المشهودة ، والدلالات المسموعة ، لكن عامتهم تعذر عليهم أن يسمعوا كلامه منه فأرسل إليهم بكلامه رسلا ، وأنزل إليهم كتبا ، والمخلوق إذا قصد إعلام من يتعذر أن يسمع منه أرسل إليه رسلا وكتب إليه كتبا ، كما يفعل الناس ، وولاة الأمور وغيرهم يرسلون

(١) انظر مشاركة الدكتور زيد عبدالكريم الزيد في الندوة التي نظمتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الأسبوع الثاني لمناصرة البوسنة والهرسك ، ص ١

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٢، ٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ، ص٣، ٤

إلى من بعد عنهم رسولا ويكتبون إليه كتابا ، ثم إنه سبحانه جعل مع الرسل آيات هي علامات وبراهين ، هي أفعال يفعلها مع الرسل يخصهم بها ، لايوجد لغيرهم ، فيعلم العباد لاختصاصهم بها أن ذلك إعلام منه للعباد وإخبارلهم أن هؤلاء رسلي كما يعلمهم ، بكلامه المسموع منه ، ومن رسوله « فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره » (١) فإن مدلول الآيات سواء سميت معجزات أوغيرها هو الخبر الصادق بنبوة النبي ومدلولها إخبار الله وشهادته بأنه نبي .. ، فما دل على نفس النبوة دل على صدق المخبر بها ، ومادل على صدق المخبر بها دل عليها ، وإما نفس إخبار الرب بالنبوة وإعلامه بها ، وشهادته بها ، قولا وعملا فهو إخبار منه بها ، وهو الصادق في خبره فإخباره دليل عليها ، فإنه لايقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق» (٢) « وما أنبأ به النبي عن الله يطابق خبره فخبره لاتكون فيه مخالفة لاعمدا ولاخطأ » فمعنى هذا اللفظ في القرآن هو الذي يحفظه الله عن الكذب خطأ وعمداً » (٣) مع أن دلائل الصدق والكذب لا تنحصر كدلائل الحب والبغض ، وهي كثيرة جدا وهذا يعرفه من جرب عادات الناس» (٤) ويلفت النظر حقا في هذا النص تركيز الشيخ على ألفاظ الإعلام والإخبار والخبر ومكانة الدليل في موضوع الإعلام والإخبار ، وإبراز خصائص الإخبار المفيد وهو كونه صدقا وحقا وعدلا وأثر ذلك في حياة الناس قديماً ، وحديثاً ومثله ذلك ماجاء في قوله «قد تقدم أن للناس في وجه دلالة المعجزات وهي آيات الأنبياء على نبوتهم طرقا متعددة منهم من قال دلالتها على التصديق تعلم بالضرورة ومنهم من قال تعلم بالنظر والاستدلال وكلا القولين صحيح فإن كثيرا من هذا من

---

(١) النبوات ص٢٨٤ مرجع سابق من مؤلفات الشيخ رحمه الله

(٢) المرجع السابق ص٣٢٢

(٣) المرجع السابق ص ٣٣٢

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٨٦ .

المعلوم في الباب كدلالة الأخبار المتواترة فإنه قد يحصل بالخبر علم ضروري، وقد يحصل العلم بالاستدلال » (١) « والتحقيق أن كلا القولين حق فإنه يحصل بها علم ضروري والأدلة النظرية توافق ذلك وكذلك كثير من الأدلة والعلامات والآيات من الناس من يعرف لوازمها بالضرورة .. ومن تأمل معارف الناس وجد أكثرها من هذا الضرب ، فقد يجيء المخبر إليهم بخبر فيعرف كثير منهم صدقه أو كذبه بالضرورة لأمور تقترن بخبره وآخرون يشكون في هذا ثم يتبين لبعضهم بأدلة وقد لا يتبين وكثير من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة ، بل إذا أخبره وهو خبير بحاله أو بحال ذلك المخبربه ، أو بهما معا علم بالضرورة إما صدقه وإما كذبه » (٢) والواقع يشهد بصدق ماقال الشيخ رحمه الله ودقته فالذين لديهم خبرة في مجال الإعلام والإخبار يعرفون من مجرد رواية الخبر مقدار مابه من صدق أو كذب ، ويستطيعون إقامة الدليل على حكمهم في هذا الشأن .

ومع أهمية مانقلنا عن الشيخ فيما مضى فإن الشيخ يلح كعادته على تأكيد الفكرة التي أشار إليها من قبل وهي أن أشد حاجة الناس إلى معرفة الخالق جل جلاله تيسر بسببها كثرة الأدلة والشواهد على ألوهيته وصدق رسله حيث يقول «وللناس طرق في دلالة المعجزة على صدق الرسول، طريق الحكمة، وطريق القدرة، وطريق العلم والضرورة وطريق سنته وعادته التي بها يعرف أيضا مايفعل وهو من جنس المواطأة وطريق العدل وطريق الرحمة وكلها طرق صحيحة، وكلما كان الناس إلى الشيء أحوج كان الرب به أجود» (٣) .وهذا الذي يقرره الشيخ هنا في غاية الأهمية بالنسبة لمن يقوم بالإعلام خاصة أولئك الذين يتحملون أمانة البلاغ عن الله فهو يوجههم إلى

---

(١) النبوات ص ٣٣٨

(٢) المرجع السابق ٣٣٨

(٣) المرجع السابق ٢٢٤

اتساع مساحة الحركة لديهم متى ماجعلوا الطرق التي أشار إليها منارا يهديهم في طريق إقناع الناس بقيمة الحق وملاءمته لفطرهم ، وتلمسه لشغاف قلوبهم ، فالطرق التي أشار إليها في الحقيقة مداخل طبيعية لقلوب الناس بل مفاتيح لها ، والإعلام الذي يحسن استثمارها في عرض مضامين الحق لاشك محبوب ومقبول من الناس لقيامه على أدلة لايستطيع الناس دفعها ، بل ولامعارضتها فهي قبس من نور القرآن ، ودلالة القرآن على الأمور نوعان ، أحدهما خبر الله الصادق ، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله به والثاني دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب ، فهذه دلالة شرعية عقلية ، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها ، وأرشد إليها ، وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل ، ولايقال إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر ، وإذا أخبر الله بالشيء ودل عليه بالدلالات العقلية صار مدلولا عليه بخبره ، ومدلولا عليه بدليله العقلي الذي يعلم به فيصير ثابتا بالسمع والعقل ، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الدلالة الشرعية .. » (١) « وبيان الرسول ﷺ على وجهين تارة يبين الأدلة العقلية الدالة عليها ، والقرآن مملوء من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الإلهية والمطالب الدينية ، وتارة يخبر بها خبرا مجردا لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل البينات على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لايقول عليه إلا الحق ، وأن الله يشهده بذلك ، وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما بينه عنه ، والأدلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة وهي أدلة عقلية تعلم صحتها بالعقل وهي أيضا شرعية سمعية » (٢). «وإذا أريد بالدليل الشرعي ما أثبته الشرع فإما أن يكون معلوما بالعقل أيضا ، ولكن الشرع نبه

---

(١) الفتاوى ٦ / ٧١-٧٢ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٣٠٤ مرجع سابق.

(٢) الفتاوى ٣ / ١٣٦ ، من أشهر ماجمع من أقوال الشيخ رحمه الله.

عليه ودل عليه ، فيكون شرعيا عقليا ، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها ، أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل ، وهي براهين ومقاييس عقلية ، وهي مع ذلك شرعية ، وإما أن يكون الدليل الشرعي لايعلم إلا بمجرد خبر الصادق ، فإنه إذا أخبر بما لايعلم إلا بخبره كان ذلك شرعيا سمعيا ، وأما إذا أريد بالشرعي ما أباحه الشرع وأذن فيه ، فيدخل في ذلك ماأخبر به الصادق ، ومادل عليه القرآن ، ومادلت عليه وشهدت به الموجودات » .(١) ومامن شك في أن سعة مدلول الدليل الشرعي كما عرضه الشيخ في النص السابق يتيح للإعلام الإسلامي فرصة التوسع في استخدام الأدلة مع محافظته على شرعية الحركة ، وهذا أمر في غاية الأهمية بالنسبة لمرونة الحركة والقدرة على مواجهة المستجدات ، وهو أمر يتضح أكثر فأكثر باستعراض نص آخر يبين الشيخ فيه سعة مدلول الأدلة الشرعية فالفطرة مثلا من الأدلة الشرعية « لأن الله سبحانه وتعالى خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ، ومعرفة الباطل والتكذيب به ، ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ، ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة ، فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة ، وما كان حقا نافعا عرفته الفطرة وأحبته واطمأنت إليه ، وذلك هو المعروف ، وماكان باطلاً معدوما كذبته الفطرة ، وأبغضته وأنكرته . » (٢) وربط النشاط الإعلامي في العالم الإسلامي بالفطرة يمثل أرضية صلبة في التمكين له في النفوس ، وارتباطها به ، وإقناعها به ، بل وحبها له لقوة صلة النفوس بالفطرة ، إضافة إلى أنه يمد الإعلام بمادة غزيرة من الأدلة يحتاجها في نطاق استدلالاته في معالجاته المختلفة وكذلك يمد الإعلام الإسلامي بنوع

(١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، ص ١٥٥ ، مرجع سابق

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

آخر من أنواع الاستدلال التي تحقق له الفاعلية والحيوية من خلال ما عرضه الشيخ لدليل سنة الله وعادته « وأما الاستدلال بسنته وعادته فهو أيضا طريق برهاني ظاهر لجميع الخلق ، وهم متفقون عليه . لهذا يقول سبحانه في تحقيق عادته وسنته وأنه لا ينقضها ولا يبدلها (**أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر**) أي معكم خبر من الله بأنه لايعذبكم ، ففى الدليل العقلي والسمعي » (١) والاقتداء بالرسول ﷺ في طريقة الاستدلال يتطلب النظر فيما جاء به ، والاستدلال بأدلته والعمل بموجبها .. فلابد من علم بما جاء به وعمل به ، فلا يكفي أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية ، فإن الرسول ﷺ بين بالبراهين العقلية مايتوقف السمع عليه ، والرسل بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها » (٢) فأقصر الطرق وأسهلها إلى العلم الحقيقي هي الطرق الفطرية ، وما يهدي إليه القرآن ، وما بعث به محمد ﷺ فهو أقوم الطرق إلى أشرف المطالب » (٣) وأرضية الاستدلال بهذا العمق والاتساع الذي رأيناه فيما عرض من كلام الشيخ فيما مضى تمد العمل الإعلامي الإسلامي بزاد لاينضب من الشواهد والأدلة المفحمة في مجادلة الكافرين والملحدين ، بل والمعاندين من أي صنف كانوا. وما سبق في هذا المقام يكفي وحده غير أن الشيخ كعادته عندما يتناول قضية يتوسع في عرضها ، فهو رغم وضوح جوانب الاستدلال وقوة الأدلة والشواهد التي أرشد إليهما فيما مضى، يجد المتتبع لأقواله مادة أخرى توسع دائرة الاستدلال المقبول «و هذا يكون فيما هو من باب القياس والنظر بعقله ورأيه، ويكون فيما هو من باب النقل والخبر يناله بسمعه وفهمه

---

(١) النبوات ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ مرجع سابق .
(٢) منهاج السنة ، ٣ / ١٠٧ ، نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٢٤٧ مرجع سابق .
(٣) الرد على المنطقيين ، ص ١٦٢ نقلا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ص ١٤٠ مرجع سابق .

وعقله، ويكون فيما هو من باب الإحساس والبصر الذي يجده ويناله بنفسه، فهذه المدارك الثلاثة قد يحصل للشخص بها علم يقطع به ، ويكون ضرورة في حقه مثل مايجده في نفسه من العلوم الضرورية ومثل ماسمعه من النبي ﷺ أو المخبرين له الصادقين خبراً يفيد العلم ، كالخبر المتواتر الذي يفيد العلم تارة بكثرة عدد المخبرين ، وتارة بصفاتهم ، وتارة بهما معا، وغير ذلك مما يفيد العلم، وقد يكون مما علمه بآثاره الدالة عليه أوبحكم نظيره المساوي له من كل وجه ، أو الذي يدل على الآخر بطريق الأولى ، والتنبيه ونحو ذلك . » (١) ولهذا نجد في المختلفين كل طائفة تدعي العلم الضروري فيما يقوله إما من جهة القياس والنظر ، وإما من جهة السماع والخبر ، وإما من جهة الإحساس والبصر ، ولا تكون واحدة من الطائفتين كاذبة بل صادقة ، لكن يكون قد أدخل مع الحق ماليس فيه من النفي والإثبات لاشتباه المعاني واشتراك الألفاظ . » وعلى هذا فالدليل « الذي هو الآية والعلامة ينقسم إلى مايدل بنفسه ، وإلى مايدل بدلالة الدال به أو بقصد الدال به كالكلام ، وكالعقد باليد والإشارة بها أو بالعين أو بالحاجب ، وقد يسمى ذلك رمزا أو وحياً (٢) . فانظر يارعاك الله إلى هذا الأفق الإعلامي الواسع في النص السابق حيث تتسع الدائرة أمام المعلم فيستثمر كل ماحوله لإيصال المعنى الذي يريد إيصاله لآخر في أي صورة تحقق له أسباب الفهم والإحاطة، وماتوجيه القرآن الكريم إلى الأقيسة العقلية، والأمثال المضروبة للتفكر والاعتبار إلا دعوة صريحة إلى النظر والاستدلال والكلام المشروع(٣) ومعروف أن « دلالة الكلام على المراد تعرف بالضرورة، وتارة بالاستدلال ويستدل على ذلك بما نقله الأئمة، وبما كان يقوله السلف

---

(١) الاستقامة ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام عام ١٤٠٣ ص ٢٩ .
(٢) النبوات ، ص ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، مرجع سابق
(٣) الاستقامة ص ٢٢٤ مرجع سابق .

يفسرون به القرآن ، وبدلالة السنة وبدلالة سائر الآيات وغير ذلك » (١) وهكذا تتضح مكانة الاستدلال في بيان المراد من الكلام ، وأهمية ذلك في العملية الإعلامية ، إذ يتوقف التعامل مع الرسالة الإعلامية والاستجابة لها على قدر وضوحها وظهور معناها للمتلقي إضافة إلى الأمور الأخرى. وابن تيمية الذي يدرك قيمة الاستدلال الموفق ، ويوسع دائرته ويحث على استخدام مايحقق الاقتناع لدى المخاطب ، « لاتجد لديه أدنى خصومة نحو الجدل في ذاته فهو يرى أن الجدل والحجاج بالأدلة الحسنة هو خير طريق ، إلى الإقناع فقد أمر الله رسوله بأن يجادل بالتي هي أحسن أي بالأدلة القرآنية ، لأنها أحسن الأدلة وأقومها وأيسرها قبولاً لعقل الإنسان » (٢) والذين شطروا أداة الحقيقة وهي الأدلة السمعية والأدلة العقلية إلى شطرين هي العقل والتنزيه، وأعلوا شأن العقل عند التعارض مجانبون للصواب » (٣) فطرق المعارف « متنوعة في نفسها والمعرفة بالله أعظم المعارف وطرقها أوسع وأعظم من غيرها ، فمن حصرها في طريق معين بغير دليل يوجب نفيا عاما لما سوى تلك الطرق لم يقبل منه فإن النافي عليه الدليل ، كما أن المثبت عليه الدليل » (٤) . والعبرة بما قام الدليل على صحته ، ولاشك أن أرفع الأدلة في الصحة وأدلها على المراد هو دليل الوحي ، « فإذا كان القرآن هو الميزان الذي أنزله الله لتفرق به بين الحق والباطل ، وكان مفهوم الميزان هو مايعرف به تماثل به المتماثلات من الصفات وكذلك مايعرف به اختلاف المختلفات فإننا من خلال البحث في القرآن، ومنهجه نستدل على أهم وأخطر قضايا

---

(١) نقض التأسيس (المخطوط) ، ٢ / ٣٣٨ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٣٢٠ مرجع سابق .

(٢) أثر القرآن على منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ، ص ٣٢ مرجع سابق .

(٣) انظر المرجع السابق .

(٤) الدرء ٨ / ٤٦ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٩١٦ مرجع سابق .

الفكر الإنساني بأيسر وأصح وأوضح الأدلة حتىٰ لانعدل عن المعرفة الفطرية العقلية ، » (١) والمقصود هنا أن الهدىٰ والبيان والأدلة والبراهين في القرآن ، فإن الله تعالىٰ أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ، وأرسله بالآيات والبينات وهي الأدلة البينة الدالة علىٰ الحق » (٢) « وأما النظر المفيد للعلم فهو ماكان في دليل هاد ، والدليل الهادي علىٰ العموم والإطلاق هو كتاب الله وسنة نبيه فإن الذي جاءت به الشريعة من نوعي النظر هو مايفيد وينفع ، ويحصل به الهدىٰ ، وهو بذكر الله وما نزل من الحق فإذا أراد النظر والاعتبار في الأدلة المطلقة من غير تعيين مطلوب ، فذلك النظر في كتاب الله وتدبره » (٣) «فذكرنا في غير موضع أن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا ﷺ قد بينها الله في القرآن أحسن بيان ، وبين دلائل الربوبية والوحدانية وبين المعاد، بين إمكانه وقدرته عليه في غير موضع ، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية فكان في بيان الله أصول الدين الحق ، وهو دين الله وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة فتضمن بيان العلم والعمل الصالح الهدىٰ ودين الحق » (٤) ولو لم يكن فيما سيق عن الشيخ في مكانة الدليل السمعي إلا توجيه الانتباه إلىٰ القرآن الكريم للصدور عنه في كل شأن من شئون الحياة لكانت النصوص ذات شأن كبير . فيما يتعلق بأهمية الأخذ بهذا التوجيه في الإعلام الإسلامي ، سواء في المضامين التي يعرضها ، أو طريقة الاستدلال والإقناع بما يقدم أو بنوع الأدلة التي يسوقها والحجج التي يعتمد عليها في المحاجة والمجادلة بالتي هي أحسن ، فليس وراء الوحي بشقيه في مسألة

---

(١) أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عن ابن تيمية ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ مرجع سابق

(٢) النبوات ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، مرجع سابق

(٣) نقض المنطق ، ص ٣٣ نقلاعن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٢٧٢ ، مرجع سابق

(٤) النبوات ، ص ١٤٥ ، مرجع سابق .

العمل النافع والعمل الصالح وهما دعامة وظائف البناء في الإعلام الإسلامي مطمع أو جدوى ، والشيخ رحمه الله وهو يعرض آراءه في قضية الاستدل لاينسى قضية الرد على المخالفين له فإنه يدفع شبههم بالحجة تلو الحجة عقلا ونقلا « وإذا تعارض الشرع والنقل وجب تقديم الشرع ، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به ، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف على كل مايخبر به العقل .. فحقائق الشرع ثابتة ، صدقها يظهر على مر الأيام والسنين والقرون ، والحقيقة الثانية عقلية أدى إليها اجتهاد العقل فهي لذلك نسبية الصدق » (١) لهذا وجب تقديم الشرع على العقل لكن في الجملة « النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لايعارضها معقول بين قط ، ولايعارضها إلا ما فيه اشتباه ، اضطراب وماعلم أنه حق لايعارضه مافيه اضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق ، بل يقول قولا عاما كليا إن النصوص الثابتة عن رسول الله ﷺ لم يعارضها قط صريح معقول فضلا عن أن يكون مقدما عليها ، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناها على معان متشابهة وألفاظ مجملة » (٢) « والفقه لايكون إلا بفهم الأدلة الشرعية بأدلتها السمعية الثبوتية من الكتاب والسنة والإجماع نصاً واستنباطا » (٣) سواء كان الفقه العام في الشرع أم الفقه الخاص بالإعلام، أي فهم المسائل والقضايا الإعلامية وانتظامها في نسق وسياق إعلامي مفيد.
والأدلة في نظر ابن تيمية نوعان (شرعية وعقلية) ويجزم جزماً قاطعاً بنفي وجود دليل سمعي يخالف العقل الصحيح أو السمع الصحيح ، وعلى فرض وجوده ، فلا بد أن يكون غير سالم من العلة والقدح

(١) آثر القرآن الكريم في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ، ص ٨٦ . ٨٨

(٢) الدرء ، ١/ ٣٠٦ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ، ص ٨٦٥ مرجع سابق (٣) الإستقامة ، ص ٨١ ، مرجع سابق .

إما في ثبوته أو دلالته . »(١) « والله الذي شرع الشرع وأنزل به كتبه وأرسل به رسله هو الذي خلق العقل فلا يمكن أن يتعارض ما أنزله مع ماخلقه ، بل الواقع يثبت أن ماقرر الشرع فساده ، فالعقل أكد تقريره لذلك »(٢) والجمع بينهما منهج قرآني نبوي سلفي (٣) والأنبياء « موافقون للأدلة العقلية لايناقضونها قط، بل الأدلة العقلية الصحيحة كلها توافق الأنبياء لاتخالفهم، وآيات الله السمعية والعقلية والعيانية والسماعية كلها متوافقة متصادقة متعاضدة لايناقض بعضها بعضا »(٤) و « تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف ، فوجب الثاني دون الأول .. وذلك لأن الشرع واحد مستقيم ، وهو قول الصادق فلا يختلف باختلاف أحوال الناس ، أما العقول فمختلفة متفاوتة فقد يعلم زيد بعض مالا يعلمه عمرو ، بل إن زيدا نفسه قد يعلم بعقله في وقت مايجهله في وقت آخر . »(٥) « ومن المعلوم بعد كمال النظر واستيفائه أن كل من كان إلى السنة وإلى طريقة الأنبياء أقرب كان كلامه في الإلهيات بالطرق العقلية أصح ، كما أن كلامه بالطرق النقلية أصح ، لأن دلائل الحق وبراهينه تتعاون وتتعا ضد ، لاتتناقض ولاتتعارض »(٦) فالحق لايتعارض ، ويمتنع أن يتناقض دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أو سمعيين أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا »(٧) .

---

(١) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ مرجع سابق
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٢ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ٢١٣ .
(٤) النبوات ، ص ٢٨٤ ، مرجع سابق .
(٥) الدرء ١ / ١٣٨ ، نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٨٨١ ، مرجع سابق .
(٦) المرجع السابق ٦ / ٢٤٨ ، نقلا عن المرجع السابق أيضا ص ٢٥٥ .
(٧) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ص ٢١٥ مرجع سابق .

« ولا وجود لأي شكل من أشكال التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح لأنهما بهذه السمات أداة واحدة للوصول إلى الحقيقة ، فلا مجال للتفريق ، أو ضرورة للتلفيق بين شطري أداة واحدة للوصول إلى الحقيقة لذلك يكاد يعرف ابن تيمية بأنه صاحب اليد البيضاء في مجال دراسة التعارض بين العقل والنقل ، أو بين العقل والدين . وبعد هذه الوقفة الراسخة مع دفع الشيخ للشبه التي قد تثار في وجه ماعرضه من أفكار حول طبيعة الأدلة وقيمتها ، وتنوعها وأثرها في الإقناع ، نجد الشيخ يثير قضية أخرى مهمة في نطاق موضوع الاستدلال واستخدام الأدلة خاصة ونحن نستثمر كلامه في الجدل الإعلامي ، وهي مايمكن أن نطلق عليه ضوابط الأدلة فهو في البداية يقرر أصلامهما فيما يتعلق بأحكام أفعال العباد عموما ، والإعلام دون ريب من أفعال العباد في نظر المسلمين التي تتطلب معرفة حكم الله فيها ، وقد بينا فيما مضى رأي الشيخ في هذا الخصوص ، لكن الإشارة إليه من باب التأكيد على شمول العموم له فهو يقول « ومن المعلوم لمن تدبر الشريعة أن أحكام عامة أفعال العباد معلومة لامظنونة ، وأن الظن فيها إنما هو قليل جدا في بعض الحوادث لبعض المجتهدين ، فأما غالب الأفعال مفادها وأحداثها فغالب أحكامها معلومة ولله الحمد ، وأعني بكونها معلومة أن العلم بها ممكن وهو ماحصل لمن اجتهد ، واستدل بالأدلة الشرعية عليها ، لا أعني أن العلم بها حاصل لكل أحد . » (١)

«وقد أجمع كل من آمن بالرسول ﷺ على أنه معصوم فيما يبلغه عن الله ، فلا يستقيم في خبره خطأ كما لايكون فيه كذب فإن وجود هذا وهذا في خبره يناقض مقصود الرسالة ، ويناقض الدليل الدال على

---

(١) أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية د . محمود العبد الكردي الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ليبيا ، ط ١ عام ١٣٩٥

أنه رسول الله » (١) « والضابط في الدليل أن يكون مستلزما للمدلول ، فكل ماكان مستلزما لغيره أمكن أن يستدل به عليه ، فإن كان التلازم من الطرفين أمكن أن يستدل بكل منهما على الآخر فيستدل المستدل بما علمه منهما على الآخر الذي لم يعلمه » (٢) وليس من شرط دلالة الدليل علي المعنى « أن يخرج عن عادته ، لكن شرط دلالته أنه فعل لأجل الإعلام بحيث لايكون هناك سبب داع غير الإعلام ، وحينئذ فهو دال لجنسه » (٣) والطريق الاستدلالي الموصل إلى اليقين عند نظار المسلمين هو مايكون النظر الصحيح في الدليل فيه موصلا إلى علم أواعتقاد راجح ، وقد يطلقون عليه في هذه الحالة » اسم الأمارة وهو الدليل العلمي القائم الاحتمال والترجيح » (٤) وليس بدليل ما أوجب الشك والريب « وإنما الدليل الصحيح ما أفاد العلم واليقين » (٥) ولعله من المناسب قبل توقف الحديث في هذه الجزئية من البحث بسبب مانعتقد من وفاء التناول لها بمتطلبات البحث فيها لعله من المناسب التنبيه على بعض العبارات الواردة في النصوص السابقة لبيان شدة إحساس الشيخ بقضية الإعلام وأهميته وأهمية الاستدلال فيه وصحة الدليل وهي قوله (أنه فعل لأجل الإعلام بحيث لايكون هناك سبب داع غير الإعلام ، فنحن إذا أمام عالم عبقري فذ سبق عصره ، وارتاد آفاقا واسعة للعلم والمعرفة ، وبيان سبل إشاعتها بين الناس وتحديد أقوم السبل لانتفاعهم بها من خلال معايشة عظيمة لنصوص الوحي وأحوال الناس وفي هذا وحده توجيه للذين يريدون أن يحققوا مجدا إعلاميا لأمتهم واستقامة وسؤددا .

---

(١) الدرء ٥ / ٢٨٥ مرجع سابق .

(٢) الرد على المنطقيين ، ص ١٦٥ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٦٤ مرجع سابق .

(٣) النبوات ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ مرجع سابق .

(٤) انظر آثر القرآن الكريم في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ص ١٤١ مرجع ساق .

(٥) الدرء ٥ / ٢٥٧ أحد مؤلفات الشيخ الشهيرة .

وإذا كنا قد وقفنا وقفة متأنية مع قضية الاستدلال والأدلة الإعلامية فإنما ذلك بسبب مانراه من أهمية لها في نظرنا أولا ، وثانيا بسبب قصور الواقع الإعلامي في العالم الإسلامي اليوم من جراء عدم وقوفه عند المعاني الشرعية في مجال الإعلام سواء من حيث بناء أنظمته أو التزام قواعده ، وحدود القول الشرعية أو في أهدافه ووظائفه ، وحتى طرائقه في المعالجة وأساليب العرض ، بل ولامن حيث علاقته بالجمهور ، فهما وتلمسا لحاجاته الفطرية ، وربطا له بمجريات الأمور ليكون على درجة من الوعي تحقق أسباب التفاعل مع الأحداث والاستجابة لمتطلبات عبوديته لخالقه في كافة مناشطه وجوانب حياته .

وبحثنا هذا إنما هو محاولة للإسهام في إصلاح هذا الواقع من خلال لفت الأنظار إلى كنوز المعرفة الإعلامية الإسلامية المبثوثة في مصادر معرفتنا، وتراث سلفنا ، ونسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به في الغاية التي أعد من أجلها ، وأن يجعله ذخرا لصاحبه يوم يلقى الله سبحانه وتعالى .

سابعا : مقومات الثقة في الإخبار

قبل أن نبسط القول في هذه القضية من خلال فكر ابن تيمية ، نريد أن نعرض لها بإيجاز من وجهة نظر إعلامية معاصرة حتى يمكن لنا بعد ذلك أن نقدر ماورد بشأنها في ثنايا الإنتاج الفكري للشيخ رحمه الله .

يشهد العالم في الوقت الحاضر تطورات مذهلة في شتى مناحي الحياة ، وعصب هذا التطور ولحمته وسداه في الحقيقة هو الإعلام باعتباره أداة نقل الأفكار والمعاني والآراء وصنوف المعرفة والمعلومات ، وجوهر الإعلام ولبه هو الإخبار لأنه المحور الذي تدور حوله كافة الأنشطة الإعلامية « **لقد تعددت وسائل الإعلام ، وتنوعت طرق تبليغها للناس ، ولكن الوسيلة الإعلامية الأساسية ، ظلت بدون منازع «وكالة الأنباء»** التي تغذي بقية الأجهزة الإعلامية من صحف وراديو وتلفزيون وغيرها بأخبار العالم آناء الليل وأطراف النهار ، وتطلعها لحظة بلحظة على مايجد من الأحداث وتطوراتها . ومن هنا يبرز تأثير الوكالة على تفكير الناس ، وطريقة تصورها للأشياء ونظرتها إلى مختلف الأمور والقضايا ، فالعالم الآن أصبح يعيش على الأخبار وذلك لأن الأحداث تتلاحق في سرعة مذهلة وأخبار هذه الأحداث تطير من كل مكان إلى كل مكان . (١) وأمام هذه الحقيقة ، وأمام هذا الواقع فإنه لامناص من الاعتراف بشدة تأثير الأخبار على الناس إيجابا وسلبا «والفرق بين النشاط الإعلامي والأنشطة البشرية الأخرى ، هي (هو) أن وسائل النشاط الإعلامي ضخمة وتأثيرها عظيم كمًا ونوعاً ، فهذه الوسائل تصل إلى الملايين في لحظة واحدة ، وتؤثر على العقل والعاطفة أحيانا دون أن يشعر الإنسان »(٢)

---

(١) وكالات الأنباء في العالم العربي د . محمد فريد عزت ، مكتبة القلم بجدة ط ٧١ ، عام ١٤٠٣ ، ص ٥٧ .

(٢) مدخل إلى الإعلام الإسلامي د . سعيد إسماعيل صيني ، دار الحقيقة للإعلام الدولي ، ط ١ عام ١٤١١ هـ .

ووراء هذا التأثير الإنباء أو الإخبار وما يشتمل عليه من سرد للحقائق وتفسير وتحليل وتعليق على الأحداث ودلالاتها، والعبرةمنها، والموقف منها وصلة ذلك بالحياة في الدنيا والآخرة (١).

ومع أن ثورة الاتصال الحديثة قد غيرت كثيرا من مفاهيم رجال الإعلام إلا أن جوهر الفكرة ظل ثابتاً، وما يزال (دور الإعلام هو الإخبار ونشر الأفكار والتأثير في الحياة العقلية والاجتماعية للناس(٢) حتى لقد وجد من يرى أن قصة التطور البشري إنما هي قصة تطور إعلامي (٣) « ولكن هذا لايدفعنا إلى القول بأن الإعلام باعتباره تعبيراً عن الحقيقة أو ملتزما بها أصبح هو السائد، بل ربما اعتبر الإعلام المعاصر متخلفا عن الصورة المبكرة للإعلام فلم يتحقق حلم القرية العالمية بالنسبة لانتقال الأفكار والأخبار، ولكن نفسية الشعوب تزداد عصبية، وسياسة الدول نحو الإقليمية، وهي تستخدم الإعلام لتقوية عصبيتها وفرض شخصيتها » (٤)وهكذا فالرسالة الإعلامية لاتصل في النهاية كما هي، بل تتعرض من خلال مصفاة حراس البوابات إلى ماقد يغير حقيقتها أو يحرف مضمونها بما يضفون عليها من آرائهم وخواتم دولهم ومذاهبهم، وهذا مادعا بعض علماء الاتصال الحديث إلى الدعوة إلى ضرورة الفصل بين الخبر (الرسالة) والموقف منه، أي استيعاب الخبر قبل الحكم عليه (٥) والحق أن الخبر في الإعلام الحديث يعاني أزمة فقد انحرف الأمر عن مجرد فن تحرير الخبر إلى صنع الخبر ذاته، فصنع الأخبار

---

(١) انظر التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام محمودكرم سليمان، الوفاء للطباعة والنشر ط١عام ١٤٠٩ ص ١٠٨.

(٢) انظر النظرة الإسلامية للإعلام، د. محمد كمال الدين إمام، دار البحوث العلمية بالكويت ط٢ عام ١٤٠٣ ص ٢٠.

(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٢.

(٤) المرجع نفسه ص ٣٥

(٥) انظر المرجع نفسه ص ٤٠.

واختلافها أصبح وسيلة الأيدلوجيات المعاصرة لفرض أفكارها ووسيلة الأنظمة السياسية المعاصرة لإفناء خصومها أو إخفاء أخطائها. وكل خبر ينال من الثقة مايشتهر به مصدره من صدق وأمانة .. وأزمة الخبر في الإعلام المعاصر نلمسها في كيفية إعلان وكالات الأنباء عن الواقعة الواحدة وفي طريقة إذاعة الخبر في الصحف والنشرات الإخبارية سواء من ناحية صياغته ليوحي إلىٰ أمر مقصود سلفا أو في ترتيبه للإيحاء بمدىٰ أهميته ارتفاعا وانخفاضا (١)

وما دام الإخبار بهذه الأهمية في الحياة ، وما دام الناس يصدرون عن الأخبار في قراراتهم ومواقفهم وأحكامهم ، فلابد أن يؤسس الإخبار علىٰ قواعد تؤهل للثقة به حتىٰ يتجنب الناس الأضرار الناجمة من جراء عدم الأخذ بهذا المعنىٰ في العملية الإعلامية بصورة عامة والعملية الإخبارية بصورة خاصة وكثيرا ما ارتكب صحفيون وإعلاميون في الماضي ولا يزالون يرتكبون في الحاضر صورا عديدة للتضليل والتحريف والتزييف أدت إلىٰ إحداث الفوضىٰ والتمزق في صفوف الناس وبلبلة الرأي العام علىٰ الأصعدة كلها الوطنية والإقليمية والدولية ، وتسببت في وقوع كوارث ذاق العالم مرارتها غير مرة ، ولايستبعد أن يتعرض للمزيد من جراء هذا المسلك الإعلامي الشائن (٢) .

ولكي نحقق للخبر أسباب الثقة به ، ونجنب الناس مغبة فساده وبطلانه فلابد من الوقوف بتأن أمام حقيقة مصادر الأخبار لنميز بين المصدر الذي يوثق به ويرجع إليه وبين المصدر الذي يجب الحذر منه والاحتياط منه وكيفية الاستيثاق من روايته مع بيان الضوابط والمعايير التي ينبغي أن تحكم عمل

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٠ ـ ١٦١

المراسلين والمندوبين والمحررين، إصلاحا لما قد فسد، وتلافيا لما قد وقع فيه الآخــــرون من أخطاء (١) فالإعـلامي المسلم يتـجه برسالـته إلى جمـهـور المستقبلين من أجل مزيد من الثقة بالإسلام ومن أجل تعميم الانتماء إليه باعتباره نعمة تفضل الله بها على عباده. فالإعلامي المسلم يتجه نحو الهداية لا التضليل (٢) لهذا كان الصدق أساسا في النظرة الإسلامية للإعلام حيث يجب الالتزام به في صوره المختلفة، صدق الخبر وصدق الكلمة وصدق الحكم حتى يتحقق للرسالة الإعلامية أسباب السلامة وعوامل الثقة بها فلا يجري على الرواية تعديل يسلبهاعنصر الحقيقة ولاتسند صفة الخبر إلى الشائعة ولايبتدع الخبر بل لابد من توخي الصدق وتحري الحقيقة قصدا وعملا (٣).

وإذا كان الخبر هو لب العمل الإعلامي كما مر فإن الأحداث هي مدار الأخبار وهي في الاصطلاح الإعلامي « تشمل ما يجري في جوانب الحياة المختلفة وتختلف حجماونوعا باختلاف مصادرها وبواعثها ، ومسبباتها وآثارها على الحياة وهي من محاور الإعلام الأساسية لما يصاحب روايتها وتفسيرها من تأثير في الناس (٤) مِن خلال ثلاثة أبعاد بعد الميل الفطري عند الناس في التعرف على المجهول ، ورغبتهم الملحة في استكناه الحقيقة وبعد طبيعة الرواية من حيث تضخيم بعض الأحداث وتحجيم البعض الآخر، ومن حيث ترتيب جزئيات الحدث الواحد، والإفاضة فيه أو الاجتزاء منه وغيرذلك من صور العمليات التحسينية أو التشويهية التي تتعرض لها رواية الأحداث على مستوى العالم اليوم إضافة إلى بعد تفسير الأحداث بما يكشف عن معانيها ومغازيها وفقا لرؤية المفسر واتجاهه ومصلحته.

---

(١) انظر الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية ، د. كرم شلبي ، ط ١عام١٩٨٤ ص ١٧
(٢) النظرة الإسلامية للإعلام ، ص ١٦٠ مرجع سابق.
(٣) انظر المرجع السابق ، ص١٥٦ .
(٤) أصول الإعلام الإسلامي وأسسه ح٢ / ١٥٢ مرجع سابق.

وتميز مدارس الإعلام بعضها عن بعض إنما هو بقدرتها على ملاحقة الأحداث وطبيعة تفسيرها وتحليلها (١).

وهذه الأهمية الكبيرة للأحداث في حياة الناس مما وجه للعناية بها من كافة الناس على مختلف مستوياتهم ومشاربهم واتجاهاتهم ، وماعناية كتاب الله بالأحداث عنا ببعيدة ، وماتميز تلك العناية بخاف على من له صلة بهذا الكتاب العزيز « إن النص القرآني لايتبع أحداث المعركة للرواية والعرض ، ولكنه يتبع دخائل النفوس وخوالج القلوب ، ويتخذ من الأحداث مادة تنبيه وتنوير وتوجيه ، وهو لايعرض الحوادث عرضا تاريخيا مسلسلا بقصد التسجيل ، إنما يعرضها للعبرة والتربية واستخلاص القيم الكامنة وراء الحوادث ورسم سمات النفوس وخلجات القلوب ، وتصوير الجو الذي صاحبها والسنن الكونية التي تحكمها والمبادئ الباقية التي تقررها ، وبذلك تستحيل الحادثة محوراً أو نقطة ارتكاز لثروة ضخمة من المشاعر والسمات والنتائج والاستدلالات وينظر الإنسان في رقعة المعركة وما وقع فيها على سعته وتنوعه ، ثم ينظر إلى رقعة التعقيب القرآني ، وما تناوله من جوانب ، فإذا هذه الرقعة أوسع من تلك وأبقى على الزمن وألصق بالقلوب وأعمق في النفوس وأقدر على تلبية حاجات النفس البشرية وحاجات الجماعة الإسلامية في كل موقع تتعرض له على تتابع الأجيال ، فهي تتضمن الحقائق الباقية من وراء الأحداث الزائلة والمبادئ المطلقة من وراء الحوادث المفردة ، والقيم الأصلية من وراء الظواهر العارضة والرصيد الصالح للتزود بغض النظر عن اعتبارات الزمان والمكان » (١) ولكن أين المسلمون اليوم من الاعتماد على القرآن في الإعلام تنظيرا وتطبيقاً فما ورد في النص السابق

---

(١) انظر الرأي العام في ضوء الإسلام ص ٩٦ ـ ٩٨ ، مرجع سابق .

(٢) فقه الدعوة ، سيد قطب ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

المستخلص من رواية القرآن للأحداث بجمع شتاته ما انتهت إليه دراسات الإعلام فيما يتعلق بقيمة الأحداث إعلاميا ، ويضيف إليها قيما إيمانية لاتستقيم حياة الناس بغيرها .

وما يلفت النظر حقا هو شدة تقارب المعاني السابقة بشأن الإخبار عموما والأحداث خصوصا رواية ودراية وماورد بشأنها في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية مع تفوقه في بيان عوامل الثقة بالإخبار التي لم تحظ بنصيب يذكر في الدراسات الإعلامية فشيخ الإسلام ابن تيمية يدرك أهمية الإخبار في حياة الناس ، ويدرك حاجة الناس إلىٰ أن يكون مستند حركتهم في الحياة هو الخبر الصادق ذي المضمون الحق ومن ثم وجدناه معنيا بدرجة كبيرة بما يحفظ للخبر مكانته ويؤهله للثقة به والانطلاق منه إلىٰ الحركة بحيث يستطيع المتتبع لفكره أن يجد عددا كبيراً من المعاني تمثل في جملتها نظرته لما يحقق الثقة بالأخبار وهو كما رأينا من قبل راسخ القدم ، عميق النظرة ، شديد الارتباط بنصوص الوحي كبير الغوص وراء المعاني النفسية ذات الصلة بموضوع رواية الأخبار ، وثيق الصلة بالواقع البشري ومجريات الحياة بصيرا بعيوبها ومحاسنها ، مغرما بما يزيل هموم الناس ، ويقدم حلولا لمشكلاتهم وخاصة المرتبطة برواية الأخبار فتراه يتحدث عن مسائل شديدة الصلة بالثقة بالأخبار أو بالأحرىٰ هي من أسباب الثقة بالأخبار ومقدماتها ، من جنس حديثه عن صفات المخبرين ومستويات العقول ، ودلالات النصوص ، وعادات الناس وأحوال المخبرين النفسية والظروف المحيطة بالأخبار «القرائن الخارجية » وكثرة طرق الخبر ، وطبيعة الأمر المخبر به ، وطبيعة الإخبار به وطبيعة الرواية نفسها ، وطبيعة الاهتمام به والدواعي النفسية التي تدعو إلىٰ ذكره والدقة والأمانة في النقل ، وضروب التوثيق المختلفة والتجرد وعدم التعصب أو الهوىٰ والغرض والاعتبار والمتابعة وكثرة الشواهد وطبيعة الأدلة المستدل بها ، ووجود الدواعي وانتفاء الصوارف مع

القدرة، والخبرة التخصصية ، وغير ذلك من الأمور التي يؤدي الوقوف عندها وأخذها في الاعتبار إلىٰ ضرب من الإخبار تشتد حاجة البشرية إليه اليوم من جنس ماسنعرض له تفصيلا من خلال استعراض جملة من أقوال الشيخ رحمه الله التي تقدم زادا لأولئك الذين يرغبون في تأسيس إعلامهم علىٰ مايحقق له أسباب القبول والانتشار ومن ثم التأثير في الناس وقيادتهم نحو الخير والهدىٰ والصلاح ، ونحن نقدمها في هذا البحث إنذاراً وإعذاراً، ونصحا متجردا نريد به وجه الله والدار الآخرة ، ونسأله سبحانه وتعالىٰ أن يجعله خالصاً لوجهه وأن ينفع به .

وقبل البدء في استعراض مافي فكر الشيخ نريد الإشارة إلىٰ أن النصوص التي نستخلص منها مقومات الثقة في الخبر، لم تكن تتناول الخبر الإعلامي في اصطلاح الإعلاميين اليوم ، ولكن الشيخ رحمه الله كان يسوقها أثناء مناقشة الذين يجادلون في حجية خبر الواحد باصطلاح أهل الحديث ، ويؤكد صلاحيته للاستشهاد وتأسيس العمل ويضيف إلىٰ ذلك معاني من جنس ماسبق شديدة الصلة بالإخبار في الإعلام .

ونحن خلافا للذين لايولون الأخبار العامة اهتماما كبيرا ويقصرون جهد التمحيص والتدقيق علىٰ الأخبار النبوية لأن غيرها لا يبني عليه عمل قصدي في نظرهم بسبب قصر مفهوم العبادة علىٰ الشعائر التعبدية وإن كنا مع أولئك في أن العبادة الأصل فيها التوقيف إلا أننا نرىٰ أن سعة مدلول العبادة وشموله لجوانب الحياة المختلفة هو مما جاء به الدين الحنيف (١) ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ [الأنعام : ١٦٢، ١٦٣] وانطلاقا من هذا الفهم وتأسيسا عليه ، وإدراكا لطبيعة الآثار ـ التي يتركها الإعلام بالحق ـ المنضبط به غاية ومنهجا ومسيرة ومضمونا وأسلوباً علىٰ الحياة البشرية نرىٰ أن أي جهد إعلامي علمي أو عملي يؤسس علىٰ التقوىٰ ويتفيأ رضىٰ الله ، ويقف عند حدود الشرع ويحكم

---

(١) انظر فتاوىٰ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٦٥ مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة .

بمقاصده وأحكامه مضموناً وشكلاً يدخل في المفهوم الشامل للعبادة الذي لاتند عنه خالجة في النفس أو كلمة أو حركة (١) .

ولذا نرىٰ أن الإخبار في الإعلام يؤسس عليه عمل في الحياة مما يبتغي به وجه الله مثل صحة العلم وصلاح العمل أو استقامة الفكر والسلوك لدىٰ البشر ، بل إقامة موازين العدل في الأحكام الإعلامية سواء تناولت الأحداث أو الأفكار والآراء أو الأشخاص والأشياء ، كما يؤسس عليه عمل إعلامي مما يبتغي به وجه الشيطان ، وضروب هذا النوع مما يطفح به سيل النشاط الإعلامي اليومي الجارف في كثير من بلدان العالم عامة والعالم الإسلامي خاصة ، ولا يكابر في هذا مكابر ولاحاجة إلىٰ مزيد من البيان .

لكل ماسبق ظهر في عرضنا لهذه القضية مبلغ عنايتنا بها حتىٰ نقترب بالإخبار في الإعلام الإسلامي من منهج الرواية عند المحدثين ما دمنا ، سنقيم علىٰ الإخبار ـ دعائم حياة سوية يرجىٰ من ورائها الصلاح والفلاح ولا نكتفي بالمنهج التاريخي في رواية الأحداث تحقيقا للثقة بإخبارنا وترسيخا لها في النفوس ، وتوخيا لتأدية الأمانة ، وانتشالا لممارسات الإعلام في العالم الإسلامي مما وصلت إليه ، وإعادة لثقة الناس بها ، وحدا من الإقبال علىٰ وسائل الإعلام الكافرة .

وجملة الأمور التي أشرنا من قبل إلىٰ إمكانية استخلاصها من فكر الشيخ رحمه الله فيما يتعلق بمقومات الثقة بالإخبار هي مما يؤكد هذا التوجه ويدعمه ولعل النصوص المستشهد بها في القضية تكون أكبر شاهد علىٰ هذا القول لهذا سنلجأ في المعالجة إلي سياسة إفساح الصدر للنقل من كلام الشيخ حتىٰ لانشوه المعنىٰ الذي يريده الشيخ باختصاره أو اختزاله أو حتىٰ سوقه بالمعنىٰ حتىٰ يكون الاستشهاد أبلغ والاقتناع به أكثر .

---

(١) انظر المرجع السابق ، المدرك نفسه

وأول نص نورده في هذا السياق هو قوله « قد يعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل، تدل على صدقه ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن بخبره يعلم بها صدقه، وتلك الدلائل والقرائن قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق بحيث يعلم قطعا أنه لايتعمد الكذب، كما يعلم علماء الحديث علما يقينيا قطعيا أن ابن عمر وعائشة وأباسعيد وجابرابن عبدالله وأمثالهم لم يكونوا يتعمدون الكذب على رسول الله ﷺ فضلا عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وأمثالهم، بل يعلمون علما يقينيا أن الثوري ومالكا وشعبة ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل والبخاري وأبا زرعة وأبا داود وأمثالهم لا يتعمدون الكذب في الحديث، وقد تكون الدلائل صفات في المخبر به مختصة بذلك الخبر أو بنوعه يعلم بها أن ذلك المخبر لايكذب مثل ذلك الخبر كحاجب الأمير إذا قال بحضرته لعسكره، إن الأمير قد أذن لكم في الانصراف أو أمركم أن تركبوا غدا، أو قال قد أمَّر عليكم فلانا ونحو ذلك فإنهم يعلمون أنه لم يتعمد الكذب في مثل هذا وإن لم يكن بحضرته فكيف إذا كان بحضرته وإن كانوا قد يكذبونه في غير هذا وقد تكون الدلائل سماع من شاركه في العلم بذلك الخبر وأقروه عليه فإن العادة كما قد تمنع التواطؤ على الكذب فإنها قد تمنع التواطؤ على الكتمان وإقرار الكذب، والسكوت عن إنكاره فما توافرت الهمم والدواعي على ذكره والخبر به يمتنع أن يتواطأ أهل التواتر على كتمانه كمايمتنع في العادة أن تحدث حادثة عظيمة تتوفر الهمم والدواعي على نقلها في الحج أو الجامع أو العسكر وحيث توجب العادة نقل الحاضرين لما عاينوه، ثم لاينقل ذلك أحد وإقرار الكذب والسكوت عن رده أعظم عادة في الامتناع في العادة من الكتمان فإن الإنسان في العادة قد تدعوه نفسه إلى أن يسكت عما رآه وسمعه فلا يخبر به، ولاتدعوه نفسه إلى أن يكذب عليه ويخبر عنه بما يعلم

أنه كذب عليه فيقره ولاينكره ، إذ كانت عادة الناس إلىٰ تكذيب مثل هذا أبلغ من عادتهم في الإخبار بما رأوه .

وكذلك إذا كذب في قضية وبلغ ذلك من شاهدها ، فتوفر الهمم علىٰ تكذيب هذا أعظم من توفرها علىٰ إخبارهم ابتداء بما وقع فإذا كانت من القضايا التي تمنع عن إظهارها ، فالسكوت عن تكذيب الكاذب فيها أشد امتناعا .

وقد تكون الدلائل صفات فيه تقترن بخبره ، فإن الإنسان قد يرىٰ حمرة وجهه فيميز بين حمرته من الخجل والحياء ، وبين حمرته من الحمىٰ وزيادة الدم ، وبين حمرته من الحمام ، وبين حمرته من الغضب ، وكذلك يميز بين صفرته من الفزع والوجل ، وبين صفرته من الحزن والخوف ، وبين صفرته من المرض ، فكما أن سمنته ووجهه يعرف بها أحوال بدنه الطبيعية من أمراضه المختلفة حتىٰ إن الأطباء الحذاق يعلمون حال المريض من سمنته لايحتاجون مع ذلك إلىٰ نبض وقارورة ، فكذلك تعرف أحواله النفسانية هل فرح مسرور ، أو محزون مكروب ، ويعلم هل محب صديق مريد للخير أو هو مبغض عدو مريد للشر (١) .

فهذا النص كما نرىٰ قد تضمن سيلا من المعاني والدلائل العلمية والعملية والاجتماعية والنفسية التي تمكن من يراعيها من الوصول إلىٰ حقيقة الحادثة التي يريد رواية تفاصيلها ، ومبلغ الصدق في الخبر الذي يريد نقله فلا ينقل إلا ما أكدت تلك الدلائل والقرائن والأحوال صحته وصدقه فيتحقق لإخباره ذاك أسباب الثقة به ، ويعرف في العالمين بالصادق الأمين .

ومع أن الشيخ بدأ حديثه في النص بالتركيز علىٰ خبر الواحد بمصطلح أهل الحديث ، إلا أننا نلاحظ من خلال الأمثلة التي ساقها لإثبات صحة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥ ، مرجع سابق .

وجهة نظره شمولها لما يمكن أن يكون أخبارا إعلامية بحتة ، بل هي موضوعات لأخبار إعلامية . بالفعل كما يشهد الواقع ، وذلك بسبب ارتباط الشيخ بواقع الحياة وسعيه لإنزال وقائعها على الأحكام الشرعية ، وهي في حالنا هذه العلامات والأمارات المعتبرة شرعا في الدلالة على صدق الخبر وهي كما رأينا قد وسعت دائرة التحري والتثبت في نقل الأخبار ، وفي ذلك مافيه من أصالة ومرونة في الحركة يحتاجها الإعلامي المسلم، بل يحتاجها الإعلام الإسلامي لمواجهة المستجدات على الساحة الإعلامية في اقتدار وثبات ومع أن الشيخ رحمه الله قد توسع في عرض كثير من القرائن التي يعرف بها حال الخبر فإننا نراه يقرر في نص آخر عدم دخول القرائن الخارجية مما يعني أن هناك في نظره قرائن خارجية يعرف بها حال الخبر من حيث كونه صدقا أو كذبا وذلك حيث يقول « فأما تأثير القرائن الخارجة عن المخبرين في العلم بالخبر فلم نذكره، لأن تلك القرائن قد تفيد العلم لو تجردت عن الخبر، وإذا كانت بنفسها قدتفيد العلم لم تجعل تابعة للخبر على الإطلاق ، كما لم يجعل الخبر تابعا لها ، بل كل منهما طريق إلى العلم تارة ، وإلى الظن تارة أخرى ، وإن اتفق إجماع مايوجب العلم به منهما أو إجماع العلم من أحدهما وموجب الظن من الآخر ، وكل من كان بالأخبارأعلم قد يقطع بصدق أخبار لايقطع بصدقها من ليس مثله » (١) .

وهذا نص يؤكد على الخبرة كقيمة عظيمة في موضوع الحكم على الإخبار والواقع الإعلامي يشهد بصدق كلام الشيخ ومطابقته لرؤية أهل الاختصاص حيث تحظى الخبرة العملية بمكانة كبيرة في ميدان الممارسة الإعلامية ، بل حتى في الرأي العلمي والدراسة العلمية مما يسجل سبق الشيخ في ميدان لايتصور كثير من الناس أن له علاقة به .

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، ص ٢٤ وهو من مؤلفات الشيخ ذات الفائدة العظيمة لصيانة كرامة العلماء والمحافظة عل سمعتهم ومكانتهم في الحياة السوية .

وكعادة الشيخ رحمه الله في الإلحاح على الفكرة التي يريد عرضها لترسخ وتثبت نراه فيما يأتي يسوق الدليل تلو الدليل على أهمية الخبرة في التمييز بين الأخبار الكاذبة والأخبار الصادقة مع مساعدة الذين لم تتوفر لهم الخبرة على التعرف على الفروق الأساسية بين الأمرين وكأنه يدربهم على سلوك الطريق المستقيم في نقل الأخبار فهو يقول « وهناك طرق يمكن سلوكها لمن لم تكن له معرفة بالأخبار من الخاصة فإن كثيرا من الخاصة فضلا عن العامة يتعذر عليهم معرفة التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد في أكثر مايروى من الأخبار في هذا الباب » (١) .

وهناك طرق لمعرفة بطلان النقل وصحته تعتمد على العقل والحس فليس كل أحد من أهل النظر والاستدلال خبيرا بالمنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها ، وصوابها وخطئها فضلا عن الأمة . ومعلوم من حيث الجملة أن المنقول منه صدق ومنه كذب ، وهي كثيرة متنوعة مثل رواية خلاف ماعرف بالتواتر ، وانفراد الواحد والاثنين . بعلم يعلم أنه لوكان واقعا لتوفرت الهمم على نقله ، فمن كان خبيرا بما وقع وبالأخبار الصادقة التي توجب العلم اليقيني علم انتفاء مايناقض ذلك يقيناً (٢) « والجماعة الكثيرون يجوز اتفاقهم على جحد الضروريات على سبيل التواطؤ إما عمدا للكذب ، وإما خطأ في الاعتقاد ، وأما اتفاقهم على حجد الضروريات من دون هذا فممتنع » (٣) وماعلمنا أنه كذب ظاهر لايشتبه والناقل له إما متعمد الكذب ، وإما مخطئ غالط فإذا كان المنقول مما لايغلط فيه جزمنا بكذب الناقل متعمدا أو مخطئا (٤) .

---

(١) الطرق التي يعلم بها صدق الخبر من كذبه ، أخرجها عبدالله بن محمد الغنيمان من كتاب منهاج السنة ، مكتبة السنة ، ص ٤٤ .

(٢) انظر المرجع السابق . (٣) المرجع نفسه ص ٣٠ .

(٤) انظر المرجع نفسه ، ص ٣٠ ـ ٤٥ .

فإذا كانت الأخبار المتنازع فيها غير موجودة أو لم تعلم صحة بعضها دون البعض الآخر فإنه يرجع الى ماهو معلوم بالتواتر ، وما تعلم من العقول والعادات ، ومادلت عليه النصوص المتفق عليها (١) والرجل الصادق كثير الحديث كثير الرواية وليس من أهل العناية بصحيحه وسقيمه يستفاد من نقله أنه صادق، ضابط فإن المخبر إنما يؤتى من جهة تعمد الكذب ومن جهة الخطأ فمن أخبر بأخبار كثيرة مفصلة دقيقة عن مخبر معين لايمكن اختلاقها من غير تفاوت ، فإن ذلك يبين أن كلا منهما أخبر بعلم وصدق ، وهذا مما يعلم الناس من أحوالهم ، فلو جاء رجل من بلد إلى آخر ، وأخبر عن حوادث مفصلة حدثت فيه ، وتنتظم أقوالا وأفعالا مختلفة ، وجاء من علمنا أنه لم يواطئه على الكذب ، فحكى مثل ذلك علم قطعا أن الأمر كان كذلك (٢) وهناك طريق آخر وهو أنه إذا حصل الداعي إلى الحق ، وانتفى الصارف ، وتوفرت القدرة عرف وجه الحق في المسألة (٣) .

والمعلوم اليقيني لايندفع بأخبار لايعلم صحتها ، فكيف إذا علم كذبها وألفاظ لاتعلم دلالتها فكيف إذا علم انتفاء دلالتها ، ومقاييس لانظام لها يعارضها من المعقول والمنقول الثابت الإسناد المعلوم المدلول ماهو أقوى وأولى بالحق وأحرى (٤) والخبر المروي من جهات بعضها يصدق بعضا من أناس مخصوصين قد يفيد العلم اليقيني لمن كان عالما بتلك الجهات بحال أولئك المخبرين ، وبقرائن وضمائم تحتف بالخبر ، « ومن هذا على أن الخبر المفيد للعلم يفيده من كثرة المخبرين به تارة ومن صفات المخبرين أخرى ، ومن نفس إدراك المخبر له أخرى ، ومن الأمر المخبر به أخرى فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم لما هم عليه من الديانة والحفظ الذي يؤمن معه

(١) انظر المرجع السابق المدرك نفسه

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٥ • ٣

(٣) انظر المرجع السابق، المدرك نفسه

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

كذبهم أو خطأهم (١) كما أن تعدد الطرق مع عدم التشاعر والاتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول (أي القدر المشترك في أصل الخبر) وهذا ينتفع به كثيرا في علم أحوال الناقلين (أي نزعاتهم والجهة التي يحتمل أن يتعصب لها بعضهم (٢) والرسل نبهوا العقول وأرشدوها إلى البراهين العقلية والشرعية والأمثال المضروبة والفطرة السليمة التي بها تثبت الأخبار ويتميز صدقها من كذبها (٣) وجميع الأدلة لابد أن تعرف دلالتها بالضرورة، فإن الأدلة النظرية لابد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية » (٤).

وهكذا رأينا فيما مضى الشيخ يصول ويجول في بيان الأمور التي تؤدي مراعاتها وملاحظتها إلى التأكد والتثبت من صحة الأخبار وصدقها وسلامتها وكلها في الجملة تعود إلى معايير دينية وخلقية واجتماعية ومهنية وعقلية، والذين يمارسون الإعلام يدركون قبل غيرهم أهمية تلك المعايير أو الأمور في تحقيق الثقة بالأخبار والمقصود أنه بالاعتبار والقياس العقلي والموازنة (توزن الشيء بما يناظره) فيظهر لكل من تدبر ذلك أن أهل الملل أولى بالحق والصدق والخبر من غيرهم «استدلالا بالأثر على المؤثر، وبالمعلول على علته وكذلك من تدبر حال المسلمين « تبين رجحان حال المسلمين (٥) نسأل الله أن يجعلنا مسلمين حقا، وأن يجعل إعلامنا وسيلة لتحقيق ذلك

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ص ٣٣ ٣٤ مرجع سابق.

(٢) بتصرف من مقدمة أصول التفسير، ص ٣٠، نقلاً عن مقدمة محقق المسند ١/ ٧٩، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٤١٣ هـ، بيروت.

(٣) انظر الفتاوى ٤/ ٢١٠ ـ ٢١١، نقلاً عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ص٦٧٧، مرجع سابق.

(٤) النبوات، دار العلم، ص ٣٣٩، مرجع سابق.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ص ٢٤٩، مرجع سابق.

الرجحان الذي يشير إليه الشيخ رحمه الله ، حتى يصير دين الله منصورا ظاهرا بالحجة والبيان والسيف والسنان ، فإنه لم يزل ولايزال في المسلمين طائفة قائمة بالهدى ودين الحق ظاهرة بالحجة والبيان واليد واللسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (١) ومعلوم مكانة الإعلام في هذا الظهور من خلال الحجة والبيان ، واللسان ، وذلك ماجعل الوقفة تطول في قضيتي الاستدلال الإعلامي وعوامل الثقة بالأخبار اللذين عالجناهما فيما مضى على انفصال لتوجيه الانتباه إليهما وإظهار مكانتهما في العملية الإعلامية عموما والإعلام الإسلامي خصوصا ، حيث يؤدي إهمالهما أو قلة الاهتمام بهما إلى إلحاق الضرر والأذى بالنشاط الإعلامي ككل لقلة الثقة به وفقدانه لمقومات المصداقية والتأثير ، وماحال الإعلام في العالم الإسلامي اليوم عنا ببعيد ، وما سلبية الناس تجاه الأحداث التي تجري على وجه الأرض إلا مظهر من مظاهر عدم الثقة بما يقدم للناس عنها عبر وسائل الإعلام المختلفة وماآثار ذلك على مواقف الناس تجاه مايجري بخافية على ذي لب والله المستعان .

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ح-٣ / ٢٤٥-٢٤٦ ، مرجع سابق .

ثامنا : نقائص الإعلام

عيوب الإعلام أو نقائصه خاصة في الوقت الحاضر أكثر من أن تحصىٰ ، « لقد أحكم الإعلام الشيطاني قبضته علىٰ الناس اليوم ، فاستولىٰ علىٰ أفئدتهم ـ قبل أسماعهم وأبصارهم ، ولم يدع لهم متسعا من الوقت يلتقطون فيه أنفاسهم فأنساهم ، باستحواذه عليهم ذكر الله ، وصرفهم عن مصادر النور والهداية . وتحديات هذا الاستغراق الكلي للناس مثار اهتمام دارسي الإعلام إشفاقا علىٰ الإنسانية وفزعا من آثار هذا الإعلام الشيطاني علىٰ الأصالة الفكرية والثقافة الإنسانية » (١) .

وهذه العيوب والنقائص ليست علىٰ مستوىٰ واحد من الخطورة والتأثير وإن كانت كلها سيئات ، فالكذب وتمويه الحقائق وتزيين الباطل والتشدق واللهو المحرم والإسراف فيه إغواء للناس وإضلالا كل ذلك في فطرة الناس مكروه ، وصوره في الإعلام اليوم كثيرة ، لكن أخطره مايقوم علىٰ تزوير الحقائق وتزييف الحياة وقلب الأشياء والفنون الشيطانية لإثارة الناس كالإعلانات الرتيبة والدعايات الصاخبة والموسيقىٰ المحمومة وأفلام الجنس والعنف (٢) .وقد فتك الإعلام المنفلت بالناس من جراء التوسع في تبني تلك النقائص والمثالب ومن خلال استغلال طاقة الوسائل الإعلامية التقنية المتقدمة وفنون الإعلام المختلفة وسرعته الفائقة وانتشاره الواسع ، وقدرته وبراعته في تزيين مايريد تزيينه ، وطمس مايريد طمسه حيث أضحىٰ الباطل فيما يتعرض له الناس من هذا الإعلام أكثر من الخير » (٣) .

---

(١) مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ، ص ٥٤ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

ووقفتنا مع هذه النقائص في فكر الشيخ ليس لاستيعاب تلك النقائص ، ولكن لبيان شمول فكر الشيخ لكثير من الجوانب الإعلامية الحساسة وكأنه يعيش عصر الإعلام ـ عصرنا هذا .

ومن عجب أن النقائص التي أمكن استخلاصها من فكر شيخ الإسلام ابن تيمية تمثل أبرز النقائص التي أشير إليها من قبل وهي الكذب وتزوير الحقائق وتمويهها ، وزخرفة القول غرورا ، واللهو العابث فهو يقول مثلا « والبيان بيان القلب واللسان ، كما أن العمى والبكم يكون بالقلب واللسان» (١) « وأما بيان اللسان وخطابه فيحمد منه البلاغ ويذم منه التشدق والتفيهق » (٢) وفي تعليق على قول الله جل جلاله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) يقول « أجد أن جميع الأنبياء لهم أعداء يوحي بعضهم إلى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يقرون به ، والغرور هو التلبيس والتمويه ، وهذا شأن كل كلام ، وكل عمل يخالف ماجاءت به الرسل من أمر المتفلسفة والمتكلمين وغيرهم من الأولين والآخرين» (٣) واستند الشيخ إلى قول الله جل جلاله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ...) استند إليها في بيان شناعة الكذب وفظاعته حيث وصف من اتصف بالأوصاف الثلاثة المذكورة بأنه أظلم الناس وأكذبهم (٤) كما وصف جميع الأخبار التي لاتفيد العلم واليقين بأنها تفيد الشك والحيرة

---

(١) المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ص١٩٨ مرجع السابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٤) انظر النبوات ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

وأنها فاسدة في العقل وإلحاد ونفاق في الشرع (١) وهذا مايعني شدة نكير الشيخ لقيام من يتصفون بالصفات السابقة بتولي عملية الإخبار والإعلام في نظره لما يترتب على عملهم من إفساد للحياة ، وما يتصف به إعلامهم وإخبارهم من نقائص وعيوب .ولايقف ما استخلص من فكر الشيخ حول المعاني السابقة عندها بل تراه يلتفت إلى جانب آخر من تلك النقائص يشيع في إعلام المسلمين اليوم وهو اللهو والعبث حيث يقول « ثم إنك تجد أن هذه الأمة قد ابتليت من اتخاذ السماع الطرب بسماع القصائد بالصور والأصوات الجميلة لإصلاح القلوب والأحوال مافيه مضاهاة لبعض حال الضالين » (٢) ويقول « وجماع الأمر أنه صار فيه (سماع الشيطان) وفيما يتبعه في وسائل ذلك ومقاصده ، في وجوده ، ومقصوده ، في صفته ونتيجته ، ضد ما في سماع العبادات الشرعية ، في وسائلها ومقاصدها ، موجودها ومقصودها ، صفتها ونتيجتها فذلك يوجب العلم والإيمان، وهذا يوجب الفتنة والنفاق» (٣) وهو لايكتفي بهذا الكلام الواضح القوي فيما يتعلق بداء السماع الشيطاني، بل نراه يكشف عن وجوه حصول الفتنة به فهو يقول «الفتنة تحصل بالسماع من وجهين، من جهة البدعة في الدين ومن جهه الفجور في الدنيا، أما الأول فلما قد يحصل به من الاعتقادات الفاسدة في حق الله أو الإرادات والعبادات الفاسدة التي لاتصلح لله، مع مايصد عنه من الاعتقادات الصالحة والعبادات الصالحة، تارة بطريقة المضادة، وتارة بطريق الاشتغال فإن النفس تشتغل وتستغني بهذا عن هذا، وأما الفجور في الدنيا فلما يحصل به من دواعي الزنا والفواحش والإثم والبغي على

---

(١) انظر الدرء حـ ٥ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، مرجع سابق

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٠ مرجع سابق .

(٣) الاستقامة ، ص ٣١٢ ، ٣٤٣ مرجع سابق .

علىٰ الناس» (١) لكن الشيخ وهو يشن هذا الهجوم الموفق الذي لا مزيد عليه في بيان مثالب العبث ومفاسده والأضرار التي تنجم عنه لاينسىٰ أن ينبه إلىٰ قاعدة عظيمة فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه المسألة بالذات فهو يقول «لكن الشخص أو الطائفة لاتفعل مأمورا إلا بمخطور أعظم منه ، ولاتترك مأموراً إلا لمخطور أعظم منه لم يأمر أمراً يستلزم وقوع محظور راجح ولم ينه نهياً يستلزم مأمورا راجحاً ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي بعثت به الرسل ، والمقصود تحصيل المصالح ، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان ، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزما من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعا » (٢) .

ولاشك أن ضبط الممارسة الإعلامية كلها بهذا الضابط (تحصيل المصالح وتكميلها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان) يحقق لها الإيجابية والفاعلية في حياة الناس ، بل ويضمن لها سداد الحركة وشرعيتها وهي مطالب أساسية في حياة المسلمين ، ومن ثم فإن الإعلام الإسلامي يقف عند هذا الضابط ولايتجاوزه ، ونرجوا لأجهزة الإعلام في العالم الإسلامي أن تعي هذا الضابط وتقف عنده ولاتتجاوزه رجوعا إلىٰ الحق وقبولاً له وإذعاناً ﴿**فماذا بعدالحق إلا الضلال فأنى تصرفون**﴾ (٣) .

---

(١) الاستقامة ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ، .

(٢) الاستقامة ، ص ٣٣٠ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٢ .

تاسعا :الاتصال الإعلامي الإسلامي

مـامن شك فـي أن التـعـارف والتـعـاون والانسـجـام والوئـام من ثمـار الاتصال الإعـلامي الفعـال باعتباره أداة حـقيـقية لـتحقيـق التفاعل بين الناس علىٰ مـختلف مـستوياتـهم وباعـتبـار أن الاتـصـال ظاهرة اجـتـمـاعيـة إنسـانيـة لايمكن تجاهـل قيمتها فـي الحياة البـشرية، ولكن الاتـصـال الذي يحظىٰ بعناية الإعـلامـيين مـحـصـور في نطاق المجتـمع البـشري، أمـا الاتـصـال فـي الفـهـم الإسلامي فإنه أوسع من ذلك بكثـير وأعـمق فهو كمـا يمكن استخلاصه من نصوص القرآن الكثيرة سر بناء الكون لأنه يربطه بخالقه جل جلاله ، وجوهره في الحقيقـة هو رابطـة الإيمان بالـله سبحانه وتعالىٰ، وكان المسلمـون الأوائل يدركون هذه الحقيقة ويقيمون علاقاتهم مع ماحولهم من مخلوقات الله علىٰ هذا الأساس، فـالكون كله مـسبح لله قـانت له (١) «بل يشـهـدون المخلوقات قائمـة بأمر الله مـدبرة بمشيئتـه، بل مسبـحة قـانتة له» فـيكون لـهم فـيـها تبـصرة وذكرىٰ، ويكون مايشهدونه من ذلك مؤيدا لما في قلوبهم من إخلاص الدين، وتجريد التـوحـيد لله ، والـعبـادة له وحـده لاشـريك له » (٢) وهذا الإحساس والشعـور والترابط بين الموجودات القـائم علىٰ الإيمان بالله هو الذىٰ جعل من الاتصـال الإعـلامي أمرا مهـمـا، لأنه يمكن طرفـي الاتصال أيا كان نوعـهـمـا ومستوياتهـما من التفاعل من خلال اشتراكهما في معان تمثل مادة هذا التفاعل وتأثر كل منهـما بصـاحبه، فـلا يمكن التأثير في الآخرين دون الاتصـال بهم،

---

(١) انظر مفاهيم اعلامية من القرآن الكريم ص ٤٥ ـ ٥٣ مرجع سابق وانظر رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية حول قنوت الأشياء كلها لله .

(٢) العبودية ص ١٧ / ١٨ نشر المكتب الإسلامي ، وهو من مؤلفات الشيخ العظيمة الفائدة .

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ (١) .

﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ (٢) **﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانُزِّل إليهم ﴾** (٣) .

«وماكان النبي ﷺ يمكنه أن يبلغ ويوصل ويشرح ، ويقنع دون أن يخاطب الناس ، ويتصل بهم ، ويتحدث إليهم ويسمع منهم ، ويدعوهم ويحثهم في كلمة وموعظة حسنة ، ويجادلهم بالتي هي أحسن ، في رفق ولين دون عنف أو ضغط أو إكراه » وينشد من يحاول إقناع الآخرين إحداث تغييرات في اتجاهاتهم وآرائهم وهذه التغييرات تعتمد على نوع مامن الاتصال يحاول عن طريقه التأثير إذ لايمكن أن يحدث تغيير في فرد دون ممارسة الاتصال ولما كان النبي ﷺ ينشد التأثير في الناس لوجهة معينة ويبغي إقناعهم بمفاهيم الإسلام ومبادئه ، فقد مارس هو وأصحابه عملية الاتصال .

ولعل ماقام به النبي ﷺ وأصحابه الذين شاركوه في حمل أمانة الدعوة من جهود تمثلت في تبليغ كلمة الله وتوصيل منهجه وشرحه وحث الناس على قبوله عمليات اتصالية قصدها النبي ﷺ ودعاته لتحقيق عدة أهداف وصولا إلى الهدف النهائي المتمثل في توصيل الدعوة إلى كل مكان يمكن أن تبلغه » (٤) ومن قبل جرت سنة الله في إرسال الرسل إلى الناس وكان الإنسان العامل المريد هو الهدف من رسالات الهدى.لقيادته في الطريق المستقيم الموصل لسعادة الدارين حتى ختمت هذه الرسالات برسالة الرسول ﷺ ، وكان النور الذي أنزل عليه أساس الصلة بحبل الله المتين ، وأساس

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .

(٢) سورة القصص الآية ٥١ .

(٣) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٤) العلاقات العامة في الإعلام ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، مرجع سابق .

صلة الإنسان بخالقه جل جلاله ، وتعامله مع المخلوقات وفي مقدمتها جنس الإنسان (١) « فهذا تكليمه لجميع عباده بواسطة الرسل وذاك قربه إليهم عند الاحتضار ، وعند الأقوال الباطنة في النفس والظاهرة على اللسان » (٢) ويهمنا في قضية الاتصال ونحن نتناولها من خلال فكر الشيخ بيان المسائل الأساسية في موضوع الاتصال الإعلامي الإسلامي وهي غايات هذا الاتصال ، وطبيعته ومستوياته وآثاره ، وقد مر من خلال ماعرض من نصوص في فكر الشيخ غايات الاتصال وطبيعته ومستوياته ، وعندما نقول مستوياته ، فإنما نعني الاتصال الجماهيري والجمعي والشخصي والذاتي ، وآخر نص استعرض يشير إلى مجموعة من تلك المستويات وكان المسلمون يدركون تلك المستويات يقول ابن باديس «فلهذا أمر نبيه ﷺ أن يبين سبيله بيانا عاما للناس لتتضح المحجة وتقوم الحجة على الهالكين» (٣) «ومن الحقائق الثابتة أن الشرع جاء لعموم الناس في خطابه وليس هو لطبقة أو طائفة أوفئة من الناس ، بل هو رسالة عامة للعالمين وهو بلغة العرب التي يفهمها كل عربي» (٤) ومعنى العموم أو الاتصال العام أو الجماهيري كما هو واضح من النص السابق يمكن أيضا أن يفهم من كلام الشيخ عند تعليقه على قول الله جل جلاله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبي إلا) حيث قال «دليل على أن النبي مرسل ولايسمى رسولا عند الإطلاق ، لأنه لم يرسل إلى قوم

---

(١) انظر أثر القرآن في منهج التفكير عند ابن تيمية ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ مرجع سابق .

(٢) شرح حديث النزول ، ص ١٤٠ ، من مؤلفات الشيخ رحمه الله .

(٣) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ص ٨ ضبط وتعليق علي بن حسن الحلبي الأثري ، دار المنار للنشر والتوزيع بالخرج .

(٤) الرد على المنطقيين ، ص ١٦٢ ، نقلا عن منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ، ص ١٤٠ مرجع سابق .

بما لايعرفون بل كل يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حق (١) وقوله في مكان آخر موضحاً معنىٰ النبي « فالنبي هو الذي ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلىٰ من خالف أمر الله يبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول . وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلىٰ أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس رسولا » (٢) فهذا النص مع ظهور دلالته علىٰ الاتصال العام فإنه أيضا يدل علىٰ مستويات أخرىٰ من الاتصال كالفردي والاتصال بين الخالق والمخلوق .

« وقد استعمل ابن تيمية وسيلة الاتصال الفردي استعمالا واسعا جدا فكان له لقاءات مع الحكام ، ومع العلماء ، ومع الأعيان ، ومع الفرق والطوائف ، وكان له لقاءات مع غير المسلمين ، ويرىٰ أن الاسلام فيه ماقصد به الهدىٰ العام لكل الناس عموما « وهذا لايمكن إلا بالاتصال الفردي يقول رحمه الله (وما قصد به هدىٰ عام كالقرآن الذي أنزله الله بيانا للناس ، يذكر فيه من الأدلة ماينفع الناس عامة ، وهذا إنما يمكن ببيان أنواعها العامة ، وأما مايختص به كل شخص فلا ضابط له حتىٰ يذكر في كلام ، بل هذا يزول بأسباب تختص بصاحبه ، كدعائه لنفسه ومخاطبة شخص معين له بما يناسب حاله ، ونظره ، ويكفي هذا النص في مبلغ إدراك الشيخ لحقيقة الاتصال واختلاف مستوياته ، وعلاقته ذلك بطبيعة النشاط الاتصالي المرغوب ، والآثار المترتبة عليه أو المتوخاة منه حيث تتحقق التزكية فعلا بالعلم وتقوىٰ الله ولو تعبد الإنسان ماعسىٰ أن يتعبد لم يعرف ماخص الله به محمداً ﷺ إن لم يعرف ذلك من جهته ، ولايحصل التعلم

---

(١) النبوات ، ص ١٧٣ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

اللائق النافع إلا مع العمل به » (١) .ومع أهمية هذا النص في بيان الأثر الذىٰ يحدثه الاتصال الإعلامي الإسلامي في حياة البشر الذين يقبلون هدىٰ الله ويستجيبون لرسوله ﷺ ، » ففي النظرة الإسلامية كما نجدها لدىٰ ابن تيمية لابد من اعتبار ملاءمة الزمان والفاعل والغاية والنتيجة ، والتجرد من الأهواء وغير ذلك من الاعتبارات » (٢) . وهي أمور كما نعرف ضرورية لكفاية الظرف الاتصالي ، وتحقيق أغراض الاتصال ، وعلماء الاتصال قبل غيرهم يدركون قيمة تلك الأمور للعملية الاتصالية الإعلامية ، فسبحان ربنا الوهاب . ولعل فيما تقدم في موضوع الاتصال الإعلامي الإسلامي من خلال فكر ابن تيمية، مايكفي في الدلالة علىٰ القيمة الإعلامية لهذا الفكر ويوجه إلىٰ مزيد من تتبعه والعناية به ، فإن المعاني الاتصالية الإعلامية التي توقف عندها دارسو الإعلام الإسلامي ووجهوا اهتمامهم إليها وجد ما يقابلها أو بعضها ، مما يعني مرة أخرىٰ مكانة الصدور عن فكر واحد في تقارب الآراء وتطابقها أحيانا أخرىٰ ، بل في تحقيق الانسجام الفكري وتشابه الأحكام والمواقف .ولايتوقف مايمكن استخلاصه من فكر ابن تيمية حول قضية الاتصال الإعلامىٰ الإسلامي عندما ذكر ، بل يمتد ليشمل صورا أخرىٰ من صور الاتصال كما في قوله « والله سبحانه وتعالىٰ دل عباده بالدلالات العيانية المشهودة ، والدلالات المسموعة وهي كلامه لكن عامتهم تعذر عليهم أن يسمعوا كلامه منه ، فأرسل إليهم بكلامه رسلا وأنزل إليهم كتبا ، والمخلوق إذا قصد إعلام من يتعذر أن يسمع منه أرسل إليه رسلا ، وكتب إليه كتبا كما يفعل الناس وولاة الأمور وغيرهم ، ويرسلون إلىٰ من بعد عنهم رسولا ويكتبون إليه كتابا ... فيعلم العباد لاختصاصهم بها أن

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥ / ٤٣٠ نقلا عن المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٢) النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، ص ٥٤٣ ، مرجع سابق .

ذلك إعلام منه للعباد وإخبار لهم أن هؤلاء رسلي ، كما يعلمهم بكلامه المسموع منه ومن رسوله فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره .. » (١) فهاهنا اتصال بين الله جل جلاله وعباده ، واتصال مواجهة بين الرسول ومن أرسل إليهم ـ واتصال كتابي مما يعني أن الشيخ رحمه الله كان يدرك هذه الصور المتعددة للاتصال والمستويات المختلفة له ، ويدرك الفروق بين تلك الصور والحاجة إلىٰ كل صورة وفائدتها وأسباب إيثارها علىٰ غيرها ، استمع إليه وهو يتحدث عن الاتصال الإعلامي الكتابي « وخروج الكتب كان من أعظم النعم فإني كنت حريصا علىٰ خروج شيء ، منها لتقفوا عليه ، وهم كرهوا خروج (الأخنائية) فاستعملهم الله في إخراج الجميع وإلزام المنازعين بالوقوف عليه ، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسولاً ، من الهدىٰ ودين الحق ، فإن هذه المسائل كانت خفية علىٰ أكثر الناس ، فإذا ظهرت ، فمن كان قصده الحق هداه الله ، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله واستحق أن يذله ويخزيه (١) فنحن في هذا النص أمام رؤية واضحة فيما يتعلق بقيمة الاتصال الإعلامي الكتابي والآثار الإيجابية المترتبة عليه من حيث سيادة الحق وعلو شأنه وظهوره وبروزه ورفعة شأن أهله ودحض الباطل وأهله وخذلان أهله وخزيهم . « فإن مدلول الآيات سواء سميت معجزات أو غيرها هو الخبر الصادق بنبوة النبي ، ومدلولها إخبار الله وشهادته بأنه نبي ... فما دل علىٰ نفس النبوة دل علىٰ صدق المخبر بها ، وما دل علىٰ صدق المخبر بها دل عليها وأما نفس إخبار الرب بالنبوة وإعلامه بها وشهادته بها قولا وعملا ، فهو إخبار منه بها ، وهو الصادق خبره فإخباره دليل عليها ، فإنه لايقول إلا

---

(١) الفتاوىٰ حـ ٢٨ / ٤٢ نقلا عن منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلىٰ الله ، ص ٧٩١ ، مرجع سابق

الحق ولا يخبر إلا بالصدق » (١) وهناك في هذا النص دلالات ومعان كثيرة تدخل في نطاق علم الاتصال تحظى بعناية فائقة لدى دارسيه من مثل خصائص القائم بالاتصال وخصائص الرسالة الاتصالية في الإعلام الإسلامي ، ويماثل هذا النص في الدلالة على معان اتصالية أخرى لم نشر إليها من قبل قوله في تعريف البلاغة « هي علم المعاني والبيان فيذكر من المعاني ماهو أكمل مناسبة للمطلوب ، ويذكر من الألفاظ ماهو أكمل في بيان تلك المعاني فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب أوغاية الممكن من المعاني بأتم مايكون من البيان ، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة وبين تبيينها بأحسن وجه » (٢) وهو مايتناول عنصراً غاية في الأهمية من عناصر الرسالة الاتصالية وهو وسيلة الاتصال وهي هنا الألفاظ (٣) وبذلك يمتد ماastخلص من فكر شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع الاتصال الإعلامي الإسلامي ليشمل أركان العملية الاتصالية أو عناصرها الأساسية » غاية الاتصال والقائم بالاتصال ، والرسالة الاتصالية ، ووسيلة الاتصال ، ، ومستقبل الاتصال ونتيجة الاتصال أو أثره ، بل وأسلوب الاتصال كما في النص الأخير فيجمع بين تكميل المعاني المقصودة بأحسن وجه ») مما يعني كمال ما استخلص وجماله في موضوعه ، ويضيف سبقا لعلمائنا في مضمار العلوم الإنسانية والاجتماعية (٤) .

(١) النبوات ، ص ٣٢٢ مرجع سابق .

(٢) منهاج السنة ٨ / ٥٤ نقلا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ص ٧٦٣ مرجع سابق .

(٣) انظر ركائز الإعلام في دعوه إبراهيم عليه السلام ، ص ٤٣ مرجع سابق .

(٤) انظر المرجع السابق ، ص ١٤٨ ـ ١٥٣ مرجع سابق .

عاشراً : شروط القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي :

بينا أثناء تناولنا قضية الاتصال في الإعلام الإسلامي أنه أمكن الخروج باشتمال فكر الشيخ على معان يمكن أن يستشهد بها على اعتبار عناصر الاتصال الأساسية المعترف بها من قبل الدارسين في الإعلام عموما والإعلام الإسلامي خصوصاً (١) لكن تناولنا لها تفصيلا بعد الإجمال السابق، يكون بقدر ما أتيح لنا العثور عليه من فكر الشيخ فيها بعضا أو كلا . وفي مقدمة العناصر الأساسية للاتصال عنصر القائم بالاتصال وقد وجدنا في فكر الشيخ بشأنه فيضًا من المعاني ذات الأهمية الإعلامية في تحديد أبعاده ، والكشف عن مكانته الإعلامية مما دعا إلى الوقوف عنده وقفة متأنية تبرز كنوز تراثنا في علم الإعلام وتطبيقاته العملية .

فالصفات والشروط التي أمكن استخلاصها من فكرابن تيمية تؤهل القائم بالاتصال لأن يكون موضع ثقة الطرف المستقبل، وهي صفات وشروط جمعت كثيرا من الاعتبارات الخلقية والنفسية والمهنية، والسلوكية، والمعرفية والاجتماعية المعتبرة في تحقيق أهلية المصدر للتصديق (٢) « فهو يهيب بمن يتصدرون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي الإصلاح في صورته العامة، أن يتحلوا بسجايا الحق، ويقصدوه، ويرحموا الناس، وأن يكونوا أهل صدق وعدل، وتكون أعمالهم خالصة لله وعلى صواب وموافقة لأمر الله. ومن ثم فواجبهم تجاه الخارجين أو المذنبين أن يقصدوا نصحهم ويعملوا على إخراجهم من الجو النفسي والعقلي والفكري الذي يعيشون فيه» (٣) وهو يؤكد الحاجة الملحة للإنسان إلى استمرار الهداية والتوجيه

(١) انظر ركائز الإعلام في دعوةإبراهيم عليه السلام ص ٦٣ ـ ١٦٤ مرجع سابق .

(٢) انظر المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٣) النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص ٣٢٩ ، مرجع سابق .

وضرورة الأمر والنهي والإرشاد والتبصير لكل بشر على وجه الأرض حتى ولو كان يعيش بمفرده . (١) .

« ومن هنا نرى أن الإرادة الحرة المتحركة ، والنشطة المتفاعلة هي من أخص الخصائص الإنسانية الأمر الذي يدل على أن الطبيعة الإنسانية أو النفس الإنسانية تتغير لديها الأفكار والقيم والآراء ، وذلك تبعا للحركة الإرادية التي يكون لها دور في سلوكه ، ومختلف أنماط نشاطه ، وميوله ، ومن ثم تكون الهداية الإلهية ضرورية والمعرفة الدينية حيوية حتى لاتنحرف به ميوله وإرادته عن طريق الخير » (٢) والإنسان كذلك محتاج إلى مايحقق له النفع ، ويدفع عنه الضر كما أن نفسه مريدة دائماً ولابد لها من مراد يكون غاية مطلوبها وهذا المراد بدوره مرتبط بالفطرة التي أشرنا إلى أنها القوة العلمية العملية ومرتبط كذلك بسلامة القلب وإرادته للحق وقبوله له » (٣) ومن ثم فإن من يقوم بإعلامه لابد من أن يتصف بكل الصفات التي تجعل المستقبل على اقتناع بصدق وأهمية مايلقى إليه ، أنه مما ينفعه ولا يضره من جنس مانجد في وصف الشيخ للمؤمنين .

والقائمون بالاتصال في الإعلام الإسلامي بالضرورة منهم « الناظر إلى هذه الآيات وأمثالها يجد هذه المظاهر السلوكية التي تدل على أن المؤمنين يعملون الصالحات وأنهم متقون ، الأمر الذي يدل على إيجابية نشاطهم ، وخيرية سلوكهم كما يدل على نقاء نفوسهم ويقظة مشاعرهم وضمائرهم وتفانيهم في عمل الخير .

---

(١) انظر المرجع السابق ، ص ٤٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٥٥ .

وهم كذلك على بصيرة فيما يتصل بأحكامهم على الأشياء ، وهذا يعني تجردهم من المآرب والميول أيا كان شكلها أو طبيعتها (١) لهذا كان الصحابة رضي الله عنهم أعظم إيمانا وجهادا ممن بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر ، وكمال محبتهم للخير وبغضهم للشر ، لما علموه من حسن حال الإسلام والإيمان والعمل الصالح وقبح حال الكفر والمعاصي (٢) ومن ثم « فالعلماء هم خلفاء النبي ﷺ ، ومن خلالهم تستمر رسالته وتبقى ولكن هذه المنزلة لاتصلح إلا لعالم يقتدي بالرسول ﷺ في كل شيء من تفاصيل حياته وسيرته وأخلاقه (٣) والمعلم الذي يصلي عليه الله وملائكته ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر والطير في جو السماء لابد أن يتحلى بفضائل خلقية تحول بينه وبين الكذب في العلم وإظهار المعاصي والبدع فعدم ذلك من أعظم الظلم لأنه (٤) «يمنع الثقة بأقوالهم ويصرف القلوب عن اتباعهم وتقتضي متابعة الناس لهم فيها ويستحقون من الذم والعقوبة عليها مالا يستحقه من أظهر الكذب والمعاصي والبدع من غيرهم لأن إظهار غير العالم وإن كان فيه نوع من الضرر فليس مثل العالم في الضرر الذي يمنع ظهور الحق ويوجب ظهور الباطل» (٥) والرسول ﷺ قدوة الدعاة والمصلحين عموما ورجال الإعلام الإسلامي خصوصا كان « فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوى الرسول إما أن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

(٢) الفتاوى ١٠ / ٣٠١ مرجع سابق .

(٣) ماجد عرسان الكيلاني الفكر التربوي عند ابن تيمية ، ص ١٤٥ .

(٤) انظر الأهداف التربوية السلوكية عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٨٣ فوزية رضا أمين خياط نشر مكتبة المنارة بمكة المكرمة ط ١ عام ١٤٠٨هـ .

(٥) الفتاوى ٢٨ / ١٧٨ ـ ١٨٨ نقلا عن المرجع السابق ، ص ٨٣ .

يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لايكون له إرادة فيما علم من ذلك، فلم يبينه إما لرغبة وإما لرهبة أو لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصاً ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان » (١) « فإذا كان المخاطب أعلم الخلق بما يخبر به عنه ويصفه ويخبر به وأحرص الخلق على تفهيم المخاطبين وتعريفهم وتعليمهم وهداهم وأقدر الخلق على البيان والتعريف لما يقصده ويريده كان من الممتنع بالضرورة أن لايكون كلامه مبينا للعلم والهدى والحق (٢) . « فإذا عرفت قصص الأنبياء ومن اتبعهم ومن كذبهم وأن متبعيهم كان لهم النجاة والعافية والسعادة، ولمكذبيهم الهلاك والبوار جعل الأمر في المستقبل مثلما كان في الماضي فعلم أن من صدقهم، كان سعيدا ومن كذبهم كان شقيا » (٣) لالشيء إلا لأنهم رسل الله المعصومون من الخطأ في التبليغ عن الله، والذين خصهم الله بالفضائل الخلقية الكريمة والخلال النفسية الزكية، واصطفاهم لرسالاته، وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه، وأهلهم لحمل الرسالات وأدبهم أحسن تأديب (٤) « ومن المعلوم أن محمداً ﷺ أعلم الخلق بالله وتوحيده وأسمائه وصفاته وملائكته ومعاده وأمثال ذلك من الغيب وهو أحرص الخلق على تعليم الناس وهدايتهم » (٥) ومن كان كذلك كان أولى الناس بالتصديق والقبول والاستجابة، وقد كان باعتراف الأعداء (٦) .

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٥٣ ـ ٥٤ ، مرجع سابق .

(٢) الدرء ٥ / ٣٧١ ـ ٣٧٣ مرجع سابق .

(٣) النبوات ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ مرجع سابق .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٣٥٣ انظر الدرء ٥ / ٧٨ مطابع جامعة الإمام ط ١ عام ١٤٠١هـ الرياض، وانظر الواسطة بين الحق والخلق ، ص ١٧ مرجع سابق .

(٥) النبوات ، ص ٣٧١ .

(٦) انظر مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ، ص ٩٦ ، مرجع سابق ، وانظر الأصول التطبيقية للإعلام الإسلامي ، ص ١٢ ـ ٢٠ مرجع سابق

مما سبق نلاحظ أهمية المعاني التي وردت عن الشيخ فيما يتعلق بما ينبغي أن يكون عليه القائم بالاتصال من الأخلاق والفضائل والمهارات من جنس الديانة والعلم والعدالة والصدق ، والمروءة، والضبط والقدرة على الإبانة، وهي كلها صفات معتبرة عند ذوي الاختصاص، «وعلى هذا التصور تكون الإرادة الحرة والقدرة الفاعلة المؤثرة من الصفات والخصائص التي جبل عليها الإنسان والتي يتميز بها » (١) وعلى هذا الأساس يرفض شيخ الإسلام ابن تيمية رأي الجبرية والمعتزلة « ويثبت أن الإنسان فاعل على الحقيقة .. وله مشيئة وإرادة ثابتة جازمة ، وله أيضا القدرة أو القدرة الصالحة كما تنطق بذلك آيات القرآن » (٢) وإذا كان هذا رأيه في عموم الإنسان فإن اعتباره في حق القائم بالاتصال من باب أولى وأحرى لأهمية تلك الصفات فيه .ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية العلاقة بين الثقة بالإعلام وصفات القائم به فهو يقول « وقد يعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل تدل على صدقه ، ويعلم صدق خبر الواحد بقرائن بخبره يعلم بها صدقه وتلك الدلائل والقرائن ، قد تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحريه الصدق ، بحيث يعلم قطعا أنه لايتعمد الكذب » (٣) « ومبنى هذا على أن الخبر المفيد للعلم يفيده من كثرة المخبرين تارة ، ومن صفات المخبرين أخرى ، ومن نفس الإخبار به أخرى ، ومن نفس إدراك المخبر له أخرى، ومن الأمر المخبر به أخرى ، فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم لما هم عليه من الديانة والحفظ الذي يؤمن معه كذبهم أو خطأهم » (٤)« ولهذا ذكر الفقهاء أن العدالة هي

---

(١) النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص ٢٧١ مرجع سابق .

(٢) المرجع نفسه ص ٢٦٢ .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٤ / ٣٠٣ ، مرجع سابق .

(٤) رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ص ٣٣ - ٣٤ منشورات دار مكتبة الحياة ١٩٨٠م .

الصلاح في الدين والمروءة باستعمال مايجمله ويزينه ، وتجنب مايدنسه ويشينه » (١) وقال أبو حفص النيسابوري (من لم يزن أفعاله وأقواله كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال » (٢) ومعنى ذلك بوضوح أن القائم بالاتصال ليكون مصدراً يوثق بما يصدر عنه لابد من توفر عدد من الصفات المعرفية والخلقية والسلوكية والنفسية والمهنية، ولابد أن يكون لديه من المهارات والخبرة ما يمكنه من القيام بعمله الاتصالي بكفاية واقتدار ، إضافة إلى مايحقق المهابة والاحترام له من الناس والثقة بنفسه وبموضوع اتصاله (٣) وصدق الرسول ﷺ حيث يقول (سيأتي على الناس سنوات جزاعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، يؤمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة؟ قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة) (٤) . وما ذلك في نظري إلا لعدم أهليته للتلقي عنه بسبب فقدانه للشروط والصفات المطلوبة في القائم بالاتصال في نظر المسلمين ، ولما كانت صفة البيان أظهر صفات الإنسان حيث ميزه الله بالنطق والبيان وفضله به على سائر الحيوان فإن كونه قادرا على البيان صفة مدح وثناء يزيد هذا بزيادتها ، وعدم القدرة على البيان صفة ذم ونقص (٥).

---

(١) الفتاوى ٢٨ / ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) الاستقامة ، ص ٩٦ ، ٨٩ ، ٩٩ .

(٣) انظر ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، ص ٦٦ ـ ٨٣ مرجع سابق .

(٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، محمد ناصر الدين الألباني ٣ / ٢١٢ ، حديث رقم ٣٥٤٦ المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة .

(٥) انظر الفتاوى ٢٨ / ٤٢ نقلا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ص ٧٩١ مرجع سابق .

وقد امتن الله على الإنسان بها قال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ..) (١) وإذا كان هذا الحكم عاما في سائر أحوال الإنسان فإن القدرة على الإبانة عن مكونات النفس ، ومايقع تحت بصر الإنسان من الصفات الضرورية للقائم بالاتصال في الإعلام عموما وفي الإعلام الإسلامي خصوصا ، كما يلحظ من تنبيه الشيخ رحمه الله عليها وتنبيه المختصين والدارسين في الحقل عليها كذلك (٢) .

كما يلحظ من ذمه لمن اتصف بغيرها كالنصارى « بل يقال للنصارى .. وليس لكم على أكثر الكفار لاحجة علمية ولايد قهرية ، بل للكفار في قلوبكم من الرعب والخوف والتعظيم ما أنتم به من أضعف الأمم حجة وأضيقها محجة وأبعدها عن العلم والبيان وأعجزها عن إقامة الحجة والبرهان ففيكم من ضعف سلطان الحجة وضعف سلطان النصرة مايظهر به حاجتكم إلى قيام الهدى ودين الحق» (٣) .

وما انتهى إليه في دراسة فكر الشيخ من الصفات والشروط فيما سبق نجده لايختلف في أساسه وجوهره عما انتهت إليه أبحاث علمية على مستوى الدكتوراه في شروط القائم بالاتصال وكذلك كتابات الذين تناولوا خصائص القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي (٤) .

---

(١) سورة الرحمن الآيات ١ ـ ٤ .

(٢) انظر وكالة الأنباء الإسلامية في الميزان ، مرجع سابق .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٠ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، مرجع سابق .

(٤) انظر شروط القائم بالاتصال عند المسيحيين والمسلمين د . سعيد إسماعيل صيني رسالة دكتوراه والقائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي د . عبدالرحمن عامودي ، دكتوراه وانظر ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام .

حادى عشر : خصائص الرسالة في الإعلام الإسلامي :

خصائص الرسالة في الإعلام الإسلامي في مقدمة الأمور التي تحظى بأولوية الاهتمام في الدراسات الإعلامية الإسلامية في خصائص الرسالة في الإعلام الإسلامي مضمون الرسالة وما يتميز به من صلاح في نفسه وفي آثاره على الناس وأسلوب صياغة الرسالة أو الحلية اللفظية التي يقدم بها المعنى أو المضمون (١) سواء تمثل ذلك المضمون في أفكار تنقل إلى الناس أو أعمال تحبب لهم أو عوالم يكشف لهم عن حالها ، أو أحداث تعرض تفاصيلها أو شخصيات تمدح أو أخرى تذم ، أوحتى مجرد العواطف والمشاعر وأنماط السلوك اليومي (٢) .

ومن هنا فإن تناولنا لهذا الأمر من خلال فكر شيخ الإسلام ابن تيمية سينصب على هذه الأبعاد المهمة من الرسالة الاتصالية في الإعلام الإسلامي « فالحكمة التي أمر الله نبيه أن يدعو الناس إلى سبيل ربه بها هي البيان الجامع الواضح للعقائد بأدلتها والحقائق ببراهينها والأخلاق الكريمة بمحاسنها ومقابح أضدادها والأعمال الصالحة من أعمال القلب واللسان والجوارح بمنافعها ، ومضار خلافها » (٣) فالرسالة الاتصالية في الإعلام الإسلامي ذات مضمون جمعت ملامحه وخصائصه وأساليبه وآثاره في الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ القرآن والسنة ، فالقرآن « يهدي الناس إلى صراط مستقيم ، يهديهم إلى صراط العزيز الحميد الذي له مافي السموات ومافي الأرض بما فيه من الخير والشر ، والصدق والكذب ، والمأمور والمحظور والحلال والحرام ، وذلك أن الدليل لايتم إلا بالجواب عن المعارض ، فالأدلة . تشتبه كثيرا بما يعارضها ، فلابد من الفرق

---

(١) انظر التصور الموضوعي لدراسة الإعلام الإسلامي ، ص ٢٨ ، مرجع سابق .

(٢) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل ، ص ٢٥ ، مرجع سابق .

(٣) الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، ص ٣٠ ، مرجع سابق .

بين الدال على الحق ، وبين ما عارضه ، ليتبين أن الذي عارضه باطل ، فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق » (١) « والرسول صلوات الله عليه وسلامه قد أرسل بالبينات والهدى ، بين الأحكام الخبرية والطلبية وأدلتها الدالة عليها ، وبين المسائل والوسائل، بين الدين ، مايقال ، ويعمل ، وبين أصوله التي بها يعلم أنه دين حق .. وبين أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والهدى هو هدي الخلق إلى الحق وتعريفهم وإرشادهم إليه » (٢) « ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات ، وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال ، قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ولابد ارتباط ومناسبة ، فإنما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورا ظاهرة ، وما يقوم بالظاهرة من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورا وأحوالا » (٣) « والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ، ومعرفة الباطل والتكذيب به ، ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ، ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة ، فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة فأحبته واطمأنت إليه ، وذلك هو المعروف، وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة فأبغضته الفطرة فأنكرته» (٤) وجميع هذه النصوص تحدد خصائص مضمون الرسالة الإعلامية

---

(١) النبوات ص ٢٢٤ مرجع سابق .

(٢) النبوات ص ٢٢٧ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١١ ، مرجع سابق .

(٤) الفتاوى ، ٤ / ٣٢ ، مرجع سابق .

في الإعلام الإسلامي المتمثلة في قيام ذلك المضمون على الحق الذي يضمن لمعتنقيه أسباب الصلاح والفلاح والهدى والتقى والخير العميم في الدنيا والآخرة، ويكفل لهم تحقيق صنوف المنافع، ويدفع عنهم صنوف الشر، ويستجيب لفطرهم، ويلبي حاجاتهم الحقيقية المشروعة، ويقدم لهم حلولا ناجحة للمشكلات التي قد يتعرضون لها في مسيرة الحياة، فإن الرسول ﷺ يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم حيث بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله حتى يصير ذلك الدين منصورا وظاهرا بالحجة والبيان (الإعلام) والسيف والسنان (١) فحيث كان الواحد من أمته متمسكاً بدينه كان نوره ظاهرا، وبرهانه قاهرا معظما منصورا يعرف فضله على من سواه» (٢) وبالإعلام الصادق القائم على العلم النافع والحجة الظاهرة يسود الحق ويعلو ويتحقق الظهور والعلو لكلمة الله والوئام والانسجام بين بني البشر، وعلى هذا رأينا شيخ الإسلام ابن تيمية يستفرغ وسعه في إقرار حقيقة التوحيد ناصعة في قلوب الناس ورأينا مظاهر الصراع في مؤلفاته تدور حول المقابلة بين التوحيد الإلهي الخالص وبين التوحيد كما هو شائع في عقول الناس، هو يدافع عن الإسلام الإلهي كما جاء بالقرآن والسنة ولا يقر ما خالطه من ألوان الفكر الإنساني من مختلف الملل والنحل (٣) وهو كذلك يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية » فالكونية المتعلقة بالقضاء والقدر لاتلغي فاعلية الإرادة الإنسانية الحرة ولاتتعارض مع أدائها لدورها(٤)

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٣ / ٢٤٥، ٢٤٦، مرجع سابق.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٤٩.

(٣) انظر أثر القرآن على منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص ٢٢، مرجع سابق.

(٤) انظر المرجع نفسه، ص ٢٤٥.

وذلك مايعني تكريس القدرات والملكات الإنسانية للتفاعل مع الأسباب الكونية دون تراخ عقلي أو كسل عملي أويأس نفسي، ودفع إلىٰ تميز تلك الملكات بقوة التوقع أو الحدس به (١) ومن ثم فإن تقرير التوحيد وحسم مادة الشرك بتنوع البيان ووضوح العبارة نور علىٰ نور (٢) والنبي ﷺ لم يكن يخاطب أصحابه بخطاب لايفهمونه، فمنهجه ﷺ الوضوح والإيضاح، ومخاطبة كل قوم بما يدركونه، وينتفعون به، فكان كلامه ﷺ شفاء للأدواء مؤلفا للقلوب، جامعا للناس، مانعا للفرقة والاختلاف (٣) وقد التزم شيخ الإسلام ابن تيمية القاعدة نفسها في إيضاح الحقائق وبيانها، وفي عرض قضايا الأمة وعلاجها وفي بدايات الدعوة ونهاياتها، حيث التزم أوضح العبارات وأقصر الطرق، وأبرز المعاني وأهم الأمور وأولىٰ المسائل والأحداث مع البعد عما لافائدة فيه ولاطائل تحته ولامصلحة وكذلك البعد عما لاتدعو الحاجة إلىٰ عرضه وإبرازه وإظهاره ممايخفىٰ علىٰ عامة الناس (٤) واستنادا إلىٰ ذلك فقد وجدناه شديد التأكيد علىٰ شدة حاجة الناس إلىٰ معرفة الخالق ومعرفة رسوله ومعرفة دينه الذي بعث به ومايحصل العلم النافع والعمل الصالح (٥)لقد فهم ابن تيمية من آيات القرآن أنه ينبغي النظر إليها بعقلية واعية لاتفارق الواقع الشاهد والكثرة البادية في الكون حتىٰ تتأكد من أن ماجاء به القرآن هو الحق المفيد للبشر، فإن ماصدق من آيات القرآن التي تتعلق بالواقع المشاهد ينسحب صدقه علىٰ القضايا التي لاسبيل للإنسان للبرهنة عليها إلا بالأدلة العقلية وما تتمتع به من

---

(١) المرجع نفسه والمدرك نفسه

(٢) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلىٰ الله، ص ٢٧٩، مرجع سابق.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٨٢

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨٢ بتصرف يسير.

(٥) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ٣ / ٢٧٣، ٢٧٤، مرجع سابق.

التجريد » (١) لهذا فإن الفرق بين وظيفة القرآن وتأثيره على الناس يؤكد استمرار العلاقة الوثيقة بين البشر و القرآن إيجابا وسلبا مع نمو المجتمعات البشرية » (٢) ومهما يكن من أمر فإن فيما تقدم مايكشف عن الأبعاد المهمة في الرسالة الإعلامية الإسلامية من حيث مضمونها وخصائصها ، وقواعد صياغتها ، وقد تجلى فيه مبلغ الصلة بينه وبين المصدر الأساسي الذي ينطلق منه الشيخ في التناول وينطلق منه الإعلام الإسلامي كذلك ، بل كافة أنشطة الحياة (الوحي بشقيه) ومعنى ذلك بوضوح أن الرسالة في الإعلام الإسلامي وفي فكر الشيخ هي التي يتصف مضمونها بصفات أساسية لايصح الإخلال بها ، أن تكون حقا ، وأن تكون خيرا وأن تكون صلاحا وفلاحا ، وأن تكون نافعة مفيدة غير ضارة وأن تكون منسجمة مع الفطرة غير معارضة لها ، وأن تكون بلسما شافيا جامعة مؤلفة لامفرقة مشتة وأن تكون مصلحة لامفسدة وشاملة شمول موضوع وزمان ومكان وأن تكون واضحة سهلة غيرغامضة وغير معقدة وغير ذلك من الصفات التي تدخل في نطاق وصف القرآن الكريم والتي قد يجمعها وصف الدكتور محمد عبدالله دراز (٣) للقرآن الذي يقول فيه « إذا كان القرآن الكريم بعيدا عن أي عامل خارجي ما له أثر بصفة دائمة على عقول جد مختلفة فلا بد أن يكون ذلك راجعا إلى ماله من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطري في التفكير والشعور ، وباستجابته لما تتطلع إليه نفوسهم في شئون العقيدة والسلوك وبوصفه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التي تقلق بالهم وبمعنى آخر لابد أنه ينطوي على مايشبع حاجتهم إلى الحق والخير والجمال

---

(١) انظر أثر القرآن على منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ، ص ٧٨ ، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم ، ص ٧٠ ، دار العلم بالكويت ، ترجمة عبدالعظيم علي .

بما يجمع إليه من صفات العمل الديني والأخلاقي والأدبي في آن واحد . . »
وحسب الرسالة في الإعلام الإسلامي أن تكون كذلك وحسب الشيخ فضلا وعلما أن يرشد إلىٰ ماأرشد إليه في خصوصها مما جرىٰ بيانه ، لما بينه وبين ماذكر الدكتور دراز من توافق وتطابق ، ولما بينه وبين الدراسات الإعلامية الإسلامية كذلك من توافق وتطابق ، والحمد لله علىٰ كل حال .

ثاني عشر : خصائص المستقبلين للرسائل الإعلامية وأثرها في الاستجابة

في الدراسات الإعلامية العامة هناك خصائص عديدة للجمهور المستقبل ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار لدىٰ توجيه رسائل إعلامية إليهم كالخصائص الثقافية والاجتماعية والعمرية وقد لايكون هناك خلاف بين الدراسات الإعلامية العامة والدراسات الإعلامية الإسلامية حول أهمية اعتبار هذه الخصائص لكن مايميز الدراسات الإعلامية الإسلامية هو أنها جعلت أساس التصنيف هو الإيمان والكفر وحاولت أن تركز علىٰ معايير محددة في توجهها للجمهور المستقبل وهي معيار التكليف ومعيار الاستجابة للدعوة إلىٰ الله ، ومعيار الكفر والإيمان ومعيار المعرفة ومعيار التأثير وذلك مراعاة لخصائص مضمون الرسالة الإعلامية الإسلامية » (١) .

بتتبع الإنتاج الفكري لشيخ الإسلام ابن تيمية حول هذه القضية يستطيع المرء أن يقول بوضوح إنما في هذا الفكر ليس مؤكدا لهذه النظرة في التقسيم فحسب بل إظهار لأسباب اعتماد هذه المعايير في مخاطبة الجمهور المستقبل (الناس) « والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام

---

(١) انظر التصور الموضوعي لدراسة الإعلام الإسلامي ، ص ٢٤ـ٢٧ ، مرجع سابق .

فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلىٰ مؤمن ومنافق ، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق ، فإن أساس النفاق الذي يبنىٰ عليه هو الكذب (١) «فالإيمان هو أساس الأخلاق الفاضلة ، والأخلاق الفاضلة هي أساس العلم الصحيح ، والعلم الصحيح هو أساس العمل الصالح » (٢) فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق » (٣) والصدق الذي هو أساس الإيمان عند ابن تيمية له صور عديدة صدق في القول ، وصدق في المعاملة وصدق في العزم والإرادة (٤) .

والتركيز في النصوص السابقة علىٰ الإيمان وآثاره يؤكد حقيقة معيار انقسام الناس إلىٰ مؤمنين وكافرين وهو واضح الدلالة علىٰ مبلغ أهمية اعتباره في توجيه الرسائل الإعلامية إلىٰ الناس ، لكن شيخ الإسلام يشرح أسباب أهمية هذا التقسيم في مخاطبة الناس فهو يقول « فإن داعي الخير أقوىٰ ، فإن الإنسان فيه داع يدعوه إلىٰ الإيمان والعلم والصدق والعدل وأداء الأمانة فإذا وجد من يعمل مثل ذلك صار له داع آخر ، لاسيما إذا كان نظيره ، لاسيما مع المنافسة .. وهذا محمود حسن ، فإن وجد من يحب موافقته علىٰ ذلك ، ومشاركته من المؤمنين والصالحين ، ومن يبغضه إذا لم يفعل ذلك صار داع ثالث ، فإذا أمروه بذلك ووالوه علىٰ ذلك وعادوه وعاتبوه علىٰ تركه صار له داع رابع » (١) فنحن بهذا النص أمام سيل من

---

(١) الفتاوىٰ ١٠ / ١١ ، ١٢ ، نقلا عن الأهداف التربوية والسلوكية ، ص ٨٩ مرجع سابق .

(٢) افتاوىٰ ١٠ / ١٨٥ ، نقلا عن المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٣) الفتاوىٰ ١٠ / ١٨٥ ، نقلا عن المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٤) الفتاوىٰ ١٠ / ١٨٥ ، نقلا عن المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ٥٣ مرجع سابق من مؤلفات الشيخ رحمه الله

العوامل النفسية التي تكشف عن صلة النفوس بالحق عموما والإعلام الإسلامي خصوصا لقيامه في عطائه على الحق والخير والجمال، وأمام بيان دقيق لسبل نشر الإعلام الإسلامي وأسباب ذيوعه وانتشاره، ومثل هذا النص فيما يتعلق بأهمية سيادة الحق وانتشاره وارتباط ذلك بمعيار الإيمان والكفر قوله «وخروج الكتب كان من أعظم النعم، فإني كنت حريصا على خروج شيء منها لتقفوا عليه وهم كرهوا خروج (الأخنائية) فاستعملهم الله في إخراج الجميع وإلزام المنازعين بالوقوف عليه ، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق ، فإن هذه المسائل كانت خفية على كثير من الناس فإذا ظهرت فمن كان قصده الحق هداه الله ، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله واستحق أن يذله ويخزيه» (١) مع أن شيخ الإسلام كشف فيما مضى عن كثير من عوامل الاستجابة للرسالة الإعلامية إلا أن عماد تلك العوامل هو القلب الصالح مستقر العلم النافع «والعلم ليس هو الكلام، بل الكلام هو التعبير عن ذلك العلم، وهذا الكلام يسمى علما ولهذا يقال العلم علمان، علم في القلب وعلم على اللسان. فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على عباده» (٢) وهو كذلك يكشف في نصوص أخرى عن عوامل عدم الاستجابة للرسالة الإعلامية وذلك حيث يقول «بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمان في قلبه وخلص إليه حقيقة الإسلام، وأنه دين الله الذي لايقبل من أحد سواه إذا نبه على هذه النكتة إلا كانت حياة قلبه وصحة إيمانه توجب استيقاظه بأسرع تنبيه، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللذين

---

(١) الفتاوى ٢٨ / ٤٢ ، نقلا عن منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله ، ص ٧٩١ ، مرجع سابق .
(٢) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، ص ٧٦٦ ، مرجع سابق .

يصدان عن معرفه الحق واتباعه» (١) «فوصف المغضوب عليهم (اليهود) بأنهم يكتمون العلم تارة بخلا به ، وتارة اعتياضا عن إظهاره بالدنيا ، وتارة خوفا أن يحتج عليهم بما أظهروه منه ، وهذا قد ابتلي به طوائف من المنتسبين إلى العلم .. » (٢) وقوله أيضا « فمن كان من أصله أن الدلالة السمعية لاتفيد اليقين أو أنه يقدم رأيه وذوقه على خبر الرسول ﷺ ، لم ينتفع بإثبات عصمته المتفق عليها فضلا عن موارد النزاع من الصحة ، بل هم معظمون للرسول ﷺ في غير مقصود الرسالة أما مقصود الرسالة فلم يأخذوه عنه » (٣) .

وكما كان القلب السليم هو أساس الاستجابة للحق من خلال مامضى فإن القلب المريض هنا هو أساس الإعراض ، وبهذا يكون الشيخ رحمه الله قد وضع يده على كنوز المعرفة فيما يتعلق بعوامل الاستجابة للرسائل الاتصالية وموانع الاستجابة لها (٤) والانطلاق من الإيمان هو أساس الاعتراف بالمعايير الخمسة التى كشف عنها في بداية معالجة خصائص المستقبلين وبه يتحقق التوافق والتطابق بين مافي الدراسات الإعلامية الإسلامية وما في فكر ابن تيمية في هذه القضية التخصصية الدقيقة في علم الإعلام وبذلك تحقق الريادة العلمية للعلماء الربانيين من هذه الأمة .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢ مرجع سابق .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٧ .

(٣) الدرء ٥ /٢٨٥ ، مرجع سابق .

(٤) انظر نحو تأصيل للدراسات الاتصالية ، ص ٩٥ ـ٩٧ ، مرجع سابق ، وانظر القلب في القرآن وأثره في سلوك الإنسان ، ص ٥٣ ـ ١٠٣ ، دار عالم الكتب بالرياض الطبعة الثالثة ، عام ١٤١٤هـ .

الفصل الثاني : آراء ابن تيمية الإعلامية

* رأيه في علم الإعلام
* رأيه في قوة الإعلام بالقول
* رأيه في مكانة لغة الإعلام في إحداث التأثير
* رأيه في الفرق بين الخبر والنبأ
* رأيه في قضية المنهج في الإعلام
* رأيه في الحرية الإعلامية
* رأيه في آثار الإعلام بالحق
* رأيه في تأثير الإعلام
* رأيه في من هم قادة الرأي

الفصل الثاني : آراء ابن تيمية الإعلامية

توطئـة :

بعد الجولة الطويلة التي عشنا فيها مع عالم فذ من علماء المسلمين خصه الله بما خصه به من حدة في الذهن ، وصواب في الرأي ، ودقة اللهجة في المعنىٰ ووضوح في العبارة ، وغزارة في العلم ، وحرارة في العاطفة وصدق ووضوح في الهدف ، وشغف بالعلم وأهله وحرص علىٰ ذيوعه وانتشاره ، وعزة بالحق واستعلاء به وحرصا علىٰ الناس وشفقة عليهم ورحمة بهم ، وغير ذلك من الخلال والخصال التي لايصعب الحصول عليها مما في الفصل الأول من هذا البحث يحسن بنا أن نقف وقفة أخرىٰ في فصل الآراء ذات الصبغة الإعلامية في فكره حتىٰ تكون دراستنا للجانب الإعلامي في فكره مستوعبة ومعبرة ولو بصورة يسيرة عن الإضاءات الإعلامية الغزيرة في هذا الفكر .

ومما يلفت النظر في هذا الفصل أيضا كون تلك الآراء قد شملت أو تناولت مسائل علمية دقيقة في علم الإعلام ، مثل منطلقات الإعلام أو منهج الإعلام وموضوعات أخرىٰ في الإعلام ، في حقيقته وتأثيره وآثاره وبعض مسائله العويصة كقضية الحرية الإعلامية ، ومكانة اللغة في التأثير وغيرها من القضايا العلمية المتخصصة الدقيقة فموضوعات هذه الآراء إذا تستوعب مساحة واسعة من مسائل هذا العلم ودقائقه ، ويستوقف المرء أيضا أصالة هذه الآراء وسدادها ، واستنادها إلىٰ الكتاب والسنة ، وارتباط الفكر الإعلامي عنده بحركة الحياة في عهده ، وتفاعله مع

وقائع الحياة اليومية ، واهتمامه البالغ بحياة المسلمين وحرصه الشديد بل وسعيه الحثيث للتمكين لهم في الحياة (١) .

وذلك مايعني أن صفات العالم في الإسلام وهي الإيمان بالله ، والشمولية والمنطقية في الممارسة ، والعالمية في الاتجاه ، والعلمية في المنهج ، والامتياز والريادة (٢) يمكن إثبات تحققها فيه وخاصة في مجال الإعلام ، مع أن الشيخ في غنى عن هذا الإثبات ، لكن هذا من باب إياك أعني واسمعي ياجارة .

ولعلنا بهذا القول الموجز نكون قد هيأنا القارئ الكريم لتلقي مادة الفصل الثاني من هذا البحث ورغبناه في الغوص وراء معانيه ، ودعوناه إلى نشر ما يستقر في ذهنه من خير منها وتعميمه عملا بالعلم اقتداء بالشيخ رحمه الله ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) انظر في هذا ماعرض في الفصل الأول ، وماسيعرض في الفصل الثاني بإذن الله ، وانظر الفكر التربوي عند ابن تيمية ، ص ٧١ ، د . ماجد عرسان الكيلاني ، عام ١٤٠٥ هـ .

(٢) الدكتور أحمد القاضي ، من حديث له في ندوة أقيمت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ليلة ٤ / ٦ / ١٤١٥هـ حول واجب العقول المسلمة المهاجرة ودورها في التأثير .

الموضوع الأول : رأيه في علم الإعلام

كما قد نقلنا جملة من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية عند الحديث عن الإعلام وأهميته، وهذا الذي نسجله هنا هو استخلاص من جملة الأقوال السابقة يمثل رأيه في علم الإعلام في نظرنا من حيث حقيقته، ومكانته، وتأثيره في الحياة، وخطورة التقصير فيه، وحكم الله فيه (١) ومعنى ذلك بوضوح أن ماورد بشأن علم الإعلام في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية يستوعب الأبعاد الأساسية لهذا العلم ويتصف طرحه له بالأصالة والعمق، فهو يصفه بأنه علم، ويكفي هذا في مبلغ احتفائه به وجعله في المنزلة اللائقة به، ولكنه كعادته في تفصيل أحكامه لايكتفي بهذا بل يقول إنه «علم الأقوال» وهذا في الحقيقة أصدق وصف للإعلام حيث إن موضوعات هذا العلم ومسائله وأصوله وقواعده مرتبطة بالقول وعاء المعاني ولكن هذا القول يختلف باختلاف الملابسات البشرية والزمانية والمكانية، والظروف والمتغيرات السياسية والاجتماعية، ومن هنا رأينا الشيخ يتنقل من هذا العموم إلى الخصوص عندما يعطف على الحكم الأول حكمين آخرين أملتهما ضرورة المواجهة بين الحق والباطل هما وصفه للإعلام بقوله (أو علم الحجج والدلالات، أو علم الحجة والمناظرة) فالإعلام الإقناعي يتوسل إلى غايته الإقناعية بالدليل والبرهان والحجة الناصعة القوية، وهذا التخصيص بعد التعميم هو من باب وصف الشيء بلازمه، فظهور الإعلام الإسلامي وتميزه سببه الحقيقي هو نصاعة الحق الذي يحمله والأدلة القاطعة التي يسوقها تأكيداً لما فيه والحجة البالغة التي لايمكن دفعها **(إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين)** (٢)

---

(١) انظر الصفحات من ١١ ـ ١٨ من هذا البحث

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٨

وهذه المواجهة التي أوحت إلى الشيخ بالوصفين السابقين لازمة من لوازم الإعلام الإسلامي الذي يحمل لواء الإسلام في معركة الصراع بين الحق والباطل كما يصفه الشيخ نفسه في معرض بيان فائدته وقيمته في الحياة فهو علم يدفع المضرة عن الدين ويجلب منفعته، فدفع المضرة يعني التصدي لأعداء الحق وتفنيد باطلهم ورد شبههم ورد كيدهم الإعلامي في نحورهم ويجلب منفعة الدين ببيان حقائقه ومقاصده وأحكامه وآدابه وشرائعه وتوضيح مفاهيمه حتى يعرفه الناس وينجذبوا إليه ويعضوا عليه بالنواجذ. ومواصلة الدعوة إليه وبيان محاسنه وشدة حاجة البشرية إليه وكل ذلك يتطلب الحجة والبرهان ﴿**قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين**﴾ (١)

وكما كان علم الإعلام في نظر شيخ الإسلام مهما في دفع المضرة عن الدين وجلب منفعته، فإنه ضروري لتحقيق الظهور لدين الله فظهور الإسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره بالقتال كما يقول الشيخ، ودور الإعلام في هذا السبيل غني عن البيان، وهذه المنزلة العالية التي يضع شيخ الإسلام الإعلام فيها تتجاوز العلم نفسه إلى العاملين به فالقائمون بعلم الحجج والمناظرات هم أهل الرياسة العلمية كما يقول الشيخ (٢) ومن ثم فإن المقصر فيه متهور في نظره، وعدم العناية به يترتب عليها فساد الدين والدنيا، والعناية به من قبل أدت إلى نقل الدين نقلاً عاماً متواتراً ظاهراً، وليس وراء هذه الثمرة ثمرة، لهذا كان من العلوم الواجبة في رأيه.

ولايقف الشيخ عند هذا الحد فيما يتعلق بالكشف عن حقيقة هذا العلم

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٤

(٢) أقوال الشيخ سبقت بنصوصها في المدرك السابق مما يغني عن إعادتها هنا.

وفوائده وآثاره، وشدة الحاجة إليه بل يتجاوز ذلك إلىٰ بيان مسائل دقيقة تتعلق بهذا العلم تتمثل في شدة ارتباطه بوقائع الحياة اليومية للناس وضرورة اعتبار ملاءمة الزمان والمكان والفاعل والغاية والنتيجة والتجرد من الأهواء وهو مايعرف لدىٰ الدارسين في الإعلام الإسلامي بالمقومات الموضوعية للرسالة الإعلامية إضافة إلىٰ المقومات الذاتية لها، أو مايمكن أن يوصف بأنه جملة الظرف الاتصالي (١) وذلك مايعني أن رأي شيخ الإسلام في علم الإعلام استوعب جانبيه النظري والتطبيقي، وتلك ميزة أخرىٰ لهذا العلم كشف عنها العرض التفصيلي لوجهة نظر الشيخ فيما يتعلق بهذا العلم، وهو أنه علم مرتبط بالحياة البشرية وقابل للتطبيق وليس علما مثاليا غير قابل للتطبيق.

وهذه وجهة نظر تتفق مع ماانتهىٰ إليه كثير من الدارسين في الإعلام الإسلامي الذين يرونِ أن من خصائص الإعلام الإسلامي القابلية للتطبيق في الحياة البشرية في كل زمان ومكان (٢).

ولعلي لا أفشي سرا إذا قلت بأن رأي شيخ الأسلام ابن تيمية في علم الإعلام بأبعاده السابقة لم يطرق من قبل فيما اطلعت عليه من كتابات في الإعلام الإسلامي، وأن شموله وعمقه لايمكن فصله عن عمق وشمول الفكر الذي ينطلق منه الشيخ في تناوله لكافة قضايا المعرفة.

---

(١) انظر التصور الموضوعي لدراسة الإعلام الإسلامي، ص ١٥، مرجع سابق.

(٢) انظر أصول محاضرات الشيخ زين العابدين الركابي في مادة منهج الإعلام الإسلامي في المستوىٰ الجامعي بقسم الإعلام بكلية الدعوة و الإعلام، وأصول محاضرات المؤلف في المادة نفسها.

الموضوع الثاني : رأيه في قوة الإعلام بالقول

إذا كان الشيخ قد سبق غيره فيما يتعلق برأيه في علم الإعلام فإنه قد سبق غيره أيضاً في الحكم بأن هناك إعلاماً بالفعل ، وأنه أقوىٰ من الإعلام بالقول من وجه، وأضعف منه من أوجه أخرىٰ .

ويمثل للإعلام بالفعل بمعجزات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من حيث هي أفعال خارقة للعادة يمد الله سبحانه وتعالىٰ بها رسوله تصديقاً له في دعوىٰ الرسالة « فإن إرسال العلامة هو إعلام منه (أي الله) لهم (أي الناس) بأني أرسلته إليكم، فهذا الفعل هو مثل القول يجري مجرىٰ إعلامهم وإخبارهم بأنه أرسله وتصديقه في قوله هو أرسلني، والإخبار تارة يكون بالقول، وتارة يكون بالعمل، كما يعلم الرجل غيره بالإشارة بيده ورأسه وعينه وغير ذلك، وإن لم تتقدم بينهما مواضعة، لكن يعلم قصده ضرورة مثل أن يسأله عن شيء هل كان؟ فيرفع رأسه أو يخفضه أو يشير بيده، أو يكون قائماً فيشير إليه اجلس، أو قاعداً مطلوباً فيشير إليه أن اهرب فقد جاء عدوك أو نحو ذلك من الإشارات» (١) فهذا التحديد الدقيق المفصل في قضية الإعلام بالفعل يعز مثيله في الدراسات الإعلامية وإن كنا نجد إشارات إلىٰ قيمة اللغة الإشارية في التعبير عن المعاني .

ومادام الشيخ يقرر فيما سلف أن هناك ضربين من الإعلام هما الإعلام بالقول والإعلام بالفعل بحيث يقوم الإعلام بالفعل مقام الإعلام بالقول من حيث الإعلام بقصد الفاعل أو المعلم، فهل هما سواء أم أنهما يتفاوتان أم يتفقان من وجه ويختلفان من وجه آخر ؟

---

(١) النبوات ص ١٨٩ ، مرجع سابق .

يقول الشيخ إجابة عن التساؤلات السابقة وبياناً للفروق بين الإعلام بالقول والإعلام بالفعل في ثقة واطمئنان إن من الإشارات البدنية التي هي أعمال بالأعضاء مايقوم مقام الإعلام بالقول من حيث الإعلام بقصد الفاعل « فهي تدل دلالة ضرورية تعلم من قصد الدال كما يدل القول، وقد تكون أقوىٰ من دلالة القول لكن دلالة القول أعم وأوسع، فإنه يدل علىٰ الأمور الغائبة، وعلىٰ الأمور المتصلة، وهذه الأدلة العيانية قد تكون أقوىٰ من وجه، ولكن ليس فيها من السعة للمعاني الكثيرة مافي الأقوال» (١).

وهذا لعمر الله من الدقة والوضوح مالايطمع في أمثل منه وهو مالم نقع علىٰ قريب منه به مثيل له في الدراسات الإعلامية، وهو لاشك قبس من نور الوحي الذي أحسن الشيخ صلته به .

ولتأكيد رأي الشيخ في انقسام الإعلام إلىٰ إعلام بالقول وإعلام بالفعل نستعرض بالفعل رأيه في مراتب الدلالة حيث يقول «ولاريب أن الدلالة علىٰ مراتب، إحداها أن يدل الدليل بغير شعور منه ولاقصد، فهذا الذي يسمىٰ لسان الحال، والدرجة الثانية أن يكون الدال عالما بالمدلول عليه، لكن لم يقصد إفهام مخاطب (٢) ولكن حاله دل المستدل علىٰ ماعمله كالأصوات التي تدل بالطبع مثل البكاء والضحك ونحوها، فإنها تدل علىٰ مايعلمه المرء من نفسه مثل الحزن والفرح وكذلك صفرة الوجل وحمرة الخجل، الدرجة الثالثة، الدلالة التي يقصدها الدال، فمنها الإعلام بغير خطاب مسموع (٣) كمن يعلم لغيره علامات تدل علىٰ مايريده، وكإشارة الأخرس ونحو ذلك» (٤)

---

(١) النبوات ص ١٨٩ ، مرجع سابق.

(٢) يلاحظ المعنىٰ الإعلامي في عبارة الشيخ هنا (لكن لم يقصد إفهام مخاطب).

(٣) يلاحظ كذلك التصريح بلفظ الإعلام وإرادته في كلام الشيخ.

(٤) موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ص٢٥٧ مرجع سابق.

وبين في موضع آخر أن الدليل ينقسم إلى قسمين مايدل بنفسه، ومايدل بدلالة الدال به ، فالمخلوقات تدل على الله الخالق، أما ما يدل بغيره فقد يكون دالا بالمواطأة والاتفاق بين اثنين فصاعداً » (١) .

واستفاضة الشيخ في شرح مراتب الدلالة ضرب من ضروب الاستفاضة في بسط الرأي يلحظه كل متابع لفكر الشيخ ، لكنه على كل يضيف جديداً تثري ملاحظته العمل الإعلامي، وخاصة في مجال الاستخدامات الإعلامية الدعوية كما مثل الشيخ .

(١) موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ص ٢٦٤ ، مرجع سابق

الموضوع الثالث : رأيه في مكانة لغة الإعلام في إحداث التأثير

هذه في الواقع قضية علمية إعلامية بالغة الأهمية فيما يتعلق بتأثر العمل الإعلامي بها، سواء كان ذلك التأثير بسبب عدم دقة اللغة المستخدمة في تحديد المعاني المرادة، أو كان ذلك بسبب عدم تحديد مدلول المصطلحات واضطرابها، أو غير ذلك من الأسباب المرتبطة باستخدام اللغة في التعبير عن المعاني، خاصة وأن تأثير الإعلام في الحقيقة مرتبط بقضية اللغة حيث تمثل الأداة الأساسية في نقل المعاني والأفكار والآراء والعواطف والمشاعر إلى الناس (١) .

ولعل واقع الاستخدام اللغوي أو لغة الإعلام في الوقت الحاضر مما يؤكد هذه الحقيقة وهي خطورة هذه القضية المثارة حيث يشيع الغموض والخلط بين المعاني والمصطلحات الغريبة غير الواضحة، مما يحدث اللبس عند الناس ويثير سخطهم واستياءهم، ويقلل بالتالي من تفاعلهم مع الرسائل الإعلامية التي تتسم بالتساهل في تخير الألفاظ وعدم العناية بالمصطلحات وقد تنبه لهذا الأمر بعض من لهم صلة بالإعلام تنظيراً وتطبيقاً وأشاروا إلى أهمية تحديد لغة الإعلام في تحقيق مقصود الإعلام وطالبوا بالعناية بدقة اللغة الإعلامية، كما طالبوا بالاهتمام بالمصطلحات الإعلامية، وضرورة العناية بالمصطلحات الإعلامية (٢) .

وما في فكر الشيخ عن هذه القضية يمكن حصره في محاور ثلاثة (المقصود بالكلام أو اللغة، أهمية دقة اللغة في تحديد المعنى، وطبيعة التأثير الذي ينشأ من التساهل في هذا الأمر) .

---

(١) انظر ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، ص ١٢٤ مرجع سابق.
(٢) انظر وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، ص ٤٩٠ ، ٤٩١ ، مرجع سابق.

ففي المقصود بالكلام أو اللغة نورد جملة نصوص من كتبه في مقدمتها قوله «وأما سلف الأمة وأئمتها فإنهم يقولون بالوسط، وهو الثالث، أن الكلام عند الإطلاق يتناول الحروف والمعاني جميعاً . . ومعلوم أن الأمر والنهي والخبر والاستخبار أنواع الكلام، والجنس ينقسم إلىٰ أنواعه، واسمه صادق علىٰ كل نوع من الأنواع من الأمر والنهي والخبر والاستخبار، فإن الكلام ليس مجرد المعنىٰ» (١) .

وقوله «ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان، نوع جاء به الكتاب والسنة، فيجب علىٰ كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله، وينفي مانفاه الله ورسوله فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني، فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر ونطيعه في كل ما أوجب وأمر ، ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف علىٰ نفيها أو إثباتها، فهذه ليس علىٰ أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتىٰ يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنىٰ يوافق خبر الرسول (صلىٰ الله عليه وسلم) أقر به وإن أراد بهامعنىٰ يخالف خبر الرسول (صلىٰ الله عليه وسلم) أنكره، ثم التعبير عن تلك المعاني في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي فإن كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة» (٢) وقوله «يحتاج المسلمون في العقيدة إلىٰ شيئين أحدهما

---

(١) الاستقامة، ص ٢١١، ٢١٢، مرجع سابق .

(٢) الفتاوىٰ ١٢/ ١١٣ ـ ١١٤) نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص٢٩٩ ـ ٣٠٠، مرجع سابق .

معرفة ما أراد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي نزل بها، وماقاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلغوا تلك المعاني إلىٰ التابعين أعظم مما بلغوا ثم معرفة ماقال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول (صلىٰ الله عليه وسلم) والمعاني المخالفة لها» (١).

ويبين رحمه الله أن الألفاظ التي يوردها الناس نوعان «نوع يوجد في كلام الله ورسوله، ونوع لايوجد في كلام الله ورسوله فيعرف ذلك المعنىٰ الأول ويجعل ذلك المعنىٰ هو الأصل، ويعرف مايعنيه الناس بالثاني ويرد إليه الأول، هذا طريق أهل الهدىٰ والسنة، وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس» (٢).

ولايكتفي رحمه الله بهذا التحديد الدقيق لكيفية التعامل السليم مع الألفاظ، بل يوجه النظر إلىٰ واقع استعمال الناس للألفاظ فيقول «ومنهم من يتعمد استعمال ألفاظ الأنبياء لمعان يريدونها غير المعاني التي استعملها الأنبياء وأتباعهم ثم يتكلم بها هؤلاء مظهرين للناس أنهم موافقون للأنبياء لأنهم استعملوا ألفاظهم» (٣) «ولاريب أن القوم أخذوا العبارات الإسلامية القرآنية والسنية فجعلوا يضعون لها معانٍ توافق معتقدهم، ثم يخاطبون بها

(١) الفتاوىٰ ١٧/ ٣٥٣، نقلا عن المرجع السابق ص ٢٤٦.
(٢) المرجع السابق نفسه والمدرك نفسه، وانظر في هذا المعنىٰ الفتاوىٰ ٤/ ١٩١.
(٣) منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلىٰ الله، ص١١٨، مرجع سابق.

الناس، ويجعلون مراد الله تعالىٰ ورسوله صلىٰ الله عليه وسلم من جنس ما أرادوا فحصل بهذا من التلبيس علىٰ كثير من أهل الملة» (١) ويقول «وجميع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً، فإن مجموع عباراتهم أدل علىٰ المقصود من عبارة أو عبارتين، ومع هذا فلابد من اختلاف مخفف بينهم كما يوجد مثل ذلك في الأحكام» (٢) وهذا الاختلاف مما جرت به العادة «كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات وتقسيم الأحكام وغير ذلك» (٣).

فنحن نرىٰ الشيخ «وهو في تحليله لهذه الألفاظ، وبحثه للقضايا التي تتعلق بها يزن معانيها علىٰ ضوء آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول (صلىٰ الله عليه وسلم) الصحيحة بحيث يكون القرآن في النهاية هو الميزان الذي ينبغي أن تقاس به» (٤) المعاني وهو تقعيد أفضىٰ في النهاية إلىٰ الخروج بمنهج متكامل للشيخ في التعامل مع المصطلحات يتمثل في:

١ - صحة نسبة المصطلح ومعناه (المنقول عن السلف يحتاج إلىٰ معرفة ثبوت لفظه ومعرفة دلالته كما يحتاج إلىٰ ذلك المنقول عن الله ورسوله، والقاعدة العامة في ذلك أن العلم يحتاج إلىٰ نقل مصدق ونظر محقق).

٢ - اتباع المنقول من المصطلحات (يلتزم الشيخ بمعاني الكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح من الألفاظ والمصطلحات، لأن الأصل في

---

(١) الفتاوىٰ ١١/ ٢٣١، نقلاً عن المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٢) مقدمة في أصول التفسير، ص٣٨، نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص٨١١، مرجع سابق.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣٨، من مؤلفات الشيخ.

(٤) أثر القرآن علىٰ منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص٢٣، مرجع سابق.

المصطلحات الشرعية الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة الصالحين بأن يكون اللفظ مأثوراً وأن يكون معناه صحيحاً وإن كان محدثاً) .

٣ـ الاستفسار والاستفصال(وهذا يتطلب معرفة معاني الكتاب والسنة، ومعرفة معاني الألفاظ التي ينطق بها المخالفون) (١) .

٤ ـ دراسة أي مصطلح من خلال مفهوم ومراد المتكلم به في عصره وزمنه الذي أصبح المصطلح متداولاً فيه (٢) .

وحاجة الإعلام في الدول الإسلامية إلىٰ التزام هذا المنهج غير خافية .

حيث سيؤدي التزامه إلىٰ تقارب كبير في وجهات النظر في القضايا الإسلامية الكثيرة التي تتناولها وسائل الإعلام في العالم الإسلامي . وخاصة قضايا العقيدة، ومسائل الأحكام الشرعية، ناهيك عن القضايا الفكرية الكثيرة التي يؤدي اضطراب الفهم فيها إلىٰ مشكلات لاحصر لها ولاعد، والشيخ نفسه يؤكد هذه الحقيقة حيث يقول «ولفظ التأويل له في القرآن معنىٰ» وفي عرف كثير من السلف وأهل التفسير له معنىٰ، وفي اصطلاح كثير من المتأخرين له معنىٰ، وبسبب تعدد الاصطلاحات والأوضاع فيه حصل اشتراك غلط بسببه كثير من الناس في فهم القرآن وغيره« (٣) «وإذا ظهر معنىٰ لفظ التأويل ظهر فساد احتجاج هؤلاء بقوله تعالىٰ (**ومايعلم تأويله إلا الله**) فإن التأويل الذي لايعلمه إلا الله ليس هو ألا يفهم أحد من اللفظ، بل يفهمونه، وإن كان تأويله لايعلمه إلا الله، (٤) وحرصاً من الشيخ علىٰ صحة المعنىٰ وسلامة الفهم نراه في نصوص كثيرة

---

(١) منهج الشيخ في الدعوة إلىٰ الله، ص ١٢٥ ـ ١٢٨ نقلاً عن الفتاوىٰ ١/ ٢٤٦، مرجع سابق

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٩ .

(٣) موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة، ص ١١٩٦، مرجع سابق.

(٤) نقض التأسيس (مخطوط) ٢/ ٢٤٤ـ٢٤٥ ، نقلا عن المراجع السابقة، ص ١١٩٦ ، ١١٩٧ .

يوجه إلى أهمية دقة التعبير وتخير الألفاظ من مثل قوله «ثم إذا كان هذا البيان والدلالة موجودا في كلام العامة الذين لايعدون من أهل العلم، فأهل العلم أولى بأن يبينوا مرادهم، وبأن يفهم مرادهم من خطابهم» وإذا كان هذا في العلماء الذين ليسوا بأنبياء، فالأنبياء أولى إذا كلموا الخلق، وخاطبوهم أن يبينوا مرادهم، وأن يفهم الناس مابينوه بكلامهم، ثم رب العالمين أولى أن يكون كلامه أحسن الكلام، وأتمه بيانا وقد قال تعالى ﴿**وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾(١) و«من المفاسد أن لفظ المجاز المقابل للحقيقة سواء جعل من عوارض الألفاظ أو من عوارض الاستعمال يفهم ويوهم نقص درجة المجاز عن درجة الحقيقة لاسيما ومن علامات المجاز صحة إطلاق نفيه، فإذا قال القائل إن الله تعالى ليس برحيم ولابرحمان لاحقيقة بل مجاز إلى غير ذلك مما يطلقونه على كثير من أسمائه وصفاته» (٢) ومن هنا رأينا الشيخ محافظة على سلامة المعاني الشرعية يؤكد أهمية التزام عبارات القرآن ونصوص السنة، فهو يقول «والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني مالا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال، واشتباه، ونزاع، ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده، وليس هو قول الرسول ﷺ الصادق المصدوق، وقد يضطرب في معناه، وهذا أمر يعرفه من جربه من كلام الناس.. ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث، وبين معناها بياناً شافياً، فإنها تنتظم جميع مايقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لاتوجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام

(١) نقض التأسيس (مخطوط) ٢/ ٣١٧، نقلا عن موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة، ص ١٢٠٢، ١٢٠٣ مرجع سابق.

(٢) الفتاوى ٢٠/ ٤٥٤-٤٥٦، نقلا عن المرجع السابق، ص ١٢٣٩.

الناس» (١) خاصة وأن الرسول ﷺ بلغ البلاغ المبين، وبين مراده «وأن كل مافي القرآن والحديث من لفظ يقال فيه إنه يحتاج إلىٰ التأويل الاصطلاحي الخاص، الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فلابد أن يكون الرسول ﷺ قد بين مراده بذلك اللفظ بخطاب آخر، لايجوز أن يتكلم بالكلام الذي مفهومه ومدلوله باطل، ويسكت عن بيان المراد الحق، ولايجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه مالم يبينه لهم ويدلهم عليه لإمكان معرفة ذلك بعقولهم، وإن هذا قدح في الرسول الذي بلغ البلاغ المبين» (٢) ولأهمية هذه القضية في المحافظة علىٰ دين الله نقياً من الشوائب، وجدنا الشيخ يلح في دعوته السابقة علىٰ ضرورة التزام تعبيرات القرآن والسنة عن معاني الإيمان خاصة والمعاني الشرعية عامة فهو يقول «إن القرآن بهذا اللفظ والنظم العربي اختصاص لايمكن أن يماثله في ذلك شيء أصلاً أعني خاصة في اللفظ، وخاصة فيما دل عليه من المعنىٰ، ولهذا لو فسر القرآن ولو ترجم، فالتفسير والترجمة قد يأتي أصل المعنىٰ أو يقربه وأما الإتيان بلفظ يبين المعنىٰ كبيان القرآن، فهذا غير ممكن أصلاً، ولهذا كان أئمة الدين علىٰ أنه لايقرأ بغير العربية لامع القدرة عليها ولا مع العجز عنها . . » (٣) وهو كذلك يقول «وهذا مما يبين ماقررناه في غير هذا الموضع أن الله سبحانه وتعالىٰ بين بكتابه سبيل الهدىٰ وأنه لايصلح أن يخاطب بما ظاهر معناه باطل أو فاسد، بل ولايضلل المخاطبين بأن يجعلهم علىٰ الأدلة التي لايستسيغون برأيهم، بل يجب أن يكون الكتاب بيانا وهدىٰ وشفاء لما في الصدور، وأن مدلوله، ومفهومه حق، وهذا أصل عظيم جداً» (٤) «وعناية ابن تيمية بالألفاظ

---

(١) النبوات، ص ٣٣٤، دار القلم.

(٢) الدرء ١/ ٢٢ ـ ٢٣. نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٨٦٧، مرجع سابق.

(٣) التسعينية. ص ٢١٥. نقلا عن المرجع السابق، ص ١٣٧٦.

(٤) الاستقامة، ص ٢٤، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام، ط١ عام ١٤٠٣.

والمصطلحات عائد إلى أنه لاحظ من خلال رحلاته العلمية والفكرية لما بعد الصحابة والتابعين وحتى في العصور السابقة للإسلام حدوث اختلاف بين العقلاء في دلالات الألفاظ والمصطلحات» (١) ومن الأسباب التي تؤدي إلى خلق التعارض في الحجج العقلية وأعني بها طبيعة الإجمال في ألفاظ التأثير والجبر والرزق ونحو ذلك من الألفاظ المجملة التي لاتدل على معان محددة (٢) «والذي جعل ابن تيمية في هذا المستوى الناضج هو اهتداؤه إلى كيفية يفهم بها مراد المتكلم من خلال ألفاظه وكلماته، ويظهر انزعاجه الشديد من هذا التناقض والتعارض في مفهوم الألفاظ والمصطلحات خصوصاً إذا تعارضوا في ألفاظ القرآن والسنة وأقوال السلف، لأن هذه الثلاثة يتعلق بها أمر الدين من حيث التصور وبناء الأحكام العلمية والعملية، ولهذا بذل جهداً في لفت نظر العلماء والأمة إلى ضرورة العلم بالمصطلحات والألفاظ القرآنية والنبوية وماورد عن سلف الأمة وعلمائها، وكذلك مصطلحات كل قوم في كل عصر ومصر» (٣) واستناداً إلى ذلك رأيناه يوجه إلى الحاجة إلى معرفة لغات الناس واصطلاحاتهم حتى يفهم مرادهم ويحسن التعامل معهم، وذلك حيث يقول «ومعرفتنا بلغات الناس، واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا مقاصدهم، ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى، فكل من شرح كلام غيره، وفسره، وبين تأويله، فلابد له من معرفة حدود الأسماء النافية» (٤) «فإن الأيمان وغيرها من كلام الناس بعضهم لبعض يجمعها كلها دلالة اللفظ على قصد المتكلم ومراده وذلك متنوع بتنوع

(١) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ١٠٤، مرجع سابق
(٢) انظر أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص ١٦٣، مرجع سابق
(٣) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص ١٠٥، مرجع سابق
(٤) الفتاوى ٩/ ٦٦ ـ ٦٧

اللغات والعادات» (١) لهذا كان «لابن تيمية عناية فائقة بضبط دلالة الألفاظ والمصطلحات وبيان مايتعلق بذلك من سوء الاستعمال بأهداف محمودة أو مذمومة» (٢) «ثم ذكر أن الأدلة السمعية وإحداها اللفظية قد تكون مبنية على مقدمتين معلومة بالاضطرار، إحداها أن الناقلين إلينا فهموا مراد المتكلم والثانية أنهم نقلوا إلينا ذلك المراد كما نقلوا اللفظ الدال عليه، فالأمة وصل إليها اللفظ ومدلوله، وأن إرادة المخاطب أن يفهم كلامه مخاطبيه والمخاطب أن يفهمه أمر فطري قائم في النفوس، فمع وجود الدافع والقدرة من الطرفين، وشدة الحاجة لابد أن يتحقق المراد لانتفاء الموانع . . ودلالة الأدلة اللفظية لاتختص بالكتاب والسنة، بل جميع بني آدم يدل بعضهم بعضاً بالأدلة اللفظية، فلابد أن يعرف بعضهم مراد بعض ليحصل التعاون (٣) .

والوقوف عند هذا النص فقط في بيان عمق المعاني الاتصالية والإعلامية لأبعاد قضية اللغة وتأثيراتها الإعلامية يمثل أحد الشواهد الظاهرة على ماسبق تقريره من إدراك المسلمين لمسائل علم الإعلام والاتصال واستخدامهم قواعده في الوصول إلى أغراضهم الإعلامية » ولايكتفي الشيخ في مسألة العناية بتحديد اللغة المستخدمة في التعبير عن المعاني وضرورة ضبط دلالة الألفاظ وهي مسألة بالغة الأهمية في الأداء الإعلامي اليوم وفي كل عصر، بل يتجاوز ذلك إلى بيان الآثار السلبية المترتبة على عدم الحزم في هذه المسألة فنراه يقول «الزنادقة والمغرضون استغلوا الاختلاف بين السلف والخلف في معاني المصطلحات للخداع والتضليل حيث عمدوا إلى ألفاظ الرسل والأنبياء وألفاظ القرآن الكريم، وألفاظ سلف

(١) الاستقامة، ص ١٠، مرجع سابق.

(٢) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص ١٠١، مرجع سابق.

(٣) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص ١٠٢، مرجع سابق.

الأمة وعلمائها، واستعملوها لكن بمعان ودلالات مخالفة لما هي له في الأصل، وقصدهم في استعمال هذه الألفاظ إيهام المستمع والقارئ أنهم على طريق ونهج السلف، ولهذا صار من يطالع كلامهم يعتقد أنهم على صواب وأن عقيدتهم سليمة لأن ألفاظهم هي ألفاظ الرسل وألفاظ سلف الأمة (١) وقد نقل في هذا السياق عن أبي حامد الغزالي قوله «والصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائعة، وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، وهي إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها، بل يصدرها عن خبط في عقله، وتشوش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه، وهذا هو الأكثر، أو أن تكون مفهومة له ولكنه لايقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره، ولافائدة لهذا الجنس من الكلام، إلا أنه يشوش القلوب، ويدهش العقول، ويحير الأذهان» (٢) وصدق والله فإن واقع الألفاظ المستخدمة اليوم في كثير من وسائل الإعلام في العالم العربي بله العالم الإسلامي مما له الآثار السيئة نفسها التي ذكرها الشيخ رحمه الله، ومن ثم شاع في حياة المسلمين خلط في المفاهيم واضطراب في الأفكار وتشاحن وبغضاء بين الناس بسبب ذلك الأداء الإعلامي غير المنضبط لغة.

ولاينسى الشيخ وهو يتناول مسألة يتوقف عليها سلامة الدين من التحريف وصيانته من العبث أن يؤكد على أهمية اللغة العربية لغة القرآن باعتبارها وعاء الدين حيث يقول «وأيضاً فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغاً عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٨

وأقرب إلىٰ مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم » (١) وهو يعلل لهذه الدعوة الحارة إلىٰ الحفاوة بلغة القرآن اللغة العربية فيقول «إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بينا» (٢) «والوجه الثاني كراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون » (٣) .

«وأما اعتياد الخطاب بغير العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتىٰ يصير ذلك عادة للمصر وأهله ولأهل الدار، وللرجل مع صاحبه، ولأهل السوق أو للأمراء، أو لأهل الديوان أو لأهل الفقه فلاريب أن هذا مكروه، فإنه من التشبه بالأعاجم وهو مكروه كما تقدم» (٤) «وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتىٰ يتلقنها الصغار في الدور والمكاتب فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل علىٰ أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف» (٥) وهذه الدعوة الحارة لتبني اللغة العربية لغة حياة يومية تمكيناً لها في النفوس وصيانة لها من الضياع والخراب، وحماية لدين الله، ومحافظة علىٰ معانيه وحقائقه ناصعة نقية من خلال الغوص وراء المعاني النفسية المتعلقة بتأثير اللغات الأجنبية والحكم بكراهة استخدامها كما يحدث في حياة العرب اليوم هو مما سبق إليه الشيخ في الجانب الإعلامي حيث انتهت جهود الدارسين والمنظرين والعاملين في

(١) الاستقامة ، ص ١٢٠ ـ ١٢١ ، مرجع سابق .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، مرجع سابق .
(٣) المرجع نفسه، ص، ٢٠٥ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣ .
(٥) المرجع السابق، ص ٢٠٦ .

الحقل عند الدعوة إلىٰ العناية باللغة العربية في الأداء الإعلامي اليومي» (١)

أما أن يدعىٰ إلىٰ سيادتها في الحياة عموماً ويحكم بوجوب معرفتها وكراهة استخدام غيرها في حياة المسلمين بالصورة التي ذكرها الشيخ، فهذا مستوىٰ من الطموح لم تبلغه همة المنظرين الإعلاميين في حقل الدراسات الإعلامية الإسلامية حسب مبلغ علمي .

ويلح الشيخ كعادته علىٰ بيان تأثير اللغة فيقول «اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق، وأيضاً فإن نفس العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولايفهم إلا بفهم اللغة العربية، ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب . وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع مايحتاج إليه، لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلىٰ فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلىٰ فقه أعماله » (٢) .

وبهذا النص من أقوال الشيخ حول أهمية اللغة وبيان صور التعامل المثلىٰ معها في مناحي الحياة المختلفة وأهمها دون ريب الجانب الإعلامي نختم حديثنا عن أهمية اللغة في إحداث الأثر غير أنه لايفوتنا الإشارة إلىٰ أن ابن خلدون كان قد فطن إلىٰ أثر اللغة وفهم معاني الألفاظ علىٰ التفسير، وحذر من أخطار اللغة علىٰ أساس أن الألفاظ وهي وسائط للمعاني حجب في الوقت نفسه (٣) .

---

(١) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، ص ٢٢، مرجع سابق.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧ ، مرجع سابق.

(٣) انظر أثر القرآن الكريم علىٰ منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ، ص ٨٣ ، مرجع سابق.

الموضوع الرابع : رأيه في الفرق بين الخبر والنبأ

لأ أعلم في الدراسات الإعلامية ولافي الممارسة الإعلامية تفريقاً دقيقاً بين الخبر والنبأ مع كثرة التعريفات الخاصة بالخبر، مع أن هناك من علماء اللغة من أوجد فوارق بينهما أشملها ماجاء على لسان الراغب الأصفهاني حيث قال «النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولايقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة» (١) وهذا التفريق مع قيمته لم يبلغ درجة الدقة والوضوح الذي بلغه تفريق ابن تيمية بين الخبر والنبأ حيث يقول «ولفظ الإنباء يتضمن معنى الإعلام والإخبار لكنه في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الإخبار فهو يستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة دون المشاهدة المشتركة كما قال تعالى ﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم** ﴾ وقال تعالى «**فلما نبأها به قال من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون** ﴾ وقال جل جلاله ﴿ **عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لكل نبأ مستقر** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **قال ياآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وماكنتم تكتمون** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم**

---

(١) المفردات في غريب القرآن . ، كتاب النون، مادة نبأ

بما كنتم تعملون ﴾ (١) وغير خاف أن تفريق شيخ الإسلام الدقيق السابق بين الخبر والنبأ هو قبس من نور القرآن الكريم أفاضه الله عليه منًا منه وفضلا ، ومثل هذا الفيض ينتظر كل من وثق صلته بمصدر النور كما فعل الشيخ رحمه الله ، ومثل هذا الفيض يحفز همم الدارسين الإعلاميين المسلمين لمواصلة البحث في هذا المصدر الكريم غوصاً وراء درر المعاني الإعلامية نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعل لنا من ذلك حظاً وافراً ونصيباً كبيراً .

---

(٢) النبوات، ص ٢٢٢ ، مكتبة الرياض الحديثة ، مرجع سابق

الموضوع الخامس : رأيه في الحرية الإعلامية

المتصل بقضية الإعلام سواء في مجال الدراسات النظرية أو في المجال التطبيقي يدرك أهمية الحرية الإعلامية في بناء النظم الإعلامية على مستوى العالم اليوم ، وأن الاختلافات الجوهرية بين النظم الإعلامية المطبقة اليوم في العالم سببها الحقيقي هو الاختلاف في مفهوم الحرية الإعلامية المرتبط في حقيقة الأمر بالنظرة إلى الإنسان (١) بحيث يؤدي الاختلاف في المفهوم إلى الاختلاف في طبيعة الضوابط التي تشكل في مجموعها نظام الإعلام، ومن ثم فإن نظام الإعلام تتحدد أبعاده وملامحه بمفهوم الحرية الإعلامية (٢) . التي تتركز حول حرية الحصول على المعلومات ، وحرية التفكير فيها ، وحرية التعبير عنها ، وحرية إعلانها ونشرها بين الناس ، باعتبار أن الفائدة من الإعلام لاتتحقق إلا بتيسير حصول الناس على الحقائق الثابتة ، والمعلومات الصحيحة ، والآراء السديدة ، حتى يكونوا قادرين على اتخاذ القرارات المناسبة ، وتبني المواقف المسئولة من مستجدات الحياة، وهو مالايمكن حصوله في ظل حجب الحقائق والمعلومات ، أو في ظل تزييفها أو تلوينها ، وهنا تكمن أهمية الحرية الإعلامية في الممارسة الإعلامية . وما يعنينا في هذا الأمر حقيقة هو الأساس الذي قامت عليه الحرية الإعلامية في الإسلام ، وطبيعة هذه الحرية حتى نستطيع سبر غور مافي فكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مفهوم الحرية الإعلامية .

---

(١) انظر الحرية الإعلامية ، د. سعيد علي ثابت ، ص ٣٢ ـ ٦٢ ، دار عالم الكتب بالرياض ، ط١ عام ١٤١٢ هـ.

(٢) انظر أصول محاضرات للمؤلف في مادة الأنظمة الإعلامية في المستوى الجامعي بقسم الإعلام بكلية الدعوة والإعلام بالرياض .

فالحرية الإعلامية في الإسلام أمر مرتبط بكينونة الإنسان وكرامته، وهي منحة من الله جل جلاله، وهي جزء من الحرية الحقة للإنسان المتمثلة في التخلص من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى، وبذلك يتخلص الإنسان من الخضوع لكافة الضغوط التي تحول بينه وبين حرية الإرادة وحرية الاختيار حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد له فطرة واضطراراً (١) «وهي لاتتناقض مع الالتزام بما أوجبه الشرع لأنها نهوض القلب في طلب الحق ولايكون ذلك إلا في ظل هداية الوحي» (٢).

وطبيعة الالتزام المميزة للحرية الإعلامية في الإعلام الإسلامي هي التي أحسن التعبير عنها الإمام السخاوي في قوله «الإسلام أعطى الإنسان الحرية وقيدها بالفضيلة حتى لاينحرف، وبالعدل حتى لايجور، وبالحق حتى لاينزلق مع الهوى، وبالخير والإيثار حتى لاتستبد به الأنانية، وبالبعد به عن الضرر حتى لاتستشري فيه غرائز الشر» (٣) ومعنى ذلك أن الحرية الإعلامية في الإسلام مرتبطة بالغاية من وجود الإنسان، ومنضبطة بضوابط حركة تحقيق هذه الغاية، التي حددها السخاوي رحمه الله في عبارة وجيزة استناداً إلى أن البشر إنما خلقوا لعبادة الله وحده لاشريك له ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (٤)، ومتطلبات تلك الغاية اتصاف الإنسان بحرية الإرادة والاختيار، ومن هنا وجدنا التلازم في النظرة الإسلامية للإعلام، بين مصادر الإعلام، ومبادئه، وغاياته ووظائفه وطبيعة الضوابط التي تحكم

---

(١) انظر الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام، ص ٤ ، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، المدرك نفسه.

(٣) المقاصد الحسنة ، نقلاً عن أصول محاضرات للمؤلف في منهج الإعلام الإسلامي لطلاب الدراسات العليا في كلية الدعوة والإعلام بالرياض عام ١٤٠٦ هـ.

(٤) سورة الذاريات، الآية ٥٦ .

مسيرته (١) (حدود الحرية الإعلامية) «واستناداً إلىٰ ماسبق فإن الممارسة الإعلامية لابد أن تصدر عن مبادئ أساسية تفرضها طبيعة الحق هي : ـ العقيدة الصحيحة . العلم، الخلق، الرحمة، الجمال، المحافظة علىٰ مصلحة الجماعة وأمنها واستقرارها، ومراعاة حالة النفس البشرية والالتزام بمقاصد الشرع الحنيف وأحكامه، وهذه المبادئ التي تقتضيها طبيعة الحق وتفرضها هي عينها المبادئ التي تقتضيها غاية الغايات عند المسلمين (تحقيق العبودية لله) فالإنسان الذي تخلص من العبودية لغير الله لابد أن يكون متصفاً بصفات مماثلة لمقتضيات الحق الذي حقق له الحرية والكرامة والعزة وأسباب الأمن والاستقرار، وهذه المبادئ إلىٰ جانب كونها تحدد خصائص المادة الإعلامية التي ينبغي أن تقدم من خلال الوسائل الإعلامية في العالم الإسلامي . فإنها في حقيقة الأمر معايير وضوابط بها تحكم الممارسة الإعلامية كذلك» (٢).

هذا في الجملة هو خلاصة مفهوم الحرية الإعلامية في الإسلام من حيث الحقيقة، والمحددات، والضوابط، وهذا مانريد البحث عنه في فكر ابن تيمية لنرىٰ ماإذا كان يتفق معه أو يختلف، ولابد من الإشارة إلىٰ أن طرح هذه القضية في فكر ابن تيمية لم يكن يتناول الحرية الإعلامية بصورة مباشرة، وإنما تركز حول مفهوم الحرية عموماً، وصلته بالحياة في نظر المسلمين التي يمثل الإعلام أحد جوانبها المهمة مما يعني إمكانية سحبه علىٰ الإعلام دون أن يكون ذلك تعدياً أولياً لأعناق نصوص إنتاج الشيخ الفكري

---

(١) انظر البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، ص ٢٦، مرجع سابق وانظر الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام، ص ١١٦ ـ ١٥٣ مرجع سابق.

(٢) البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، ص ٢٧ ، ٢٨ ، مرجع سابق.

وفي مقدمة النصوص التي نعتمد عليها في تحديد رأي الشيخ في الحرية الإعلامية تفريقاً عن رأيه في الحرية مطلقاً قوله «فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس» (١) وقوله «الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته مما استرق القلب واستعبده، فالقلب عبده» (٢) فالشيخ بالنصين السابقين يبلغ أعماق الحقيقة النفسية فيما يتعلق بالحرية، كما يبلغ الآفاق الاجتماعية للحرية عندما يتحدث عن بعض مظاهر العبودية لغير الله حيث يقول «وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض، قلبه رقيق لمن يعينه عليها ولو كان في الظاهر مقدمهم المطاع فيهم، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم، فيبذل لهم الأموال والولايات، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه فهو في الظاهر رب مطاع وفي الحقيقة عبد مطيع» (٣) وهذا لعمر الله معنى غاية في الدقة، وغاية في الصدق والعمق.

والعبودية التي هي كمال المحبة مع كمال الخضوع والتذلل(٤) لاتنبغي إلا لله جل جلاله، «وكلما ازداد القلب حبا لله، ازداد له عبودية وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه (٥) «إن القلب فقير إلى الله من جهتين، من جهة العبادة وهي الصلة الغائبة ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي الصلة الفاعلة، ففيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هومعبوده ومحبوبه، ومطلوبه» (٦) وإذا كان الشيخ قد بلغ فيما مضى آفاق الحقيقة النفسية

---

(١) العبودية، ص ٧، المكتب الإسلامي.
(٢) المرجع السابق، ص ٨.
(٣) المرجع السابق، ص ٧.
(٤) المرجع نفسه، ص ٦.
(٥) المرجع السابق، ص ٨.
(٦) المرجع السابق، ص ٩.

والاجتماعية في ما يتعلق بقضية الحرية عموما وتتفرع حرية الإعلام بالضرورة، فإنه بالنص السابق قد بلغ آفاق الحقيقة الدينية كذلك في الموضوع نفسه .

ويدور بحث الشيخ في الإنسان عموما حول محورين أساسيين قضية الحرية في العقيدة، ومدى توازي أو تعارض المشيئة الإلهية مع الإرادة الإنسانية، وقضية الحرية الاجتماعية وبناء الشخصية الاجتماعية، كما رسمها القرآن» (١) .

«إن احتفاظ الإنسان بمشيئة فردية خلقها الله له هي كما صورها ابن تيمية تعني حرية الإنسان في مقابل التكليف الإلهي، ، ومايعقبه من ثواب أو عقاب، وارتباط هذه المشيئة المخلوقة في نظر الشيخ المفكر بمشيئة الله المطلقة في الكون، هو الإنسان بالقدرة الإلهية والعدالة المطلقة، ولكن ماهو مصير هذه المشيئة في المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد . إنه يرى أن (كل بني آدم لاتتم مصلحتهم لافي الدنيا ولافي الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال الإنسان مدني بالطبع) إذاً فإن حرية الفرد التي كفلها للإنسان العدل الإلهي بالضرورة تعيش في وسط اجتماعي تتعارض فيه المصالح، وتتنازعه الأهواء مما يجعل هذه الحرية الفردية هدفاً للسلب أو للقهر من الجماعة التي تعيش في إطار تنظيم سياسي يعرف بالدولة» (٢). «لقد علم ابن تيمية من دراساته العميقة للقرآن أن توازناً دقيقاً ينبغي أن يقوم على أساس العدل

---

(١) انظر أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية ، ص ١٦٢ ، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، استناداً إلى كلام الشيخ في الحسبة في الإسلام ص٤ .

الاجتماعي للحفاظ على الحرية الفردية في إطار حرية الجماعة فلا تطغى حرية الفرد على حرية الجماعة، ولاتقهر حرية الجماعة حرية الفرد» (١) إن حرية الفرد عند ابن تيمية ترتبط بالمشيئة الإلهية من جانب، ثم هي ترتبط من جانب آخر بحرية الجماعة وعلاقتها بالوالي أو الحاكم الذي يملك القدرة والسيف ليكون أساساً قادراً على إعلاء كلمة الحق وأن يكون الدين كله لله » (٢) «لذلك كانت طاعة ولي الأمر عند ابن تيمية ليست مطلقة، ولكن مقيدة، فهي واجبة مادام قائماً على تنفيذ كتاب الله وهو مظهر من مظاهر الحرية السياسية التي جعلها ابن تيمية محوراً أساسياً لنمو العدالة الاجتماعية» (٣).

وابن تيمية وهو يتناول قضية حرية الإنسان يرفض رأي الجبرية كما يرفض رأي المعتزلة، ويثبت أن الإنسان فاعل على الحقيقة وله مشيئة وإرادة ثابتة جازمة، وله أيضاً القدرة أو القوة الصالحة كما تنطق بذلك آيات القرآن، ومن ثم فهو يفرق بين الأفعال الاختيارية والأفعال الاضطرارية، فالأولى تعبر عن إرادة ومشيئة واختيار يتأثر بها الإنسان، وتورثه أخلاقاً وأحوالا بخلاف الثانية» (٤) «وعلى هذا التصور تكون الإرادة الحرة والقدرة الفاعلة المؤثرة من الصفات والخصائص التي جبل عليها الإنسان والتي يتميز بها» (٥)، ويلح ابن تيمية على أن يكون كل من الفعل والترك معتمداً على عناصر المعرفة بخيرية الفعل، وشريته، وضرورة توفر الإرادة والقصد، وأن

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٦، استناداً إلى آراء الشيخ في السياسة الشرعية الواردة في ص ١٣.

(٤) انظر النظرية الخلقية عند ابن تيمية ص ٢٦٢، ٢٦٣، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٧١.

يكون السلوك قد تم بناءً على رغبة حرة لا أثر فيها للجبر أو الاضطرار » (١) وعلى هذا فأسس الالتزام عند الشيخ رحمه الله كما يمكن استخلاصها من إنتاجه الفكري هي المعرفة، والإرادة، والقدرة، والحرية، ومصدرها الإيمان والعقل (٢) وهي كلها من أسس الحرية الإعلامية كما يراها الدارسون الإعلاميون المسلمون (٣)، وقد خلق الله للإنسان مشيئة بها يستكمل حريته في الاختيار غير أنها مقيدة بمشيئة الله سبحانه وتعالى (**لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**) (٤)، وحرية الاختيار من مستلزماتها في الجانب الإعلامي إرادة البيان (٥) ومالم يكن الإنسان حرا مريدا للبيان قادراً عليه، فلن يكون فاعلاً في الإعلام. وابن تيمية وهو إمام سلفي قد قدم من خلال ماعرض عن نظرته للحرية الإنسانية وبواعثها الخلقية رؤية تمثل أساساً صلباً للحرية الإعلامية حيث يتجلى دور الإرادة الحرة في القيام بأعمال إعلامية تتسم بالخير والدعوة إليه، وتقاوم الشر وتدفعه (٦) كما تتسم تلك الرؤية بالوضوح والشمول والعمق (٧) حيث لم تقتصر على بعد واحد من أبعاد الحرية الإعلامية بل شملت كافة أبعادها من حيث أسسها وطبيعتها وضوابطها، بل وآثارها وذلك من خلال التفريع على نظرته للحرية الإنسانية في أصلها .

---

(١) المرجع السابق، ص ٣١٠.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٧ .

(٣) انظر الحرية الإعلامية في ضوء الإسلام، ص ٧١ ـ ١١٢، مرجع سابق .

(٤) سورة التكوير الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .

(٥) انظر جامع الرسائل لابن تيمية ، ص ٧٧، تحقيق د. محمد رشاد سالم

(٦) انظر النظرية الخلقية عند ابن تيمية، د. محمد عبد الله عفيفي، ط ١ عام ١٤٠٨ هـ مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية، ص ١٣ .

(٧) انظر المرجع نفسه، ص ٢٣٨، ٣٢٩.

الموضوع السادس : رأيه في قضية المنهج في الإعلام

قضية المنهج من القضايا المهمة في أي علم من العلوم، وهي في العلوم الإنسانية والاجتماعية أكثر أهمية لتشعب المسالك في هذه العلوم، وكثرة الأهواء، وسعة دائرة الاجتهاد، ونحن نقصد بقضية المنهج في الإعلام أمرين مهمين معاً، هما المنهج العلمي في الجانب النظري من هذا العلم وهو تحديد السبل الموصلة إلى حقائقه بحيث يصح التوسل به إلى عبادة الله باعتباره علماً من العلوم الإنسانية والاجتماعية شديدة الصلة بالحياة، وشديدة الصلة بعالم الأفكار، وباعتبار أن القرآن الكريم أرشدنا إلى مناهج بها يوصل إلى الإبلاغ بالعلم اليقيني والإعلام بالحق المبين (١) .

والجانب الثاني هو المتعلق بالتطبيق، وهو ماأشار إليه الشيخ زين العابدين الركابي في تعريفه لمنهج الإعلام الإسلامي حيث ركز على أهمية القواعد العلمية المتبعة باضطراد في استقاء المعلومات وتحليلها وتفسيرها من منظور إسلامي . (٢) أي أن العملية الإعلامية لاتقوم كيفما اتفق، ولكنها تخضع في مراحل التنفيذ لأسلوب تنفيذي أو طريقة في الطرح هي مايمكن أن يطلق عليه المنهج الإعلامي في التطبيق، أو المذهب الإعلامي في الأداء وكلا الأمرين في نظري مهم، ففي المجال البحثي التنظيري نحن بحاجة إلى مناهج تناسب حقائق هذا العلم . قوامها الكشف عن سنن الله في الحياة البشرية، ومايمكن من معرفة الواقع وكيفية الاستثمار الأمثل للحقائق في الجانبين بما يؤدي إلى رقي هذا العلم وازدهاره (٣) وفي المجال التطبيقي نحن كذلك بحاجة إلى تبني منهج في الطرح الإعلامي ينسجم مع شخصيتنا

---

(١) انظر نحو منهجية إسلامية للعلوم الإنسانية والاجتماعية ص ١٤ ، ٢١ ، ٢٣ ، مرجع سابق .

(٢) أصول محاضرات في منهج الإعلام الإسلامي .

(٣) انظر نحو منهجية إسلامية ، ص ٤٦ ، مرجع سابق .

وكينونتنا المتميزة، وكلاهما في حقيقة الأمر مرتبط بالآخر، بل لا أعدو الحقيقة إذا قلت بأن الثاني ثمرة للأول، فالتميز الفكري يثمر ممارسة عملية متميزة وسنقف في تناولنا لقضية المنهج في الإعلام في فكر الشيخ حول الأمور المتعلقة بهذين الأمرين أي مايتعلق بالمعايير التي تضبط السلوك الفكري في قضية الإعلام، أو تحدد طرائق التفكير المثلى في الإعلام، والطرائق المتعلقة بالأداء من مثل منهج رواية الأخبار، وأساليب معالجتها، وأول مايطالعنا في الشق الأول وهو المنهج الفكري التوجه الفريد للشيخ فيما يتعلق برفض أي لون من ألوان التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح باعتبارهما أداة واحدة للوصول للحقيقة. (١) وإذا تعارض النقل والعقل إما أن يريد به القطعيين فلا نسلم إمكان التعارض حينئذ، وإما أن يريد به الظنيين فالمقدم هو الراجح مطلقاً، وإما أن يريد به أحدهما قطعي، فالقطعي هو المقدم مطلقاً وإذا قدر أن العقل هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً، لا لكونه عقليا، فعلم أن تقديم العقلي مطلقا خطأ، كما أن جعله جهة الترجيح كونه عقليا خطأ، وإذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به والشرع لم يصدق العقل في كل ماأخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل مايخبر به العقل. إن هناك حقيقتين إحداهما شرعية أخبر بها الشارع الصادق، وصدقها كامن في ذاتها، فهو مطلق كما تتوالى الأيام والسنون والقرون في إثبات صدقه في الأعيان بعد أن كان في الأذهان، فحقائق الشرع ثابتة، صدقها يظهر على مر الأيام والسنين والقرون، والحقيقة الثانية عقلية أدى إليها اجتهاد العقل فهي لذلك نسبية الصدق. (٢) «ومن المعلوم بعد كمال النظر واستيفائه أن كل من

---

(١) انظر أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص ٧، ٨، مرجع سابق.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٨.

كان إلىٰ السنة وإلىٰ طريقة الأنبياء أقرب، كان كلامه في الإلهيات بالطرق العقلية أصح، كما أن كلامه بالطرق النقلية أصح لأن دلائل الحق وبراهينه تتعاون وتتعاضد، لاتتناقض وتتعارض» (١) «إن الإقرار والاعتراف بالخالق فطري وضروري في نفوس الناس، وإن كان بعض الناس قد يحصل له مايفسد فطرته حتىٰ يحتاج إلىٰ نظر تحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظارة، إن المعرفة تحصل بالضرورة، وتارة تحصل بالنظر» (٢) وبذلك يمكن تحديد اختصاص العقل وحدوده، وتلمس شرائط كل معرفة عقلية، وينحصر الهدف في البحث عن القيمة الحقيقة للأفكار والأحكام والتصورات (٣) وهو يرىٰ أن القرآن الكريم يستعمل الاستدلال بالآيات، ويستعمل أيضاً في إثبات الإلهية قياس الأولىٰ إذ هما الطريقان الوحيدان الصحيحان للبرهنة في أهم وأخطر مسائل الفكر الإنساني. (٤) وقد كانت طريقة الأنبياء هي الاستدلال علىٰ الرب تعالىٰ بذكر آياته، لقد استعمل الأنبياء قياس الأولىٰ، ولم يستعملوا قياس شمول يستوي أفراده، ولاقياس تمثيل محض» (٥) «فإذا كان القرآن هو الميزان الذي أنزله الله لنفرق به بين الحق والباطل، وكان مفهوم الميزان هو مايعرف به تماثل المتماثلات من الصفات، وكذلك مايعرف به اختلاف المختلفات، فإننا من خلال البحث في القرآن، وبمنهج القرآن نستدل علىٰ أهم وأخطر قضايا الفكر الإنساني بأيسر

---

(١) درء تعارض النقل مع العقل، ٦/ ٢٤٨ نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٢٥٥، مرجع سابق.

(٢) الفتاوىٰ، ١٦/ ٣١٨ نقلاً عن المرجع السابق المدرك نفسه.

(٣) انظر أثر القرآن في منهج التفكير النقدي لابن تيمية ٧، ٨ مرجع سابق.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٥) الرد علىٰ المنطقيين، ص ٢٠١ نقلا عن المرجع السابق، ص ١٤٤.

وأصح الأدلة» (١) إقرأ كلام الشيخ في معرض بيان بطلان دعوىٰ التعارض بين العقل والنقل «حقيقة قول هؤلاء الذين يجوزون أن تعارض النصوص الإلهية والنبوية بما يناقضها من آراء الرجال، أن لايجنح بالقرآن والحديث علىٰ شيء من المسائل العلمية، بل ولايستفاد التصديق بشيء من أخبار الله ورسوله فإنه إذا جاز أن يكون فيما أخبر الله به ورسوله في الكتاب والسنة أخبار يعارضها صريح العقل، ويجب تقديمه عليها من غير بيان من الله ورسوله الذي يطابق مدلول العقل ولا لمعاني تلك الأخبار المناقضة لصريح العقل، فالإنسان لايخلو من حالين وذلك لأن الإنسان إذا سمع خطاب الله الذي يخبر فيه عن الغيب، فإما أن يقدر أن له رأيا مخالفا للنص، أو ليس له رأي يخالفه، فإن كان عنده مما يسميه معقولا مايناقض خبر الله ورسوله، وكان معقوله هو المقدم، قدم معقوله وألغىٰ خبر الله ورسوله، وكان حينئذ كل من اقتضىٰ عقله مناقضة خبر من أخبار الله ورسوله، قدم عقله علىٰ خبر الله ورسوله، ولم يكن مستدلا بما أخبر الله به ورسوله له علىٰ ثبوت مخبره، بل ولم يستفد من خبر الله ورسوله فائدة علمية، بل غايته . . أن يستفيد إتعاب قلبه فيما يحتمله ذلك اللفظ من المعاني التي لايدل عليها الخطاب إلا دلالة بعيدة ليصرف إليه اللفظ ومعلوم أن المقصود بالخطاب الإفهام، وهذا لم يستفد من الخطاب الإفهام» (٢) .

وطرق العلم في نظر الشيخ متعددة وكثيرة، ويمكن إجمالها في ثلاثة، الحس، والباطن، والظاهر، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها، والاعتبار بالنظر والقياس، وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس، فما أفاده الحس، معيناً يفيده العقل والقياس مطلقا، فهو لايفيد بنفسه علم شيء

---

(١) أثر القرآن علىٰ منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٥/ ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، مرجع سابق

معين، لكن يجعل الخاص عاما، والمعين مطلقا، فإن الكليات إنما تعلم بالعقل، كما أن المعينات بالإحساس والثالث الخبر، والخبر يتناول الكليات والمعينات والشاهد والغائب، فهو أعم وأشمل، لكن الحس والبيان أتم وأكمل.. وعلى هذا فالطرق ثلاثة، الحس والعقل والمركب منهما كالخبر، والحسيات والمتواترات والمجربات يمكن أن تكون دليلا ومصدرا من مصادر المعرفة ولايفرق بينها (١) والدليل الشرعي قد يكون سمعيا وقد يكون عقليا، فإن كون الدليل شرعيا يراد به :

أ ـ كون الشرع أثبته ودل عليه .

ب ـ كون الشرع أباحه وأذن فيه .

فالأدلة قد تكون حسية، وقد تكون عقلية، وقد تكون شرعية، وكلها صادقة لأن الكل من عند الله» (٢) وهو يلح على هذا المعنى مما يجعل كل من يتصل بفكره يتجه هذه الوجهة لمكانتها وأهميتها خاصة في مناهج العلوم الإنسانية، بل وخاصة الإعلام الذي لاينفك عن الحياة البشرية وحركتها وتطورها، ومن ثم فهو بحاجة إلى المناهج التي تمكنه من خوض غمار الحياة في ثقة واطمئنان وهذا ماتحققه وجهة نظر الشيخ هذه «والواقع أن مصادر المعرفة ووسائلها ليست قاصرة على المنهج العقلي، وهناك وسائل الإخبار والنقل والاستدلال التي بها يعلم كثير من الناس كثيراً من الحقائق، ولكل هذه الوسائل طريقتها الخاصة في المعرفة، فلهذا كان لأصل النظر العقلي طرق لايعرفها أهل الأخبار، ولأهل الأخبار السمعية طرق لاتعرف بمجرد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٧/ ٣١٥ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧، مرجع سابق.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٢٦٩، ٢٧١، مرجع سابق.

العقول، وهكذا سائر العلوم شرعية ودينية أو تجريبية» وعلى هذا فكل طريقة صحيحة عقلاً يمكن أن تفيد، وفائدة الناس تختلف على حسب حالهم، وزمانهم ومعارفهم. (١) وصحة المنهج والفكر وسلامته لاتقاس بتأثيره، ولاآثاره ولايكون حصول التأثير الكبير دليل قبول المنهج والفكر، وإنما المقياس هو أن يكون موافقاً للكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح حتى ولو لم يكن له أي تأثير، وأصدق الأدلة على ذلك دعوات الأنبياء عليهم السلام» (٢) وعلى هذا الأساس اعتماد دعوات الرسل عليهم السلام) وجدناه «المنهج التاريخي المقارن، وهذا المنهج من أحسن المناهج التي أثبتت بنتائج هامة لعلماء الدراسات والعلوم الإنسانية إذ أن التاريخ بمثابة المعمل في مجال العلوم الإنسانية يخضع فيه كل شيء للدراسة والتحليل، بعد أن ثبتت على صفحاته المقدمات والنتائج معا، فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أَحَدَّ وَأَسَدَّ عقلا، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ماناله غيرهم في قرون وأجيال وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه» (٣).

«ومعنى هذا أن نظام الأسباب والحكم التي ترتبط بنظام الكون يخضع لقوانين أو نواميس تتسم بالعدالة المطلقة، كما تخلو من أي لون من ألوان الظلم، ومن ثم فليس من السنن الكونية التفرقة بين المتماثلين أو التسوية بين المختلفين، وعلى هذا فالخير ليس كالشر، والظلم لايتفق مع العدل،

(١) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص ١٤٥، ١٤٢٦، مرجع سابق.

(٢) منهاج السنة ٨/ ٨٧ نقلا عن المرجع السابق، ص ٨٢٣.

(٣) أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص ٨٣، مرجع سابق.

وهكذا، ومعنى هذا أيضاً أن السنن الكونية التي أقام الله عليها نظام الكون تقتضي التفرقة بين أهل الحق والباطل وأهل الطاعة وأهل المعصية وأهل البر وأهل الفجور، وأهل الهدى والضلال، وأهل الصدق والكذب» (١) واستنادا إلى ماسبق نجد الشيخ قد بنى منهجه في المعرفة والاستدلال على أمور كثيرة منها :

١ ـ نقض أصول الاستدلال الفلسفية ومناهجهامن خلال :

أ) نقض أصول الفلسفة وأهدافها العليا

ب) نقض المنطق اليوناني

جـ) بيان بطلان المناهج الفلسفية والصوفية (المنطق، والقياس، الفيوضات)

د) تصحيح خطأ وقعوا فيه حيث جعلوا عدم علمهم بشيء دليلاً على عدمه، والصواب عدم العلم ليس علما بالعدم .

هـ) بيان شبهة أفسدت عليهم منهجهم وهي اشتباه مافي الأذهان بما في الأعيان .

٢ ـ تحديد المنهج الصحيح للمعرفة والاستدلال من خلال تركيزه على الطرق التي يحصل بها العلم حيث يقول «وطرق العلم ثلاثة (الحس، والعقل، والمركب منهما كالخبر) » . (٢) وقد أفاض في الحديث عن كل طريق من هذه الطرق، ، ونحن نذكر من حديثه مايقتضيه المقام في كل طريق .

---

(١) النظرية الخلقية ، ص ٢٤٥ ، مرجع سابق.

(٢) الدرء ١ / ١٧٨ ، نقلا عن منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص ١٥٨ .

أ ـ الخبر، وقد قامت الأدلة اليقينية على نبوات الأنبياء، وأنهم قد يعلمون بالخبر مالايعلم إلابه ، وكذلك يعلمون غيرهم بخبرهم، ونفس النبوة تتضمن الخبر لأنها مشتقة من الإنباء وهو الإخبار بالغيب، والخبر الثابت نقله، الثابت صدقه يقبل حتى ولو كان من الكفار (١) كالأخبار المتواترة عن حوادث الأمم، وأيامها وعن وقائع الأزمنة والدهور يجمع عليها من غير تواطؤ .

ب ـ دليل الآيات حيث إن هناك معرفة بالله موجودة في الفطرة فلما رأت وعلمت الآيات علمت أن هذه الآيات له ودليل عليه ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين** ﴾ .

ج ـ قياس الأولى وهو من الأدلة القرآنية النبوية ﴿ **لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ .

د ـ دلالة الميزان إذ أن الميزان العقلي الذي أنزله الله هو الأقيسة الصحيحة المتضمنة التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين .

هـ ـ الاستدلال بالكتاب والسنة بتقديم النصوص على غيرها، والتثبت منها، والتأكد من دلالتها على المراد، والنظرة الشمولية لها عند الاستدلال، مع الاستدلال بما نقل عن السلف الصالح . (٢)

وهو منهج غاية في الدقة والإحكام يؤدي اتباعه في علم الإعلام وغيره من العلوم التي تتطلبها حياة المسلمين إلى أقصى مايطمح إليه في أغراض

---

(١) هذا الرأي يتيح فرصة ثمينة للاستفادة من أخبار وكالات الأنباء الكافرة ويزيل كثيراً من الحرج عن الذي يضطرون لذلك، ولكنه لايعني الاعتماد عليها .

(٢) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، ص، ١٥٨، ١٥٩ ، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٣-٢٠٠، مرجع سابق .

البحث في هذا الفرع من المعرفة، ومع أن الشيخ قد أحكم منهجه في المعرفة والاستدلال، فإنه لاينسى أن يخص الذين قد يختلفون معه في هذا المنهج بنصيب وافر من الرد لما تصوره حججا قد يثيرونها اعتراضاً على منهجه من ذلك قوله «ونحن نبين فساد طريق هؤلاء بالطرق الإيمانية القرآنية تارة وبالأدلة التي يمكن أن يعقلها من لايستدل بالقرآن والإيمان وذلك لأنا في مقام المخاطبة لمن يقر بأن ماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم حق، ولكن قد يعارض ماجاء عنه عقليات يجب تقديمها عليه» (١) ومعلوم أنه لاخلاف في عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ، وهي معلومة بالسمع والعقل «ومقصود التبليغ تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، فمن كان من أصله أن الأدلة السمعية لاتفيد اليقين أو أنه يقدم رأيه أو ذوقه على خبر الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينتفع بإثبات عصمته المتفق عليها» (٢) وقوله «فدعواه أن دلالة القرآن والأخبار على ذلك ليست قطعية يخالفه في هذه الدعوى أئمة السلف، وأهل الحديث والفقه والتصوف وطوائف من أهل الكلام من أصحابه وغيرهم، فإن عندهم دلالة النصوص على ذلك قطعية، وأما الأخبار فأكثر أصحابه أنها إذا تلقيت بالقبول أفادت الغلم» (٣) وقوله «إذا وجب الاعتراف بأن من العلوم الكلية مايبتدئ في النفوس ويبديها بلاقياس، وجب الجزم بأن العلوم الكلية العقلية قد تستغني عن القياس وهذا مما اعترفوا به هم وجميع بني آدم: أن من التصور والتصديق ماهو بديهي لايحتاج إلى كسب بالحد والقياس» (٤) ومنها قوله

---

(١) الدرء ٥/ ٢٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٨٥.

(٣) نقض التأسيس المطبوع، ٢/ ٨٦ نقلا عن موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة ص ٩٢٧، مرجع سابق.

(٤) نقض المنطق، ص ٢٠٧، نقلا عن أثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية هامش ١ ص١٣٨

«وليس الأمر كما توهموا بل لم يفهموا كلام هؤلاء، فإن هذا الظن ليس هو عندهم دليل العلم بوجوب العلم به، ولامقدمة من مقدمات دليله، ولكنهم يقولون قامت الأدلة القطعية من النصوص والإجماع مثلا على وجوب العلم بالظن الحاصل عن خبر الواحد والقياس، وذلك العلم حصل بأدلته المفيدة له، ولم يحصل بهذا الظن ولامقدماته» (١).

ولاننسى ونحن في معرض الحديث عن منهج التفكير عند شيخ الإسلام ابن تيمية أن نشير إلى أمرين الأمر الأول هو أن الشيخ كان يفكر بلغة القرآن، وكان يضعنا أمام فئتين من الألفاظ التي نتعامل معها حين نفكر: الفئة الواضحة التي كثر استعمالها في القرآن وكانت العرب في عهد السلف يعرفونها، وفئة غامضة معقدة كثر استخدامها لدى الفلاسفة والمنطقيين، ويقرر أن القرآن هو الحكم في الفئتين وهو لايفرق بينهما باعتبارهما دلالات لغوية، ولكنه يؤكد على أهمية معرفة معاني الألفاظ المستخدمة في الكتاب والسنة، ومعرفة معاني الألفاظ التي يستخدمها الفلاسفة، ثم اعتبار هذه المعاني بهذه المعاني ليظهر الموافق والمخالف. (٢) والأمر الثاني هو أن القارئ لأقوال الشيخ المستشهد بها في قضية المنهج في الإعلام يلاحظ أنها لم تكن خاصة بهذا المنهج ولكنها شاملة للعلوم كلها تحت مظلة العلم الشرعي، وهذا ماجعل من الممكن استثمارها لصالح قضية المنهج في الإعلام. بل وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية عموماً.

ومــاورد في فكر الشيخ بشأن المناهج الموصلة للحقائق في العلوم الاجتماعية والإنسانية يلتقي مع وجهات من تتبعوا قضية مناهج هذه العلوم

(١) الاستقامة، ص ٥٢، مرجع سابق.

(٢) انظرأثر القرآن في منهج التفكير النقدي عند ابن تيمية، ص ٨١، ٨٢، مرجع سابق.

عند المسلمين ذلك «أن منهجنا في البحث العلمي منهج لايضاهيه منهج في إحكام حركة العقل، وسيره في طريق البحث العلمي الرصين، لقيام ذلك المنهج على الوحي في نفسه، وفي توجيهه لبقية مصادر المعرفة، مما حقق للعقل حرية الحركة، وخلصه من بنيات الطريق من الظنون والأوهام والخرافات وعصمه من الزيغ والضلال، ووظفه للرشد والصلاح، حيث يتعانق العقل والنقل ويتعاضدان في تكاتف لاتنفصل فيه أحكام الواقع عن القيمة، ولاتنعزل فيه الحركة عن الخبرة البشرية بل هي استثمار لها وفق معايير الرد والقبول الإسلامية في بناء نسق علمي متكامل يحوي ماصمد للنقد من نتائج العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، وماتوصل إليه استخلاصاً واستنباطاً من المصادر الشرعية في موضوعات تلك العلوم» (١) وهو صورة من صور التأصيل الإسلامي لتلك العلوم الذي تتعالى الأصوات منادية به الآن تحت وطأة خروج تلك العلوم في بناءاتها الحديثة عنه، وهو تأكيد لما سبق أن انتهت إليه لجنة تأصيل العلوم إسلاميا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حول مفهوم التأصيل لتلك العلوم، ونصه «التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية هو إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم من خلال جمعها واستنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية، وضوابطها العامة، ودراسة موضوعات هذه العلوم دراسة تقوم على الأسس السابقة، وتستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم من نتائج ونظريات وآراء لاتتعارض مع تلك الأسس» (٢) وذلك مايؤكد أن الاقتراب من الكتاب والسنة في العلوم الاجتماعية يؤدي إلى الاهتداء والاستقامة والنأي عن الزيغ والالتياث، ذلك أن العقل المهتدي

---

(١) نحو منهجية إسلامية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ص ٤٤، ١٤٥، مرجع سابق.

(٢) نحو تأصيل للدراسات الاتصالية، ص ٦، مرجع سابق.

يوفق دوما إلى الحق، والعلوم الاجتماعية من الأمور المختلف فيها، والله يهدي الذين آمنوا إلى الحق فيها» (١).

وهو يلتقي أيضاً مع توجه لجنة التأصيل سالفة الذكر فيما يتعلق بالتعامل مع الثقافات الجديدة بمعايير إسلامية للرفض والقبول من حيث ضرورة صدور الجهد البشري في تلك العلوم في الغاية والمضمون عن أصول الإسلام، ومقاصده، وأحكامه ومن حيث اجتلاء مقاييس التأصيل ومعاييره ومفاهيمه من الكتاب والسنة، واستصحاب التراث العلمي المفيد، وانتقاء المفيد النافع ودمجه في المفهوم الإسلامي لهذه العلوم ونفي الضار شريطة أن يكون النص مسببا علميا حتى لايقع جهد التأصيل في خطأ الجزم بلا علم، وخطيئة الرفض بلا هدى، وعلى ذلك يكون التعامل مع تلك بمنهج علمي ثلاثي المستوى، مستوى الدراسة الوصفية، ومستوى الدراسة التحليلية النقدية ومستوى دراسة التمييز والفرز والانتقاء (٢) ذلك مايتعلق بالشق الأول من قضية المنهج في الإعلام. وإذا كان الاستدلال على الشق الأول من القضية كان من باب الاستدلال من العموم على الخصوص، فإن الأمر في الشق الثاني أوضح في الدلالة على المقصود باعتبار تركيز الشيخ على المعاني الدعوية، وصلة الاتصال الإعلامي الإسلامي بالاتصال الدعوي معلومة مقررة، فهما وجهان لعملة واحدة تقريباً. (٣) وأول مايطالعنا من ذلك قول الشيخ «مع أن المتواتر من أحواله صلى الله عليه وسلم وسيرته أنه كان يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله

---

(١) انظر كتاب التأصيل الذي أصدرته عمادة البحث العلمي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٦ - ١٠.

(٣) انظر نحو تأصيل للدراسات الاتصالية، ص ٨٧ - ٩٠ مرجع سابق.

وهذا منهج رسل الله جميعاً حيث أنهم يأمرون بالغايات المطلوبة من الإيمان بالله ورسله وتقواه، ويذكرون من طرق ذلك وأسبابه ماهو أقوىٰ وأنفع، وأما أهل البدع المخالفون لهم فبالعكس يأمرون بالبدايات والأوائل، وإذا كانت معرفة الله فطرية، والعباد مفطورون علىٰ الإقرار بربهم وخالقهم فالأجدىٰ والأنفع أن يدعو إلىٰ إفراد هذا الرب بالعبادة والطاعة» (١) . ومن هذا المنهج الشمول «فمن ظن أن الهدىٰ والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون علم فقد ضل» (٢) والشمول المقصود هنا هو الشمول في العقيدة، والشمول لأنواع العلوم والمعارف، والشمول للعبادات، وشمولية الاهتمام والمعايشة لأحداث المجتمع، والشمول الميداني والشمول في جمهور المدعوين» (٣) .

ومن منهج الشيخ في الدعوة إلىٰ الله عدم الفصل بين الأقوال والأفعال، ولابين العلم والعمل، ولابين العلم والإرادة ولابين الدين والسياسة، ولابين السلوك والعقيدة استناداً إلىٰ قوله جل جلاله ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾ (٤) وقد أسس الشيخ منهجه في الدعوة علىٰ التوثيق والتدقيق والضبط العلمي والأمانة فيما يكتب وينقل، من خلال خطوات محددة هي الرجوع إلىٰ المصادر المتخصصة في المجال الذي يتناوله، أو الشخص الذي ينقل قوله نصاً وهو مع ذلك يرىٰ أن أمور التشريع تؤخذ بالاستطاعة، ويراعي فيها تحصيل المصالح . (٥) وهو في ذلك

---

(١) الدرء ٨/٦ ، ٧ ، ٢١ نقلاً عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة ص ٩٨٨ ، مرجع سابق.

(٢) منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلىٰ الله، ص ٢٢٢ ، مرجع سابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٢ ـ ٢٧٤ .

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

(٥) انظر المرجع السابق ، ص ٧١٧ـ٧١٩ .

كله متأثر بمنهج المحدثين الذين حرروا القواعد التي وضعوها لقبول الحديث، وهي قواعد هذا الفن، وحققوها بأقصى مافي الوسع الإنساني، واحتياطاً لدينهم فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها وأدقها، حيث أصبح علم الإسناد أساساً لكل العلوم النقلية بحيث يصح وصفه بأنه منطق المنقول وميزان تصحيح الأخبار . (١)

وقد اتصفت دعوة الشيخ بالوضوح والبدء بالأهم، والاهتمام بما يثير الاضطراب بأنواعه، والعلانية، وتحديد الأهداف ووضوحها، والتكرار، والقدرة على تشخيص الأمراض الاجتماعية ومعرفة أسبابها في المجالات الفكرية والقلبية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهي صفات حققها لدعوته شدة صلته بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وملاحظته الشديدة لتجارب الأمم والأوضاع والتقلبات التي مرت بالعالم وخاصة أمة الإسلام» (٢) .

كما قامت دعوته على الموضوعية المتمثلة في مراعاة العوامل الذاتية (الإخلاص، حب الخير للآخرين، حسن الظن بهم) والعدل والإنصاف وذكر محاسن الخصوم، والنظرة الواقعية للإنسان، واعتبار ظروف الزمان والمكان، وتقدير المصلحة والحاجة والضرورة . (٣) وقد استطاع الشيخ بهذه الواقعية والموضوعية أن يقدم دراسة وافية عن الإنسان من جميع جوانبه العقلية والنفسية، وميوله الذاتية والاجتماعية ورغباته، وقدراته، واستجابته لأنواع المؤثرات من حوله وأولى الشيخ قلب الإنسان اهتماماً بالغًا ، وذلك

---

(١) انظر مقدمة محقق كتاب الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لصاحبها أحمد محمد شاكر، ص ٨، ٩ دار الكتب العلمية ببيروت .

(٢) انظر منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله، ص ٢٧٥ ـ ٣٠٣، مرجع سابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٣٠٤ ـ ٤١٥ .

بسبب بروز جانب الإصلاح في دعوة الشيخ وحرصه على تغيير النفوس بالعودة بها إلى منهج السلف» (١) وبسبب إدراك الشيخ إلى أن المقصود بالدعوة هو الإنسان، ومن ثم فلابد من الإحاطة به ومعرفته قدر المستطاع حتى يحقق التعامل الدعوي معه أهدافه المرجوة. (٢)

«والواجب على الدعاة والمصلحين إشاعة مايذكر بالطاعات من محبة الله ورسوله، ومحبة دين الإسلام، وآثاره العظيمة حتى تتحرك قوة داعية النفوس إلى الخير، فتحبه وأهله حتى يكثر وارد الخير عليها وآثاره ومثيراته، والرؤية العملية لسلوكيات الإسلام من أكبر مايحرك النفوس إلى هذه السلوكيات» (٣) ومن منهج الشيخ هذا مايمكن أن يقوم على أنه نظريات في الدعوة إلى الله وحتى في الإعلام الإسلامي من مثل، تقسط الدعوة وتقديم البدائل، وصدع الداعية بالدعوة ومواجهة الناس بها والاستمرار في عملية الدعوة، وإيقاف الدعوة والتذكير عن بعض الناس والاستمرار بالتذكير والإنذار الخاص، وكيفية عرض الطلب والمنع على المدعوين، وغير ذلك من المسائل التي تدخل في هذا الباب» (٤) وخاصة سعة مساحة العمل في الساحة الدعوية، وهو معنى تشتد الحاجة إلى إدراكه اليوم كي تزول أسباب الخلاف ودواعيه، ويحل محلها الوئام والمحبة والتكاتف والتعاون حتى تكون الأمة كلها داعية بحث يحمل كل فرد فيها أو جماعة متناسبة الميول والقدرات نوعاً من الواجبات الإسلامية يتهيأ القيام بها لمن توفرت فيه متطلباتها على

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٥.

(٢) المرجع نفسه والمدرك نفسه.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٨٩.

الوجه الأكمل (١) وقد ركز الشيخ في دعوته على مسألة الاهتمام بالمصالح والمفاسد واعتبار الحاجة والضرورة والموازنة بينهما والأخذ بخير الخيرين وأخف الضررين، وأهون الشرين، وأقل المفسدتين، وهي في منهج الشيخ الدعوي الإصلاحي ذات شأن كبير، كما تركز منهج الشيخ في الدعوة على دعوة الناس إلى العقيدة والعبادة معاً . (٢) وإذا كان الشيخ قد أتى على لباب الأمر فيما يتعلق بالشق الأول من قضية المنهج في الإعلام الإسلامي، فإنه في الشق الثاني قد أتى أيضاً بالعجب العجاب، ولو أننا وضعنا المسائل التي وردت فيما عرض من قبل موضع التنفيذ في اتصالنا الدعوي والإعلامي اليوم لما كنا حيث نحن في هذا المضمار، وقليل والله من الذين يمارسون الدعوة والإعلام من له إلمام لبعض ماورد في ثنايا الشق الثاني من قضية المنهج في الإعلام وأسأل الله أن يمكن لهذا المنهج الدعوي الإعلامي في حياة المسلمين اليوم .

ومن عجب أني كنت قد انتهيت من بحث كلفت به تحت عنوان منهج مقترح لنشر الدعوة في إفريقيا إلى كثير من المسائل التي وردت في كلام الشيخ ولم أكن والله قد اطلعت عليه، ولاعلم لي به قبل إعداد البحث (٣) ، وذلك كله محض فضل الله عليَّ بأن وفقت في ذلك البحث للصواب، ووفقت ثانياً في هذه الدراسة الجديدة في بابها، وأسأل الله جل جلاله أن يجعلها عملاً خالصاً متقبلاً وأن ينفع بها كل من قرأها وأن يهيئ لها أسباب القبول والذيوع حتى تنتفع بها الأمة وخاصة من له صلة بهذا الحقل من المعرفة إنه ولي ذلك والقادرعليه .

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ٣٩٠ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤١٥ .

(٣) انظر الدعوة إلى الله الواقع والأمل (دراسة على إفريقيا) ص ٦٣ ـ ٩٠، ط ١ عام ١٤١٥، نشر دار عالم الكتب بالرياض.

سابعاً : رأيه في آثار الإعلام بالحق

الإعلام نشاط قصدي يستهدف التغيير المعرفي والاتجاهي والسلوكي، ومن هنا كان شأن الذين يسعون لتقويمه الاهتمام بقياس تأثير الإعلام في هذه الأبعاد الثلاثة باعتبار أنها مؤسسة بعضها على بعض، فزيادة المعرفة ينبغي أن يتبعها تغير في الاتجاه الذي يترتب عليه تغير في السلوك، ويظل الهدف النهائي هو التغير في السلوك . (١)

وما من شك في أن المعرفة يحملها الإعلام الإسلامي للناس مما أثبت التاريخ أنه يغير الاتجاهات والسلوك، وما حياة الصحابة رضوان الله عليهم بعد إسلامهم عنا ببعيدة، فقد كانوا شيئا وأصبحوا شيئا آخر، لقد غمر النور جنبات حياتهم، فعم النور أرجاء المعمورة وبدد ظلامها الدامس، وحل الضياء مكانه، فأشرقت الأرض بنور ربها . (٢) وذلك مما ميز الإعلام الإسلامي، فهو إعلام بالحق وللحق، تنشأ عنه آثار عديدة في الحياة «تتمثل في رقي الحياة البشرية وسعادة البشر في الدنيا والآخرة، وتقوية أواصر المحبة والمودة بينهم وتحقيق الوئام والانسجام بينهم، وتحقيق أسباب العزة والمنعة إلى جانب سلامة الفكر، وسداد الرأي، وصواب الأحكام، وصحة المواقف وإيجابيتها ورفع الروح المعنوية لأصحاب الحق، وإخفات صوت الباطل، وإشاعة المعرفة، واختفاء الجهل، وإحسان استقلال الطاقات والحرص على المنافع والبعد عن المضار، واختفاء صور الشحناء والبغضاء وأسباب التنازع والتناحر والتصارع من الحياة وترشيد الجهد في حركة الحياة» (٣)

---

(١) انظر تأثير وسائل الاتصال د. فرج كامل، ١٤٦ ـ ١٥٧، دار الفكر العربي عام ١٩٨٥ م .

(٢) انظر مدخل إلى الإعلام، ص ٤٧، مرجع سابق .

(٣) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، ص ١٤٣، مرجع سابق .

هذا في الجملة مايتوقع الذين تابعوا مسيرة الإعلام الإسلامي منذ بداية تأسيس الدولة الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى اليوم، مع تفاوت في درجات حصوله فعلا بغض النظر عن أسباب هذا التفاوت، وبغض النظر عن الخلاف حول تأثير وسائل الإعلام عموما، من حيث محدودية التأثير أو مشروطيته، أو قوته . (١) فماذا في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه القضية، قضية أثر الإعلام بالحق ؟

يمكن التقرير في هدوء أن المعاني السابق بيانها كلها يمكن إثباتها من كلامه، يقول «والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أرسل بالبينات والهدى، بين الأحكام الخبرية والطلبية وأدلتها الدالة عليها، بين المسائل والوسائل، بين الدين، مايقال ومايعمل، وبين أصوله التي يعلم أنه دين حق وبين أنه (الله) أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والهدى هو هدي الخلق إلى الحق، ، وتعريفهم ذلك وإرشادهم إليه» (٢) ويقول «فهو (القرآن) يهدي الناس إلى صراط مستقيم، يهديهم إلى صراط الله العزيز الحميد الذي له مافي السموات ومافي الأرض بما فيه من الخير والشر، والصدق والكذب، والمأمور والمحظور، والحلال والحرام، وذلك أن الدليل لايتم إلا بالجواب عن المعارض، فالأدلة تشتبه كثيراً بما يعارضها، فلابد من التفرقة بين الدال على الحق، وبين ماعارضه يتبين أن الذي عارضه باطل، فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق» (٣)

---

(١) انظر الاتصال وبحوث التأثير في دراسات الاتصال الجماهيري، ص ٦٨ د. حمدي حسن.

(٢) النبوات، ص ٢٢٧، مرجع سابق.

(٣) النبوات، ص ٢٢٤، مرجع سابق.

فالهدىٰ والحق هما أساس الفلاح والصلاح ﴿**وبالحق أنزلناه وبالحق نزل**﴾(١) ﴿**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء**﴾ (٢) ﴿**هدى للمتقين**﴾ (٣) وهذا المعنىٰ الذي هو لب صلاح الحياة وحصول المنافع السابقة كلها هو مايؤكد عليه الشيخ ويلح فإن الانبياء عليهم السلام «دعوا الناس إلىٰ عبادة الله أولا بالقلب واللسان، وعبادته متضمنة لمعرفته وذكره، فأصل علمهم وعملهم هو العلم بالله والعمل لله» (٤) «بل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بينت العلوم النقلية التي بها يتم الناس علماً وعملاً، وضربت الأمثال فكملت الفطرة بما نبهتها عليه وأرشدتها مما كانت الفطرة معرضة عنه، أو كانت قد فسدت بما حصل لها من الآراء والأهواء الفاسدة، فأزالت ذلك الفساد، وبينت ما كانت الفطرة معرضة عنه حتىٰ صار عند الفطرة معرفة الميزان التي أنزلها الله وبينتها رسله» (٥)

ومثل هذا الكلام من الوضوح فيما يتعلق بتأثر الإعلام (٦) بالحق وتطابقه مع المعاني سالفة الذكر بما ليس وراءه مزيد. ومع ذلك فهناك نصوص أخرىٰ تكشف عن حقيقة إدراك الشيخ لآثار الإعلام بالحق سواء كان الإعلام بالقول أو بالفعل، الذي قد يكون أقوىٰ من القول (٧) منها قوله «وخروج الكتب

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٠٥.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٤.

(٣) سورة البقرة الآية ٢.

(٤) الفتاوىٰ ٢/ ١٥ نقلا عن موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ص ٢٧٢، مرجع سابق.

(٥) الرد علىٰ المنطقيين، ص ٣٨٢ نقلا عن المرجع السابق، ص ٢٧٤.

(٦) معنىٰ الإعلام في سياقنا هذا ليس قاصراً علىٰ وسائل الاتصال بالجماهير، بل يشمل كل نقل للمعاني والأفكار والآراء علىٰ أي مستوىٰ من مستويات الاتصال.

(٧) يقول الشيخ ابن تيمية «والآيات التي جعلها الله علامات هي إعلام بالفعل الذي قد يكون أقوىٰ من القول» النبوات، ص ١٩١».

كان من أعظم النعم، فإني كنت حريصاً على خروج شيء منها لتقفوا عليه وهم كرهوا خروج (الإخنائية) فاستعملهم الله في إخراج الجميع وإلزام المنازعين بالوقوف عليه، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق، فإن هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس، فإذا ظهرت، فمن قصده الحق هداه الله، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله، واستحق أن يذله ويخزيه، وماكتبت شيئاً من هذا إليكم عن أحد ولو كان مبغضاً» (١) وقوله في بيان الآثار الإعلامية التي ترتبت على سجنه في مصر، أو بيان الجانب الإعلامي في الابتلاء «وتعلمون أن الله سبحانه مَنَّ في هذه القضية من المنن التي فيها أسباب نصر دينه، وعلو كلمته، ونصر جنده، وعزة أوليائه، وقوة أهل السنة والجماعة، وذل أهل البدعة والفرقة، وتقرير ماقرر عندكم من السنة وزيادة على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى والنصر والدلائل، وظهور الحق لأمم لايحصي عددهم إلا الله تعالى، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة وغير ذلك من المنن مالا بد معه عظيم الشكر ومن الصبر، وإن كان صبراً في سراء» (٢)

ويماثل هذا النص نص آخر يقول فيه الشيخ «من سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق» (٣) ولانرى بعد إحقاق الحق وإزهاق الباطل ثناء على آثار الإعلام بالحق ولاغرو أن يصدر هذا الثناء عمن يرى أن الإعلام بالحق

---

(١) الفتاوى ٢٨/ ٤٢ نقلا عن المرجع السابق، ص ٧٩١.

(٢) العقود الدرية، ٢٦٠، الفتاوى ٢٨/ ٥٠، نص رسالة بعث بها إلى تلاميذه في الشام مخبراً عن بعض ثمرات رحلته إلى مصر، نقلا عن منهج شيخ الإسلام في الدعوة إلى الله، ص ٧٩٧، مرجع سابق.

(٣) العقود الدرية ٣٦٤ نقلا عن المرجع السابق.

ضرب من ضروب الجهاد «قوة الإدراك النظرية وهي القوة المعنوية ويدخل فيها أحد نوعي الجهاد وهو الجهاد بالحجة والبيان والدعوة» (١) وهذا الجهاد «يحتاج إلى التدبير والرأي والشجاعة في القلب في الرأس المطاع أحوج منه إلى قوة البدن» (٢) وهو يؤكد أهمية متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في حصول المنافع والمصالح والآثار الإعلامية الحميدة بنقله نص عن أبي حمزة البغدادي يقول فيه «من علم الطريق إلى الله سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، في أحواله، وأقواله، وأفعاله» (٣) وصدق والله فالسنة هي البيان العملي لدين الله الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ **وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ (٤) كما كان القرآن البيان القولي لهذا الدين ﴿ **وكذلك** أوحينا **إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا** ﴾ (٥)

وبهذا القدر من المعالجة لقضية آثار الإعلام بالحق نكتفي لعدم الحاجة إلى مزيد .

---

(١) منهاج السنة ٨/ ٨٦ نقلا عن المرجع السابق .

(٢) المرجع نفسه والمدرك نفسه .

(٣) الاستقامة، ص ٩٦-٩٩، مرجع سابق .

(٤) سورة الشورى الآيتان ٥٢، ٥٣ .

(٥) سورة الشورى الآية ٥٢ .

ثامناً : رأيه في تأثير الإعلام الأجنبي

قد مر في الموضوع الذي قبل هذا وهو آثار الإعلام بالحق جوهر مايمكن تناوله في أبعاد التأثير الإعلامي، وماورد في فكر الشيخ حوله، وكان يمكن الاكتفاء به، غير أنه لما كانت بعض المعاني الموجودة في فكر الشيخ مما له صلة بتأثير الإعلام الوافد تشعر قارئها بشدة شفافية الشيخ رحمه الله وقوة حدسه وإدراكه العميق بالواقع من حوله، ومدى ماتحدثه التبعية الفكرية من آثار مدمرة في حياة الأمم والشعوب، ونحن اليوم نحذر من خطورة الإعلام الوافد كما كان الشيخ يحذر «فالثقافة التي يبثها الإعلام الوافد ثقافة المجتمعات الكافرة بشقيها الغربي والشرقي، وهي تحمل خصائص تلك المجتمعات التاريخية والثقافية بالإضافة إلى الأنماط السلوكية الشائعة فيها، وهي في الحقيقة ثقافة غازية تريد الهيمنة والاستعلاء» (١) يقول الشيخ «وأما مشابهة فارس والروم فقد دخل منه في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً، والآثار الفارسية قولا وعملاً، مالاخفاء فيه على مؤمن عليم بدين الإسلام وبما حدث فيه» (٢) ويقول أيضاً «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً» (٣) والصراط المستقيم الذي يريد الشيخ المحافظة عليه وصيانته من كل عبث «هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والنكاح، والمسكن، والاجتماع، والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينها ولابد ارتباط ومناسبة، فإنما يقوم بالقلب من الشعور

(١) نحو تأصيل للدراسات الاتصالية، ص ١٠٥، مرجع سابق.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٠، مرجع سابق.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٢٠٧، مرجع سابق.

والحال يوجب أموراً ظاهرة، ومايقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً» (١) وهذه الرؤية النفسية العميقة هي التي جعلت الشيخ يشفق علىٰ الأمة من مشابهة الكافرين في عصره، كيف لو عاش في عصرنا هذا الذي ساد فيه الكفار، ونفقت سلعتهم اقرأ قوله «فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة علىٰ وجه المسارقة والتدريج الخفي» ويضيف قائلاً «مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات وتأثير ذلك لايظهر ولاينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لايظهر ولاينضبط، وقد يتعسر، ويتعذر زواله بعد حصوله لو تفطن له، وكل ما كان سببا إلىٰ مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه كما دلت عليه الأصول المقررة» (٣) «وقد ذكرنا من دلائل الكتاب والسنة والإجماع والآثار والاعتبارات مادل علىٰ أن التشبه بهم في الجملة منهي عنه، وأن مخالفتهم في هديهم مشروع إما إيجاباً وإما استحبابا بحسب المواضع» (٤)

«ثم إنه قد ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ماشرعه الله من مخالفة الكافرين ومفارقتهم في الشعار والهدي وسبب ذلك أن مخالفة الكافرين لاتكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد وإلزامهم بالجزية والصغار، ولو قال رجل يستحب لنا موافقة أهل الكتاب الموجودين في زماننا لكان قد خرج من

---

(١) المرجع السابق، ص ١١ .
(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٠ .
(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٠ .
(٤) المرجع السابق، ص ١٧٧ .

دين الأمـة» (١) هذا كـلام الشـيخ في عـصـره الذي لـم يظـهـر فـيـه طوفـان المعلومات وسيل أفلام السينما والفيديو الفاضحة، وصور الخروج عن مقتضىٰ الصراط المستقيم في البث الإعلامي الوافد سواء عبر القنوات الفضائية والممارسات الإعلامية الأخرىٰ علىٰ مستوىٰ الإذاعات المرئية والمسموعة أو علىٰ مستوىٰ الصحف والمجلات، بل علىٰ مستوىٰ الكتب والنشرات، باعتبارها كلها صورا من الغزو الإعلامي الجديد» (٢).

وكلام الشيخ فيما مضىٰ حول تأثير الإعلام وإفساده للدين والأخلاق والعقول، بل والحياة مما لامزيد عليه، وحكمه بتحريمه مما ينبغي أخذه في الاعتبار خاصة في وقتنا الحاضر الذي لم تعد فيه ملاحظة الآثار المدمرة لهذا الإعلام الوافد مما يحتاج إلىٰ عناء لظهورها واستشرائها والله المستعان».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٧٦، ١٧٧، مرجع سابق.

(٢) انظر أقمار الفضاء غزو جديد للدكتور محمد عبده يماني، وانظر نحو تأصيل للدراسات الاتصالية: جزئية كيف نواجه الإعلام الوافد، ص ١٠٣-١٠٨، مرجع سابق.

تاسعاً : رأيه في من هم قادة الرأي

قادة الرأي في الاصطلاح الإعلامي «أفراد يملكون التأثير على الجماعة سواء كانت هذه الجماعة قليلة أم كثيرة، وهؤلاء الأفراد يتصفون بصفات معينة تجعل لهم هذا التأثير» (١) وقيادتهم للناس في مجالات الحياة المختلفة حسب قدرتهم على التأثير، ولذلك فإن الدراسات الإعلامية توسع دائرتهم ليقطعوا كافة التخصصات في قطاعات الحياة المختلفة وهي مع اعترافها بمكانتهم في التأثير تحذرهم من التفريط في الحيوية لما يترتب على التفريط فيها من فقدانهم لتأثيرهم على الناس باعتبارهم قناة يعبر منها إلى عامة الناس متى ما كانوا موضع الاحترام والتقدير من الناس بغض النظر عن الأسباب التي أهلتهم لثقة الناس فيهم، أهي صفاتهم الذاتية، أم عوامل خارجية» (٢) والمحك إنما هو الثقة بهم، وقدرتهم على التأثير، وصلاحيتهم لمخاطبة الناس من خلالهم. وهذا المعنى عينه هو الذي وجدناه في فكر الشيخ «ولأولو الأمر» أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وينهونهم، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام» (٣) ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان وكل من كان متبوعاً من أولي الأمر» (٤) فنحن نرى من هذا النص أن سعة دائرة قادة الرأي في المجتمع مرتبطة بطبيعة قدرتهم على التأثير وصلاحيتهم له، وهذا ماانتهت إليه الدراسات الإعلامية (٥) وهو يؤكد أهمية استشارتهم في الأمور الهامة

---

(١) الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١١٣، مرجع سابق.

(٢) انظر المرجع نفسه، ص ١١٣ ـ ١١٤.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٧٠، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق، ص ٧١.

(٥) انظر الرأي العام في ضوء الإسلام، ص ١١٣، ١١٤، مرجع سابق.

«لاغنى لولي الأمر عن المشاورة» (١) «وإذا استشارهم فإن بين له بعضهم مايجب اتباعه من كتاب الله وسنة رسوله أو إجماع المسلمين، فعليه اتباع ذلك ولاطاعة لأحد في خلاف ذلك وإن كان عظيما في الدين والدنيا قال الله تعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ وإن كان أمر قد تنازع فيه المسلمون فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجه رأيه، فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به كما قال الله تعالى ﴿ **فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ وأولو الأمر صنفان الأمراء والعلماء وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس، فعلى كل منهما أن يتحرى مايقوله ويفعله» (٢) وحسبنا هذا النص في بيان من هم قادة الرأي في المجتمع، وبيان مكانتهم في التأثير، وبيان واجباتهم ومسئولياتهم تجاه مايصدر عنهم من أقوال وأفعال .

---

(١) السياسة الشرعية ، ص١٣٥ ، نقلا عن النظرية السياسية عند ابن تيمية، ص ١٤١ ، د. حسن كوناكانا، دار الأخلاء، ومركز الدراسات والإعلام ط ١ عام ١٤١٥ هـ.

(٢) السياسة الشرعية، ص ١٣٦ ، نقلا عن المرجع السابق.

عاشراً : مايمكن اعتباره دعائم فقه الإعلام عند ابن تيمية

المتتبع لفكر الشيخ يستطيع في يسر وسهولة أن يخرج بما يشبه النظرية المتكاملة للإعلام إذا صح هذا التعبير، أو رؤية إسلامية للإعلام، سميها فقها في الإعلام أو نظرية للإعلام، أو ماتشاء من التسميات التي ترتبط بمعنى النظرة المتكاملة للإعلام من حيث حقيقته، وغاياته ومصادره، ومنهجه ووظائفه، بل وخصائص الرسالة الإعلامية وعناصرها الأساسية، بل وكذلك طبيعة الأداء، وحكمه الشرعي، ومكانته بين العلوم وأثره في الحياة ومااستخلص إعلامياً من فكره فيما مضى كفيل بأن يجلي معالم تلك الرؤية ولكن مع ذلك لاضير في أن يشار إلى دعائم تلك النظرية أو تلك الرؤية في إيجاز شديد .

١ ـ تقوم هذه الرؤية على الفطرة والدين والعقل باعتبارها أساس الالتزام الإعلامي، ومنطلق البواعث والغايات والفارق بين الفضائل والرذائل إعلامياً، وذلك مايعني احتفاء بالفعل الذي يجمع بين العقل النظري والعملي معا، والملتحم بالشرع الحنيف الواقف عند حدوده، والمهتدي بنور الوحي .

٢ ـ مصادر هذه الرؤية هي الكتاب والسنة وأقوال السلف المشهود لهم بالعلم والفضل، وآراء علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم وتخصصاتهم، مع الاعتماد على التحليل اللغوي العميق .

٣ ـ حجر الزاوية في هذه الرؤية هو حرية الإرادة، ومسئولية الفعل .

٤ ـ تربط هذه الرؤية بين الدين والحياة، وتهتم بالإصلاح والعلاج التدريجي، والحرص على تبني الوسائل التي تجب فيها إقناعا أو مكافأة أو بهما معاً .

٥ ـ التركيز على التفاؤل واعتبار القدوة فردا، أم جماعة، أم هيئة .

٦ ـ التركيز على الجوانب النفسية والاجتماعية والوجدانية في مضمار الإعلام .

٧ ـ الربط بين الأسس الدينية والشرعية للإعلام وبين تحقيق مصلحة الإنسان أو المصلحة العامة .

٨ ـ الاهتمام بعناصر الجمال مع التأكيد على أن النظرة الإسلامية للجمال نظرة شمولية تأخذ في حسبانها الجوانب المادية والمعنوية والروحية . (١)

٩ ـ النظر إلى الإعلام باعتباره قوة مؤثرة .

١٠ـ في هذه النظرية يتحدد إطار الإعلام الإسلامي في تبليغ الإسلام لكافة الناس، مع الاستيعاب الكامل لكافة أبعاد الحياة بحيث تصبح الحياة الإسلامية، بل الحياة البشرية مادة الإعلام وتمكين الناس من إدراك الحقائق والتعامل معها تعاملاً سليماً . (٢)

١١ـ الحق والخير والجمال هي المعايير الأساسية التي تحاكم إليها المادة الإعلامية أو قل حدود القول الشرعية .

---

(١) هذا تحوير لما ورد من نتائج النظرية الخلقية، ص ٥٥٧ ـ ٥٦٤، مرجع سابق من باب الاستثمار الإعلامي للعلاقة بين الإعلام والأخلاق من جهة وللعلاقة بين الأبعاد المختلفة بين فكر ابن تيمية، وكذلك جوانب الحياة الإسلامية عموماً .

(٢) انظر مبادئ الإعلام الإسلامي، د. منير حجاب .

الخاتمة

بعد أن من الله سبحانه بإكمال هذا البحث على الصورة التي تم بها فإنه لايسعني في ختامه إلا أن أتوجه بالشكر لخالقي جل جلاله الذي يسر لي معايشة شيخ الإسلام ابن تيمية العالم الرباني من خلال تتبع كتاباته، والكتابات التي دارت حولها فترة طويلة أرجو أن تكون حصيلتها ذخرا لي في ديني ودنياي كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل العمل العلمي الذي أنجز خلال هذه المعايشة خالصاً لوجهه الكريم، ونافعا للأمة، ووسيلة من وسائل الإصلاح والبناء .

وفي نطاق التلخيص لهذا البحث أقول إنني قد خرجت منه بمادة إعلامية غزيرة تناولت جوانب عديدة في علم الإعلام بشقيه النظري والتطبيقي شملت محددات هذا العلم، وقواعده، وأصوله، وضوابطه، ، ومسائله الكثيرة، بل ومكانته في الحياة البشرية، وغايته، ومنهجه، وواجبات وسائل الإعلام مما هو مفصل في الفصل الأول من هذا البحث، وكذلك خرجت بآراء إعلامية (كثيرة وعجيبة في طبيعتها وتميزها بل ودقتها مما هو مبثوث) في ثنايا الفصل الثاني من هذا البحث .

وفي اعتقادي أن البحث قد حقق أهدافه العلمية، وأجاب إجابة شافية عن السؤالين اللذين مثلا مشكلته العلمية أو جانب الغموض فيه وهما ماذا في فكر ابن تيمية من مسائل علم الإعلام في جانبيه النظري والتطبيقي ؟ ومامكانته في ميزان الفكر الإعلامي السديد؟

فما كان فيه من صواب فمن الله وهو المحمود عليه، ومافيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان والله المسئول أن يغفر الزلات والهفوات إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة	٣
خطة البحث	٧
تمهيد	١١
الفصل الأول	١٣
قضايا الإعلام في فكر ابن تيمية	١٣
أولاً : الإعلام وأهميته	١٥
ثانياً : ماهية الإعلام	٢٣
ثالثاً : مصادر الإعلام الإسلامي	٣٥
رابعاً: غاية الإعلام الإسلامي	٤٢
خامساً: وظائف الإعلام الإسلامي	٥٤
سادساً: الأدلة الإعلامية	٩٢
سابعاً: مقومات الثقة في الإخبار	١١٠
ثامناً: نقائص الإعلام	١٢٥
تاسعاً: الاتصال الإعلامي الإسلامي	١٢٩

عاشراً: شروط القائم بالاتصال في الإعلام الإسلامي ١٣٦
حادي عشر: خصائص الرسالة في الإعلام الإسلامي ١٤٣
ثاني عشر: خصائص المستقبلين للرسائل الإعلامية وأثرها في الاستجابة ١٤٨
الفصل الثاني ١٥٥
آراء ابن تيمية الإعلامية ١٥٥
الموضوع الأول: رأيه في علم الإعلام ١٥٧
الموضوع الثاني: رأيه في قوة الإعلام بالقول ١٦١
الموضوع الثالث: رأيه في مكانة لغة الإعلام في إحداث التأثير ١٦٥
الموضوع الرابع: رأيه في الفرق بين الخبر والنبأ ١٧٧
الموضوع الخامس: رأيه في الحرية الإعلامية ١٧٩
الموضوع السادس: رأيه في قضية المنهج في الإعلام ١٨٦
سابعاً: رأيه في آثار الإعلام بالحق ٢٠٢
ثامناً: رأيه في تأثير الإعلام الأجنبي ٢٠٧
تاسعاً: رأيه في من هم قادة الرأي ٢١٠
عاشراً: ما يمكن اعتباره دعائم فقه الإعلام عند ابن تيمية ٢١٢
الخاتمة ٢١٥
الفهرس ٢١٧

من إصـــداراتنا

* علم النفس الدعوي	د. عبدالعزيز النغيمشي
* أيهما آمن ؟ !	صبري سلامة شاهين
* طلب الرزق بين الحلال والحرام	أحمد الطويل
* أخطاء الطلاب الشائعة في القراءة والكتابة	د. محمود عمـــار
* معالم قرآنية في الصراع مع اليهود	د. مصطفى مسلم
* العصرانية في حياتنا الاجتماعية	د. عبدالرحمن الزنيدي
* نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي	د. عبدالكريم بكار
* سعة رحمة رب العالمين	سيد الغباشي
* الحداثة بين التعمير والتدمير	د. حسن الهويمل
* المهارات اللغوية	د. أحمد فؤاد عليان
* أحكام حضور المساجد	الشيخ عبدالله صالح الفوزان
* مبادئ وركائز تربوية	د. عبدالعزيز النغيمشي
* التوجيه غير المباشر	د. صالح بن حميد
* أسئلةو أجوبة في علم الحديث	الشيخ مصطفى العدوي
* فوائد من شرح منار السبيل	الشيخ عبدالعزيز السدحان
* منكرات الأفراح	الشيخ محمد بن عثيمين
* كيف نقرأ القرآن	أحمد الطويل

كتب .. تحت الطبع

* بيان تلبيس الجهمية	شيخ الإسلام ابن تيمية
* أختاه .. حتى لا تكوني من أكثرهن	إبراهيم بن علي اليحيى
* فتاوى الطهارة والصلاة	الشيخ / محمد بن عثيمين
* اللآلىء البهية في شرح لامية ابن تيمية	د / صالح الفوزان
* الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به	د / عبدالكريم الخضير
*التفريق بين الأصول والفروع	د / سعد الشثري
* تقسيم الشريعة إلى أصول وفروع	د / سعد الشثري
*الأصولية الإنجيلية	صالح بن عبدالله الهذلول
* مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي	د / عبدالكريم بكار
* معرفة أوقات العبادات	خالد بن علي المشيقح
* مجموعة خطب	د / سليمان بن حمد العودة
* حكم التداوي بالمحرمات	ساعد بن عمر غازي
* كشف الغطاء في الوقف والابتداء	الشيخ / صابر حسن أبوسليمان
* الأحباش	حجاج بن عبدالله العريني
* فوائد من قصة يوسف عليه السلام للشيخ عبدالرحمن السعدي	تحقيق عبدالعزيز العسكر
* وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر	فضيلة الشيخ د / صالح السدلان
التعليق على منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة	فضيلة الشيخ / عبدالرحمن السعدي


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com





صدر حديثاً

كيف تحاور (طبعة ثانية)	د/ طارق علي الحبيب
شروط الأئمة لابن منده	تحقيق د/ عبدالرحمن الفريوائي
طاعة أولي الأمر (مفهوم الطاعة والعصيان)	د/ عبدالله الطريقي
حكم دخول الجنب والحائض والنفساء المسجد	الشيخ محمد عيد عباسي
نبض المسلم (شعر)	عبدالعزيز العسكر
محرمات شائعة في المعاملات	عبدالكريم الديوان
الاحتكار في نظر الإسلام	صالح بن إبراهيم الشيبان
السياسة الشرعية لابن نجيم الحنفي	تحقيق د/ عبدالله بن صالح الحديثي
فقه الاحتساب على غير المسلمين	د/ عبدالله الطريقي
قضايا ومباحث في السيرة	د/ سليمان بن حمد العودة
نواقض الإيمان الاعتقادية	د/ محمد بن عبدالله الوهيبي
من نبأ المرسلين	د/ سليمان بن حمد العودة
التوجيه التربوي	د/ عبدالحليم بن إبراهيم العبد اللطيف
حق لا ينسى	عبدالله السلوم . عبدالله المرزوق
المناقشة والأسلمة	د/ حسن بن فهد الهويمل
مباحث في إعجاز القرآن	د/ مصطفى مسلم
في بيتنا مشكلة	الشيخ/ مازن الفريح
صوم النبي ﷺ لابن القيم	تحقيق/ صبري سلامة شاهين
يافتاة الإسلام اقرئي حتى لا تُخدعي	الشيخ/ صالح البليهي
الدعوة العالمية	حجاج بن عبدالله العريني

منار أصداء نبل

مطابع الابتكار - تلفون : ٨٥٣٢٤٠٤/٨٥٧٣٢٠٤ - الدمام

ردمك : ٢-٨١-٧٤٨-٩٩٦٠